الفيصل

- نبات الحناء
- متحف اللوفر ... الأروع بين متاحف العالم
- الحبيب اللمسي: تزوّجت الكتاب ولم أعشق امرأةً!

مجلة ثقافية شهرية - رجب - شعبان ١٤٣٢هـ/ يونيو - يوليو ٢٠١١م

الفيصل - السنة ٣٦ - رجب - شعبان ١٤٣٢هـ/ يونيو - يوليو ٢٠١١م

٤٢١
٤٢٢

٤٢٢/٤٢١



تركمانستان ومدنها التاريخية



العددان ٤٢١-٤٢٢ / رجب - شعبان ١٤٣٢هـ

المحتويات

إدارة التحرير

رئيس التحرير: يحيى محمود بن جنيد

نائب رئيس التحرير: عبدالله يوسف الكويليت

هيئة التحرير

حسين حسن حسين

محسن بن حمد الخرابة

حوى النبي علي صالح

سيد علي الجعفري

الإخراج الفني

الوليد إبراهيم دينار

الاشتراك السنوي

١٥٠ ريالاً سعوديًا للأفراد، ٢٥٠ ريالاً سعوديًا للمؤسسات، أو ما يعادلهما بالدولار الأمريكي خارج المملكة العربية السعودية.

الإعلانات

هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥ - ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

رقم الإيداع

في مكتبة الملك فهد الوطنية

٤١/٢٤٥٠

ردمد ١١٠٤١-٨٥٢٠

الناشر

دار الفيصل الثقافية

www.alfisal-mag.com
contact@alfaisal-mag.com
alfaisalmagazine@yahoo.com

المراسلات للتحرير والإدارة

ص.ب (٣) الرياض ١١٤١١

المملكة العربية السعودية

هاتف: ٤٦٥٣٠٢٧ - ٤٦٥٢٢٥٥

ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١



تركمانستان متحف تاريخي يحوي بين جنباته كنوزاً معرفية عظيمة.. فهي إذاً ليست مجرد دولة حديثة تمثلها عشق آباد بشوارعها الفسيحة ومسارحها، وساحاتها، وحدائقها، وتماثيلها ومبانيها الجميلة... إلخ؛ بل هي قطعة من تاريخ الإسلام ينبض ثراها بحركة الماضي. وأنت تستعيد الأسماء الكبيرة التي قطنتها أو نسبت إليها: المروزي، والنسائي، والسرخسي، والزمخشري، والآملي، والأبيوردي..

ضوابط النشر

- يفضل طباعة المادة المرسلة على الحاسب الآلي، وإرسال نسخة على قرص مرن إن أمكن، أو كتابتها بخط مقروء على ورق A4 جيد، مع إرفاق سيرة ذاتية، وصورة ملونة حديثة.
- لا تفضل المجلة نشر المقالات الانطباعية التي تخلو من المعلومات.
- يرجى إرفاق صور أصلية ملونة جيدة مع الاستطلاعات والموضوعات الملونة، ولا تقبل الصور المأخوذة من الصحف والمجلات.
- في حال إرسال قصة مترجمة يرجى إرفاق الأصل المترجم.
- لا تنشر المجلة الموضوعات المترجمة مباشرة من مجلات أجنبية، إلا إذا كان هناك إذن مسبق منها، وإن كان لا مانع من اتخاذها مصدرًا من مصادر الموضوع، مع توضيح مواضع الاقتباسات بشكل علمي.
- المواد التي يعتذر من عدم نشرها لا تعني بالضرورة ضعف مستواها، ولكن قد تكون هناك مواد كثيرة في الموضوع نفسه سبق نشرها، أو تنتظر النشر. ولا ترد المقالات إلى أصحابها بأي حال من الأحوال.
- يرجى إرفاق صورة غلاف الكتاب الذي يتم عرضه في باب «قراءات» مع بيانات وافية عن الكتاب المعروض تشمل: عنوانه، واسم مؤلفه، ودار النشر ومقرها، وسنة النشر، وعدد الصفحات.
- نأمل من الإخوة الكتاب الذين يراسلون المجلة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف اللاتيني.
- الموضوعات التي مضى عليها وقت طويل ولم تنشر في المجلة سيتم الرد على الكتّاب بعد إعادة تقويمها بغض النظر عن أنها قد أجيزت من قبل للنشر.
- لا تمنح مكافآت على ما ينشر في بابي «رسائلكم» و«ردود وتعقيبات ».
- يرجى الاهتمام بالتوثيق، ومن أهم ما ينبغي مراعاته:
- يفضل تخريج الآيات القرآنية من القرآن الكريم مع تشكيلها، وذلك بذكر اسم السورة ووضع نقطتين بعدها ورقم الآية.
- يفضل تخريج الأحاديث الشريفة من كتب الحديث مع ذكر طبعة الكتاب.
- التثبت من النقول التي تنقل من الكتب، ولاسيما المصادر والمراجع التراثية القديمة مع ذكر طبعة الكتاب.
- تشكيل الشعر ما أمكن، خصوصًا القديم منه.
- ضبط أسماء الأعلام والشعراء والأماكن والأشياء غير المعروفة والكلمات غير المألوفة بالشكل الصحيح، والتأكد من أن أسماء الأعلام الأجانب مطابقة لما هو متداول في لغاتهم إن أمكن.

الموضوعات التي في المجلة تعبر عن آراء كتَّابها، ولاتعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

السعر الإفرادي

السعودية ١٠ ريالات . الكويت ٨٠٠ فلس . الإمارات ١٠ دراهم . قطر ١٠ ريالات . البحرين دينار واحد . عُمان ريال واحد . الأردن ٧٥٠ فلساً . اليمن ١٠٠ ريال . مصر ٤ جنيهات . السودان ١,٥ جنيه . المغرب ١٠ دراهم . تونس ١,٢٥٠ دينار . الجزائر ٨٠ دينارًا . العراق ٨٠٠ فلس . سورية ٤٥ ليرة . ليبيا ٨٠٠ درهم . موريتانيا ١٠٠ أوقية . الصومال ٢٠٠٠ شلن . جيبوتي ١٥٠ فرنكاً . لبنان ما يعادل ٤ ريالات سعودية . الباكستان ٢٠ روبية . المملكة المتحدة جنيه إسترليني واحد.

الموزعون

السعودية . الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع . هاتف ٤٨٧١٤١٤(٠١) . فاكس ٤٨٧١٤٦٠(٠١)، مصر . مؤسسة توزيع الأهرام . شارع الجلاء هاتف: ٣٣٩١٠٩٥ . فاكس ٣٣٩١٠٩٦ . ٢٠٢...، سورية . المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات ص.ب ٥٣٠١ هاتف ٨٤٢٨٢١٢ . فاكس ٢١٢٢٥٣٢ . ١١. ٠٠٩٦٣، تونس . الشركة التونسية للصحافة . ٣ نهج المغرب . ص.ب ٧١٩. فاكس ٧١٤٠٠٣٢٣/ هاتف ٩٣٢٢٤٩ . ٧١ . ٠٠٢١٦، قطر . دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع . ص.ب ٣٤٨٨ هاتف ٤٦٦١٢٨٢ . فاكس ٤٦٦١٨٦٥ . ٠٠٩٧٤، الأردن . شركة وكالة التوزيع الأردنية . ص.ب ٣٧٥ هاتف ٤٦٣٠١٩١ . فاكس ٤٦٣٥١٥٢ . ٦ . ٠٠٩٦٢، البحرين . مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ص.ب ٢٢٤ هاتف ٢٩٤٠٠٠ . فاكس ٥٣١٢٨١ . ٠٠٩٧٣، الإمارات العربية المتحدة . مكتبة دار الحكمة ص.ب ٢٠٠٧ هاتف ٤٩٣٥٦٦٢ . فاكس ٢٦٦٩٨٢٧ . ٤ . ٠٠٩٧١، الكويت . شركة المجموعة الكويتية للنشر والتوزيع ص.ب ٢٩١٢٦ ت ٢٤١٧٨١٠/١١/١٢ . فاكس ٢٤١٧٨٠٩ . ٠٠٩٦٥، المغرب . الشركة الشريفية لتوزيع الصحف فاكس: ٢٢٤٠٤٠٣١/٣٢ . ٢١٢ . ٠٠ ت: ٢٢٤٠٠٢٢٣، الجمهورية اليمنية . القائد للنشر والتوزيع هاتف: ٢٠١٩٠١/٢ . ٣ . ٠٠٩٦٧ فاكس: ٢٠١٩٠٩/٧

alfaisalmagazine@yahoo.com



مواكبة أحداث الواقع

أتابع مجلة «الفيصل» منذ سنوات طويلة، وقد لاحظت اهتمامكم في المدة الأخيرة بطرح قضايا سياسية، لكن بأسلوب فكري متقدّم، يهتم بالتعمّق في دراسة بعض الظواهر السياسية الأخيرة؛ مثل المرتزقة الذين يتم استخدامهم في قهر الشعوب، أو الأزمات السياسية التي تشتعل الآن، ويمكن قراءتها من خلال الوقوف على الأسباب والنتائج.

لذلك أحيّي هذه المواكبة التي تجعلنا حريصين على المتابعة لفهم أحداث الواقع. ولأنني سوداني فأودّ لو تطرحون موضوعاً عن انفصال الدول ووحدتها من خلال نماذج عملية؛ فاليمن في حالة الوحدة، والسودان في حالة الانفصال، خصوصاً أننا في السودان نحتاج إلى معرفة مآلات الأوضاع بعد انفصال جنوب السودان. وأعتقد أن الأمر يسير لكم بما لديكم من نخبة متميزة من العلماء والمفكرين الذين يثرون المجلة.

خليل محمد خليل قاسم

الرياض - السعودية

التحرير

نشكر لكم اهتمامكم ومتابعتكم لمجلتكم «الفيصل»، ومحاولة المواكبة من خلال الطرح الفكري العام الذي لا يتطرّق إلى تفاصيل وضع محدّد، لكنه يتناول القضايا في صورة أشمل وأعمق. ونأمل أن نتمكّن من نشر الموضوع الذي طرحته برؤية مختلفة عن المتداول.



التوحّد في «العلمية»

تابعتُ مجلتكم «العلمية»، واستمتعت كثيراً بموضوعاتها الشائقة التي تقدم مختلف القضايا العلمية بأسلوب مبسّط، وبصورة معبّرة، وسرّني اهتمامكم بالأطفال، وآمل أن تولوا اهتمامكم بقضية (التوحد)، التي شاعت في مجتمعاتنا العربية مؤخراً، خصوصاً أن هناك تجارب لجمعيات ومؤسسات غير ربحية لها دورها في هذا الشأن، وتتعامل مع نخبة من المختصين الذين يستطيعون تناول هذا الموضوع من واقع التجربة التي تعمّق الرؤية النظرية.

وتقبلوا تحياتي..

علي سعد القحطاني

الرياض - السعودية

التحرير

نشكر لكم اهتمامكم بالتعليق على ما يُنشر، و«الفيصل العلمية» تهدف إلى ما أشرتَ إليه، وهو تبسيط العلوم، ونشكر مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية على تعاونها في تحقيق هذا الهدف. وقضية التوحد سبق تناولها، وهناك موضوعات أخرى ستنشر في الأعداد المقبلة، ولا شك أن الاستنارة بآراء الإخوة القراء تحقق الهدف المنشود من أقصر الطرق.

مرحباً بصداقتك



سعادة رئيس تحرير «الفيصل»:

ولو أني كتبتُ بقــدر شــوقي   لأفنيت الصحائف والمدادا
ولكني اقتصرت على السلام   يذكّر بالمحـبة.. والـودادا

تحياتي وأشواقي..

بكلّ المحبة والسرور نرفع إليكم رسالتنا الأخوية الصادقة لنعبّر من خلالها عن صادق المحبة والمودة التي تحملها قلوبنا لكم، وسعداء كلّ السعادة بالكتابة إليكم، وخير ما نستفتح به رسالتنا هو السلام؛ فسلام الله عليكم وتحياته الطيبات المباركات، تحيات معبقات بالمسك، وأريج الزهر، وندى الورد، تحيات يحملها كلّ ما في قلوبنا من شوق ومحبة. وإذا كان للتعبير جناحان: جناح من الشعر، وجناح من النثر، فها نحن أولاء نحييكم بالشعر أيضاً، ونحييكم على لسان الشاعر الذي قال في هذا المقام فأجاد:

سلام كنشر المسك يهديه خاطري   إليكم وأشواقي على البُعد أكثرُ
فإن لم تكن عيني تراكم فإن لي   لساناً يوالي بالدعاء ويشكرُ

فتحية منا إليكم نرفعها على بُعد ما بيننا من أرض الجزائر الأبية، ومن لسان أخ يحمل لكم كل التقدير والعرفان، ويهمّه في المقام الأول أن يعقد صداقةً مع شخصكم، وكيف لا ونحن إخوة في الدين والعروبة واللسان؟ وكلّ ما أرجوه أن تقبلوني صديقاً وأخاً، وأن تمتد هذه الصداقة وتطول إلى ما شاء الله، وأن يثمر غرسها ثمر النجاح، وأنا متفائل جداً بها، وأرجو أن نعمل معاً على إنمائها، ومدّ أواصرها، وواثق كلّ الثقة بأنكم ستستجيبون لطلبي، وستعملون جاهدين وصادقين على تمتين عراها، وتوثيق وشائجها. وأعرّفكم بنفسي: أنا شاب جزائري، احترفت الكتابة الأدبية والثقافة، وبينما أنا أقلّب صفحات مجلة «الفيصل الأدبية» أثارت إعجابي ودهشتي، وتمنّيت أن أكون أحد أقلام البارزين فيها. لذا نرجو موافقتكم وقبولكم نشر مقالاتي وشعري وإبداعي في صفحاتها بعد إذنكم.

وفي النهاية، تمنياتنا لكم بالنجاح والتوفيق في مجالات الحياة المختلفة، وأنتظر ردكم بفارغ الصبر.

بختي محمد بن المبخوت

الجزائر العاصمة - الجزائر

التحرير:

نشكر لكم رسالتكم الرقيقة، ونفيدكم بأن المجلة تفتح صفحاتها لكل الأقلام من كل أنحاء عالمنا العربي، بل من كل أنحاء العالم، ولا شيء يحجب أيّ مشاركة إذا كانت مستوفيةً معايير النشر، فمرحباً بك، وبكتاباتك.

يحيى محمود بن جنيد
التحرير

تركمانستان ومدنها التاريخية

استطلاع





كانت تركمانستان مجـرّد دولـة من دول وسط آسيا التي استقلّت عن الاتحـاد السوفيتي عـام ١٩٩١م. المعلومات عنها قليلة لا تتخطّى ما تتناقله وسائل الإعلام عن وضعها السياسي، خصوصاً في عهد رئيسها السابق صفر مراد نيازوف الذي عُرف بتركمان باشي.

ولم يـدُرْ في خلد كاتب الاستطلاع أن تُشكّل الرقعة التي تقوم عليها هذه الدولة ثقلاً في تاريخ الإسلام؛ فالثقل المعهود هو لأوزبكستان بمدنها التاريخية الشهيرة: بخارى، وسمرقند، وترمذ، وخيوه، والشاش (طاشكند)، ومرغينان (مرغلان)، وفرغانة، ومن أنجبتهم من أعلام الإسلام الكبار.

وجاءت فرصة تعرّف تركمانستان في الرحلة الأولى التي قام بها الكاتب ضمن وفد الأيام الثقافية السعودية الذي رأسه الدكتور عبدالعزيز بن سلمة – وكيل وزارة الثقافة والإعلام للإعـلام الخـارجي – ومعه مجموعة من منسوبي الـوزارة والأساتذة الجامعيين والفنانين التشكيليين والإعلاميين وفرق شعبية من مختلف مناطق المملكة في يناير عام ٢٠١١م. وفي تلك الرحلة وجد الكاتب نفسه في دولة ناهضة ذات تاريخ إسلامي عـريق، يقطنها شعب مضياف مسـالم. ثم جـاءت الرحلة الأخرى في مارس من العام نفسه بدعوة من أكاديمية العلوم التركمانية – المعهد الوطني للمخطوطات في تركمانستان – لحضور مؤتمر عن الشاعر التركماني نور محمد عندليب. بها توسّعت دائرة المعرفة، وأدرك الكاتب أنه على أرض لا تقلّ ثراءً في العمق الإسلامي عن أوزبكستان، وإذا كان في المرة الأولى قد لامس تراب مرو ونَسا؛ ففي الأخرى تمكّن من ملامسة تراب زمخشر، ومـن القـراءات وجد أن ضمن حدودهـا تقع اليوم سَرْخَس وأبيورد وآمُل.

ومـن الحصيلة العامة لجغرافيتها المعاصرة تبيّن له أن مكوّنها القـديم هـو أجـزاء مـن خراسان في وسطها وشرقها

وجنوبها، وجرجان في غربها، وخوارزم في شمالها الشرقي، وهي أقاليم ذات فعل ثقافي وعلمي وسياسي في المسار التاريخي للحضارة العربية الإسلامية.

كان الكاتب، وهو يتنقّل بين مدنها، يسترجع التاريخ، ويستعيد الأسماء الكبيرة التي قطنتها أو نُسبت إليها: المروزي، والنَّسائي، والسَّرْخسي، والزمخشري، والآمُلي، والأبيوردي، فوعى أنه داخل متحف تاريخي يحوي بين جنباته كنوزاً معرفية، استعاد - وهو على ترابها - مع صوت الرياح تهليل الفاتحين العرب وتكبيرهم وهم يقودهم الأحنف بن قيس، ودروس العلم، وحلقات النقاش، ومجالس الذكر والوعظ لعبدالله بن المبارك، وسفيان الثوري، وإسحاق بن راهويه، وأبي أسعد السمعاني، والزمخشري. وبرزت للكاتب من بين حجب التاريخ صورة الشاعر الأبيوردي وهو يلقي قصائده، وأصغى إلى صوت النَّسائي وهو يروي حديث النبي صلى الله عليه وسلم.

تركمانستان - إذاً - ليست مجرّد دولة حديثة تمثّلها عشق آباد بشوارعها الفسيحة، ومسارحها، وساحاتها، وحدائقها، وتماثيلها، ومبانيها الجميلة، وفنادقها، ومطاعمها، بل هي قطعة من تاريخ الإسلام ينبض ثراها بحركة الماضي.

الدولة المعاصرة

تبلغ مساحة تركمانستان في حدودها المعاصرة ٤٩١,٢٠٠ كيلومتر مربع، يقطنها نحو ستة ملايين نسمة، تحدّها من الشرق وجزء من الشمال أوزبكستان، وفي شمالها أيضاً قازاقستان، وفي جنوبها أفغانستان وإيران، وفي غربها بحر قزوين، وتقطنها أغلبية من التركمان تشكّل نسبة تقرب من ٨٥٪ من السكان، والمتبقي قوميات من الأوزبك والروس والقازاق والفرس والأرمن والآذاريين. وتدين أغلبية السكان بالإسلام على المذهب الحنفي. ومناخ تركمانستان صحراوي شديد البرودة في الشتاء، شديد الحرارة في الصيف. وتحتضن تركمانستان صحراء قره قوم، مع وجود بعض الأنهار، أهمها: جيحون في شرقها، وفي جنوبها الشرقي نهر المرغاب. وهي مقسّمة خمس ولايات، هي: بلقان وعاصمتها بلقان آباد، وآخال وفيها العاصمة عشق آباد، ومرو وعاصمتها مرو، ولباب وعاصمتها تركمان

رئيس تركمانستان

يرأس جمهورية تركمانستان حالياً الدكتور قربان قولي بيردي محمدوف، وهو أستاذ في العلوم الطبية، وله كتاب بعنوان: نباتات تركمانستان الطبية Medical Plants of Turkmenistan بحجم كبير مزوّد بالصور التوضيحية، ويقع في ٢٨٧ صفحة.



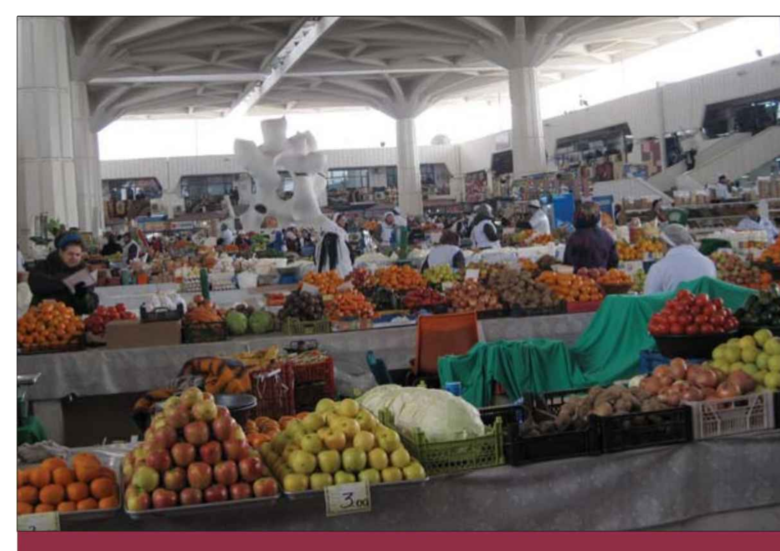
Gurbanguly Berdimuhamedov

Medicinal plants of Turkmenistan

آباد، وداش أوغوز وباسمها سُمِّيت العاصمة. وتركمانستان دولة غنية؛ لوجود البترول والغاز فيها، إضافةً إلى معادن أخرى، ومنتجات زراعية أهمها القطن، وصناعات ثقيلة وخفيفة متنوعة، ونهضة عمرانية وثقافية واضحة المعالم. وتنتشر في مدنها دور السينما والمسارح والمكتبات، وتحفل بالمتاحف العامة والمتخصّصة؛ مثل: متحف ولاية مرو الذي يبرز حضارة المركوش، ومتحف ولاية داش أوغوز، ومتحف مقاطعة سردار، ومتحف مخدوم قلي، ومتحف تيجن، ومتحف أتا مراد، والمتحف الحربي في ولاية لباب، ومتحف بكشي للفنون الموسيقية، ومتحف مقاطعة ميرغاب الذي يحتوي على أعمال الشاعر أتا صالح وآخرين.

ويتّصف الشعب التركماني بالوداعة، وهدوء الطبع، وحبّ النظافة، وهو ما انعكس على بيئتها؛ إذ تتميّز شوارعها وأمكنتها العامة بالنظافة، وتنتشر فيها الميادين الفسيحة، والحدائق العامة، والساحات، مع عناية فائقة بالتشجير؛ إذ تمّت زراعة ملايين الأشجار الحرجية التي ستُكوّن غابات المستقبل، ويشارك المواطنون سنوياً في زراعتها. كما تنتشر في شوارعها البنايات الفخمة المتعددة الطوابق، التي تُوزّع على السكان بنصف قيمتها، إضافةً إلى المباني الحكومية التي تتّخذ أشكالاً جمالية. وأغلب المباني العامة والحكومية ذات واجهات من الحجر الأبيض، تتوافر فيها المواقف الخاصة.

سوق الروس في مرو



عشق آباد

أهم مدن تركمانستان هي العاصمة عشق آباد، التي يعني اسمها: أرض العشق، وهي مدينة حديثة تقع على أرض منبسطة قريبة من حدود إيران، تفصلها عنها جبال شاهقة. وتتميّز عشق آباد بشوارعها الفسيحة، وحدائقها التي تنتشر في أجزاء كثيرة منها، وتضم جامعات ومعاهد عليا، من أهمها: جامعة تركمانستان الوطنية، وجامعة مخدوم قلي، وتدرس فيها المعارف الحديثة؛ مثل: الطب، والفيزياء، والكيمياء، والرياضيات، والهندسة، إلى جانب الدراسات الإنسانية. وتتوزّع في عشق آباد أنماط من الأسواق الشعبية والحديثة، منها: سوق الروس الذي يتوسّطه سوق للخضار والفواكه واللحوم والأجبان، وتتفرّع منه مسارات ضيقة تقع في جانبيها محلات لبيع الملابس والأدوات المنزلية مع عناية بالمنتجات المحلية، وتتناثر في الساحات البُسُط، وأغلب الباعة فيها من النساء. ومن الأسواق التجارية الحديثة: مركز إمباشي التجاري المتعدد الطوابق، ويحتوي على سوق مركزي للبضائع المتنوعة، ومحلات تُباع فيها الملابس الحديثة والحلي والمجوهرات ذات الماركات العالمية، ومطاعم للوجبات الخفيفة.

ويوجد في عشق آباد المتحف القومي الذي تُعرض فيه قطع تراثية من مختلف العصور، إلى جانب نماذج تمثّل حياة التركمان التقليدية والبيئة الطبيعية لها. كما يُوجد فيها متحف البنك المركزي التركماني المخصّص لعرض المجوهرات الحديثة في الصناعات التركمانية والقطع النقدية. وفيها أيضاً متحف فريد من نوعه، هو متحف السجاد، الذي تُعنى به الدولة، وهو من الحرف التقليدية التي يتوارثها التركمان.

افتُتح متحف السجاد في عام ١٩٩٣م، ثم نُقل إلى مبنى حديث خُصِّص له في العاشر من أكتوبر عام ١٩٩٤م، ويضم ١٥٠٠ سجادة تعود صناعة بعضها إلى القرن السابع عشر الميلادي، ومن أهم ما يحتوي عليه سجادتان عملاقتان معلّقتان على الحائط، أولاهما نُسجت بأنامل نساء تركمانيات بين



بائعة سجاد في سوق عشق آباد



جغرافية تركمانستان المعاصرة تبيّن أن مكوّنها القديم هو أجزاء من خراسان في وسطها وشرقها وجنوبها، وجرجان في غربها، وخوارزم في شمالها الشرقي

عامي ١٩٤١ و١٩٤٢م، يبلغ عرضها عشرة أمتار ونصف المتر، وطولها ثمانية عشر متراً ونصف المتر تقريباً، بمساحة مقدارها مئة وثلاثة وتسعون متراً ونصف المتر، تزن ثمانمئة وخمسين كيلوجراماً، حفلت بالصنعة الفنية المتقنة. والأخرى نُسجت في المدة من التاسع عشر من فبراير إلى العاشر من أكتوبر عام ٢٠٠١م بعرض أربعة عشر متراً، وطول يبلغ واحداً وعشرين متراً ونصف المتر، وتبلغ مساحتها الكلية ثلاثمئة متر ومتراً واحداً، وتزن طناً ومئتي كيلوجرام، وعُدَّت في كتاب جينيس للأرقام القياسية أكبر قطعة سجاد مصنوعة باليد في العالم. وتتناثر على جدران المتحف وأرضياته قطع أخرى من السجاد المُصنَّع يدوياً، تختلف أحجامها، وتتباين سنوات نسجها، وتنفرد كلّ واحدة منها بنمط جمالي مميّز.

ومن معالمها أيضاً: المكتبة الوطنية التركمانية التي تضمّ ملايين الكتب القديمة والحديثة، والخرائط، والتسجيلات، والمخطوطات،

خُصِّص لها مبنى حديث يحتوي على مخازن للكتب، وقاعات للمطالعة، وحجرات للإنترنت والوسائل السمعية والبصرية.

داش أوغوز

ومن مدن تركمانستان الحديثة الأخرى: داش أوغوز، التي تقع في الشمال الشرقي على حدود أوزبكستان، وهي جزء من منطقة خوارزم التاريخية، وهي مدينة صغيرة تقطعها شوارع فسيحة، وفيها أسواق شعبية مماثلة لتلك التي توجد في عشق آباد، وإن كانت أصغر حجماً، تحيط بها بلدات وقرى، وعلى مقربة منها تقع أطلال زمخشر القديمة.

المدن التاريخية في تركمانستان

مرو:

تضم تركمانستان داخل حدودها مجموعةً من المدن التاريخية المشهورة في التاريخ الإسلامي، أهمها مرو، التي تُعرف في التاريخ الإسلامي بمرو الشاهجان، وفتحها في نحو سنة اثنتين وعشرين هجرية القائد العربي الأحنف بن قيس التميمي في عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وهي تقع اليوم في الجنوب الشرقي على أرض منبسطة شبه صحراوية قريبة في تكوينها من منطقة نجد، ولعلّ ذلك كان من أسباب استقرار كثير من القبائل العربية فيها، خصوصاً قبيلة تميم النجدية. وقد ورد ذكر مرو في الشعر العربي، من ذلك قول أحد الأعراب:

أقُمْرِيةَ الوادي التي خان إلْفَها
من الدهر أحداثٌ أتتْ وخطوبُ
تعالَيْ أطارحك البكاءَ فإننا
كلانا بمرو الشاهجان غريبُ

وقول أبي الحسين مسعود بن الحسن الدمشقي الحافظ، الذي كان قَدمَ على مرو ومات فيها سنة ٥٤٣هـ/ ١١٤٨م:

أخِلَّايَ إن أصبحتمُ في دياركُمْ
فإني بمرو الشاهجان غريبُ
أموتُ اشتياقاً ثم أحيا تذكُّرا
وبين التراقي والضلوع لهيبُ
فيا عجبٌ موتُ الغريب صبابةً
ولكن بقاه في الحياة عجيبُ

وقول آخر:

ليالٍ بمرو الشاهجان وشملُنا
جميعٌ سقاك الله صوب عِهادِ
سرقناك من ريب الزمان وصَرْفِه
وعينُ النوى مكحولةٌ برقادِ
تنبَّه صرفُ الدهر فاستحدث النَّوى
وصيَّرنا شتّى بكل بلادِ

وذكرها مالك بن الريب في قصيدته التي قالها قبل وفاته في أحد أطرافها:

ولما تراءت عند مروَ مَنيَّتي
وخلَّ بها جسمي وحانت وفاتيا
أقول لأصحابي: ارفعوني فإنني
يَقَرُّ بعيني أنْ سهيلٌ بدا ليا

على اليمين بائعات في عشق آباد .. وعلى اليسار ملابس الصيد التقليدية



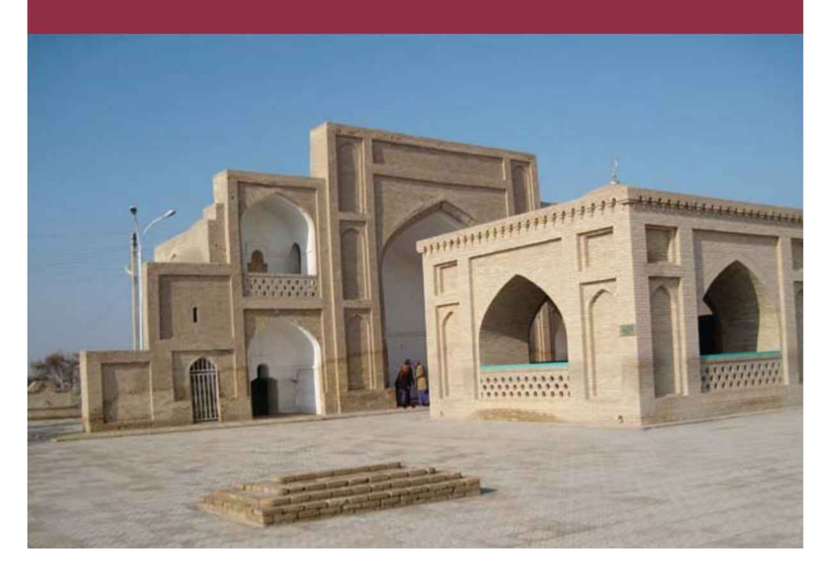
من أطلال مرو

> يتّصف الشعب التركماني بالوداعة، وهدوء الطبع، وحبّ النظافة، وتنتشر في تركمانستان الميادين الفسيحة، والحدائق العامة، والساحات

فيا صاحِبَيَّ رحلي دنا الموتُ فانزلا
برابيةٍ إني مقيمٌ لياليا

وتشير المصادر التاريخية إلى أن أربعةً من الصحابة رضوان الله عليهم سكنوا مرو، وماتوا فيها، وهم: بريدة بن الحصيب الأسلمي، وأبو برزة نضلة بن عبيد الأسلمي، وقُريط بن أبي رِمْثة، والحكم بن عمرو بن مُجَدع الغفاري، رضي الله عنهم.

وأنجبت مرو مئات العلماء والمشاهير الذين خدموا الحركة العلمية، من أبرزهم: الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، الذي ينتمي إلى أسرة مروزية كان لها شأن فيها. وعلى الرغم من ولادته في بغداد إلا أنه ظلّ ينتسب إلى المدينة التي عاش فيها أسلافه، فظل يُعرف بالمروزي. ومنهم: إسحاق بن راهويه التميمي أحد علماء الحديث البارزين. كما برَّز فيها على مدار زمن طويل علماء من السمعانيين من تميم، أشهرهم النسابة أبو سعد عبدالكريم بن محمد بن منصور السمعاني التميمي المروزي المتوفَّى سنة ٥٦٢هـ/ ١١١٢م. وكان



ضريح يوسف الهمذاني

للسمعانيين مكتبتان بقيتا إلى القرن السابع الهجري، واستفاد ياقوت الحموي من محتواهما عند إعداده كتابيه (معجم الأدباء) و(معجم البلدان) كما يشير هو نفسه إلى ذلك. ومن الشخصيات المهمة المنسوبة إلى هذه المدينة: عالمة الحديث وراوية البخاري في عصرها (القرن الخامس الهجري) كريمة بنت أحمد المروزية، التي هاجرت من مرو إلى مكة المكرمة حيث عاشت بقية عمرها إلى وفاتها فيها سنة ٤٦١هـ/ ١٠٦٩م.

وكانت مرو مركز الدعوة العباسية، استقرّ فيها النقباء والدعاة العرب، ومنها انطلق الجيش العباسي – وأغلبه من العرب – لإسقاط الدولة الأموية، كما اتّخذها الخليفة المأمون مقراً له، فعاش فيها عشر سنوات؛ خمساً قبل خلافته، وخمساً أخرى وهو خليفة، ومنها خرج الجيش الذي أسقط الخليفة محمد الأمين بن هارون الرشيد.

وفي الوقت الراهن تعدّ مرو من المدن الرئيسة في تركمانستان، وهي على قسمين: قسم حديث يشكّل مدينةً عصريةً تضمّ كلّ مكونات الحياة للإنسان المعاصر، وموقع مرو القديمة الذي يحتوي على بعض المعالم الأثرية، منها: سور المدينة القديمة الذي يمتد إلى مسافة كيلومترات، ومجموعة من الأضرحة المشيدة على قبور بعض الأعلام؛ مثل: الصحابي بريدة بن الحصيب، والصحابي الحكم بن عمرو الغفاري، والسلطان سنجر السلجوقي، وآثار أخرى لقصور قديمة قبل الإسلام. وقد زرتُ المدينة مع وفد الأيام الثقافية السعودية، فلمستُ ترابها، واستنطقتُ التاريخ، ووقفتُ أرنو إلى بقايا قصورها وأضرحتها. مشيتُ على أرضها، وفي كلّ خطوة أتذكّر رجالاتها الذين عاشوا فيها، ومعالمها ومنازل بعض أعيانها، هنا كانت بيوت السمعانيين، وفي ذلك الموقع كان منزل محمد بن حنبل الشيباني والد الإمام أحمد، وتحت ذلك الركام كان منزل ابن راهويه. وعند مشارف السور استرجعتُ صورة القائد الأحنف بن قيس وهو يفاوض سكّانها على تسليم المدينة سلماً من دون حرب، وهنا كان القصر الذي سكنه الصحابي القائد الحكم بن عمرو بن مُجدَّع الغفاري يدير منه شؤون المدينة والمنطقة التي كُلِّف إدارتها.

الوجوه التي كانت تجول في ساحة ضريح يوسف الهمذاني – أحد العلماء والزهّاد المشاهير في بلدة بيرم علي، وهي جزء من مرو – تُذكِّر بالفاتحين العرب؛ فالسحنات العربية تبدو جليةً في وجوههم؛ كتلك المرأة العربية التي جاءت إلى القادمين من أرض الجزيرة العربية تحمل ابتسامةً مشرقةً تنمّ على فرحة بلقاء غير منتظر.

الفضاء الرحب تبدو في أفقه خيلُ الفاتحين وإبلُهم، كانت مرو مقصدهم، ودخولها كان إنهاءً لحقبة صراع طويل استمر سنوات. في مطاردة المقاومين، يمضي الأحنف بن قيس شرقاً لاستكمال الفتح، تاركاً وراءه حاميةً صغيرةً على رأسها حاتم بن النعمان الباهلي. يودّعه، وينطلق نحو مدن أخرى يحمل إليها دعوة الإسلام.

أخرجُ من أطلال مرو القديمة إلى المدينة الحديثة التي تحمل عبق التاريخ، تزيّنها الأشجار الباسقة المنتشرة في شوارعها، وأينما نظرتُ كانت الوجوه تحمل ملامح القادمين من صحراء الجزيرة ذات يوم.

أقليات تركمانستان

من بين الأقليات التي تعيش في تركمانستان هناك أربع مجموعات عربية أشار إليها ألكسندر بيننجسون وأندرس وامباش في كتابهما (المسلمون في الإمبراطورية السوفيتية)، الذي نشرته جامعة إنديانا في بلومنجتون بالولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٨٦م، هي:

- أتا Ata: في شرق تركمانستان في وادي أموداريا وتشارجو.

- خوجه Hoja: في غرب تركمانستان شمال كراسنفودسك، وفي الجنوب قرب قيزل أروات.

- سيد Seyid tdynf: في غرب تركمانستان جنوب خليج قرا بوغاز.

- شيخ shika: في غرب تركمانستان جنوب خليج قرا بوغاز، وكذلك في شمال كراسنفودسك.

ويُطلق على المجموعات الأربع هذه الصغيرة في عددها: القبائل المقدسة (أولاد علي)، ويحظون بمكانة رفيعة، ويُعتقد أنهم من العرب من سلالة أحد الخلفاء الراشدين الأربعة.



فرقة طلابية موسيقية

يوجد في عشق آباد المتحف القومي الذي تُعرض فيه قطع تراثية من مختلف العصور، إلى جانب نماذج تمثّل حياة التركمان التقليدية والبيئة الطبيعية لها

والمؤكد أن مرو تحوي تحت ثراها، وفي خرائبها، ولدى سكانها كثيراً من كنوز ثقافة الماضي، تحتاج إلى جهد لاستخراجها، والمؤسف أن الحفريات المعاصرة تركّز في حضارات سابقة على الإسلام تقوم بها فرق من بلدان غربية.

نَسَا:

وهي المدينة التي يُنسب إليها أحد أئمة الحديث النبوي الشريف: الإمام أحمد بن علي بن شعيب بن علي بن سنان النَّسائي (ت ٣٠٣هـ/ ٩١٥م). كما يُنسب إليها علماء آخرون كانت لهم مشاركات حافلة في حركة العلم والثقافة. أشار إليها ياقوت في معجمه، ومما قاله: إن اسمها أعجميّ، لكنه ذكر عن أبي سعد السمعاني أن سبب تسميتها بهذا الاسم «أن المسلمين لما وردوا خراسان



في ساحة ضريح يوسف الهمذاني



أطلال قلعة زمخشر

تضم تركمانستان داخل حدودها مجموعةً من المدن التاريخية المشهورة في التاريخ الإسلامي، أهمها مرو، التي فتحها القائد العربي الأحنف بن قيس التميمي

قصدوها، فبلغ أهلها، فهربوا، ولم يتخلّف بها غير النساء. فلما أتاها المسلمون لم يروا بها رجالاً، فقالوا: هؤلاء نساء، والنساء لا يُقَاتَلْنَ؛ فننسأ أمرها إلى أن يعود رجالهن. فتركوها ومضوا، فَسُمُّوا بذلك نساء. والنسبة الصحيحة إليها: نَسائي، وقيل: نسوي أيضاً. وهي مدينة بخراسان، بينها وبين سرخس يومان، وبينها وبين مرو خمسة أيام، وبين أبيورد يوم». وتعليل أبي سعد ضعيف، ولعلّ اسمها أعجميّ في الأصل كما ذكر ياقوت.

وتقع نَسا اليوم على بعد خمسة عشر كيلومتراً غرب عشق آباد، وهي أطلال، وفيها آثار موقع قديم قبل الإسلام تعمل فيه فرق تنقيب روسية وإيطالية، وبالقرب منها بلدة اسمها باغر، لعلها مكان نسا القديمة، وعلى مسافة قريبة منها توجد جبال قريبة من حدود تركمانستان مع إيران.



كرم الضيافة التركماني

الجغرافيا

الأرض:

تتكوّن أرض تركمانستان من هضبة تبدأ من الجنوب الشرقي إلى الشمال الغربي حيث تنحدر إلى صحراء كراكورم (أي: الرمال السوداء)، وهي سهل رملي فسيح تغطّيه الكثبان الرملية، وتمتد في القسم الشمالي من السفوح الغربية لجبال (كوجي داغ) حيث حدودها مع إيران، وتمثّل السلاسل الجبلية الوحيدة بها. ولوجود عدد من الأنهار في منطقة تركمانيا أثره في تخفيف حدة الجفاف؛ فيجري بها قسم من نهر جيحون (أموداريا)، وتصل إليها بعض الأنهار المنحدرة من أفغانستان وإيران؛ مثل: نهر هري، ونهر مرغاب الذي تقع عليه مدينة مرو، ومن إيران نهر هاري رود.

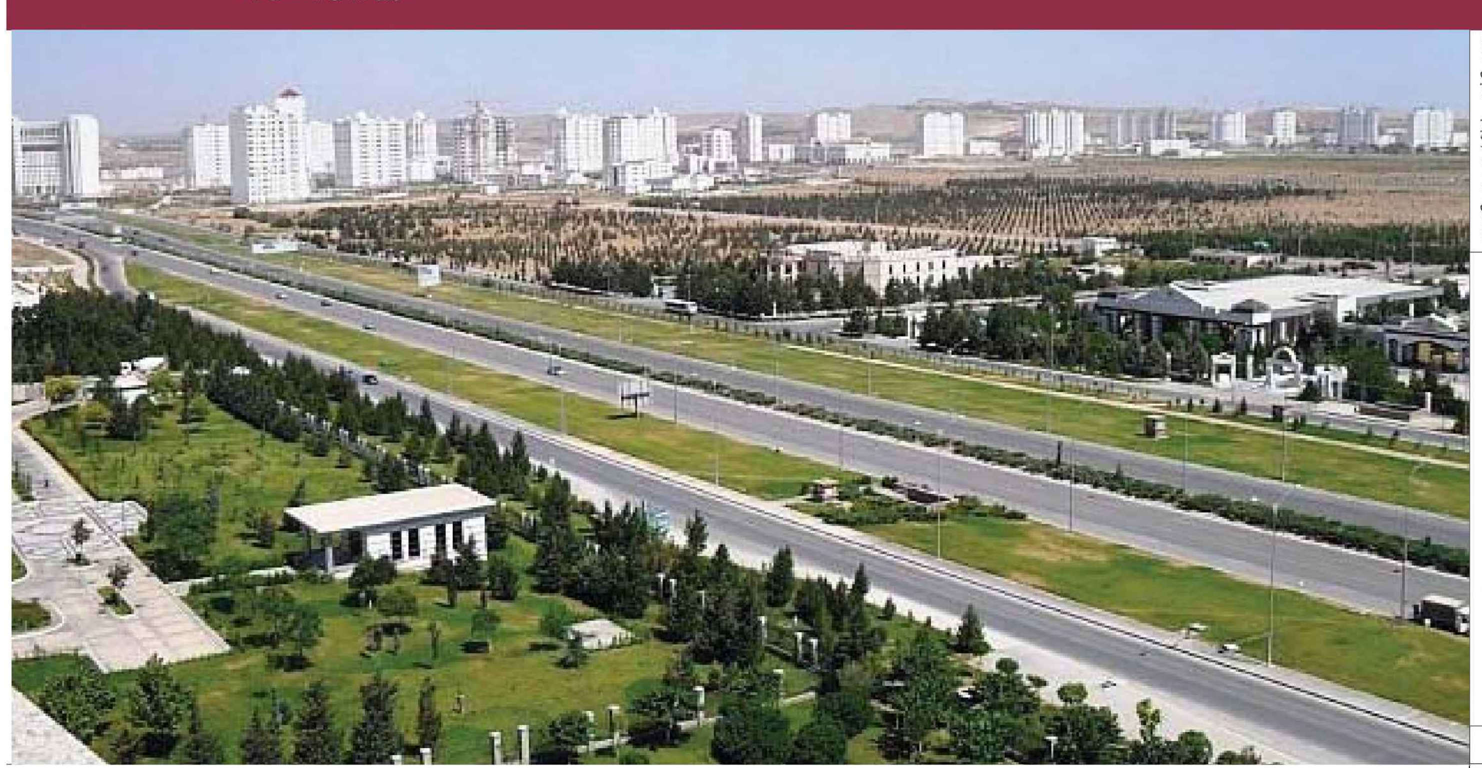
المناخ:

مناخ تركمانستان صحراوي متطرّف بارد في الشتاء، تصل درجة الحرارة فيه أحياناً إلى ما دون الصفر، حارّ في الصيف. إلا أن الجهات المرتفعة تعتدل حرارتها صيفاً، وتسقط عليها أمطار قليلة، لكنها أفضل من القسم الصحراوي في وسط البلاد وشماله.

التضاريس:

معظم الأرض صحراء منبسطة. وتمتد صحراء كراكورم في المنطقة الوسطى، كما تمتد سلسلة جبال كوبيتداج بطول الحدود الجنوبية مع إيران. ويبلغ ارتفاع أعلى قمة ٣١٣٩ متراً، وتعدّ منطقة جبال كوبيتداج من المناطق المنكوبة بالزلازل.

طريق رئيس في عشق آباد



أبيورد:

وهي من مدن خراسان. ذكرها ياقوت، وأشار إلى أنها تقع بين سَرْخَس ونَسا. فُتحت على يد عبدالله بن عامر بن كُرَيْز سنة ٣١هـ/ ٦٥٢م، وقيل: فُتحت قبل ذلك على يد الأحنف بن قيس التميمي. وأشهر الأعلام المنسوبين إليها: الشاعر أبو المظفر محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد الأموي الأبيوردي من قرية كُوفَن إحدى قرى أبيورد. عاش مدةً من حياته في بغداد، وعمل مع الوزير مؤيّد الملك ابن الوزير نظام الملك صاحب المدارس النظامية. له مؤلفات، منها: (تاريخ أبيورد)، و(المختلف والمؤتلف في الأنساب، وأنساب العرب)، وديوان شعر، وكتاب (نقلة المشتاق إلى ساكني العراق)، و(كتاب العجلان في نسب أبي سفيان). توفي بأصبهان سنة ٥٠٧هـ/ ١١١٣م. وهي حالياً أطلال تحتوي على بقايا معالم قديمة قريبة من عشق آباد.

زَمَخْشَر:

قال عنها ياقوت: «قرية جامعة من نواحي خوارزم... وحَدَّث الزمخشري وقال: أما المولد فقرية من قرى خوارزم مجهولة، يُقال لها: زمخشر، سمعت أبي قال: اجتاز بزمخشر أعرابي، فسأل عن اسمها واسم كبيرها، فقيل له: زمخشر، والرَّدَّاء، فقال: لا خير في شَرٍّ ورَدٍّ، ولم يلم بها». وأشهر من نُسب إليها: جار الله محمود بن عمر الزمخشري صاحب التفسير، و(أساس البلاغة)، و(الفائق في تفسير الحديث)، وغيرها. رحل إلى مكة، وجاور بها، ثم عاد إلى زمخشر، وتوفي فيها سنة ٥٣٨هـ/ ١١٤٤م.

وزمخشر اليوم أطلال تضمّ قلعة مهدمة، وتحيط بها بعض القرى، وأرضها منبسطة، ويوجد فيها ضريح بُني حديثاً على قبر الإمام الزمخشري، وهي قريبة من مدينة داش أوغوز في شمال تركمانستان قرب حدودها مع أوزبكستان.

آمُل:

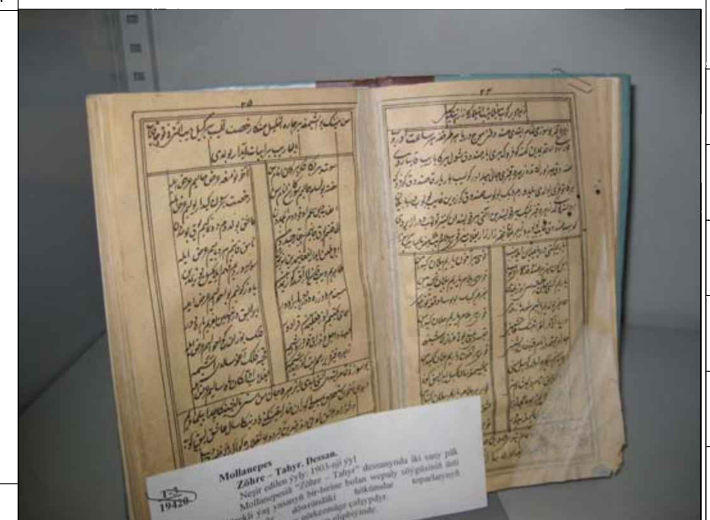
ذكرها ياقوت فقال: «مدينة مشهورة في غربي جَيْحُون على طريق القاصد إلى بخارى من مـرو... ويقال لهذه: آمُل زوم، وآمُل جيحون، وآمُل الشط، وآمُل المفازة؛ لأن بينها وبين مرو رمالاً صعبة المسالك، ومفازةً أشبه بالمهالك. وتسمى أيضاً

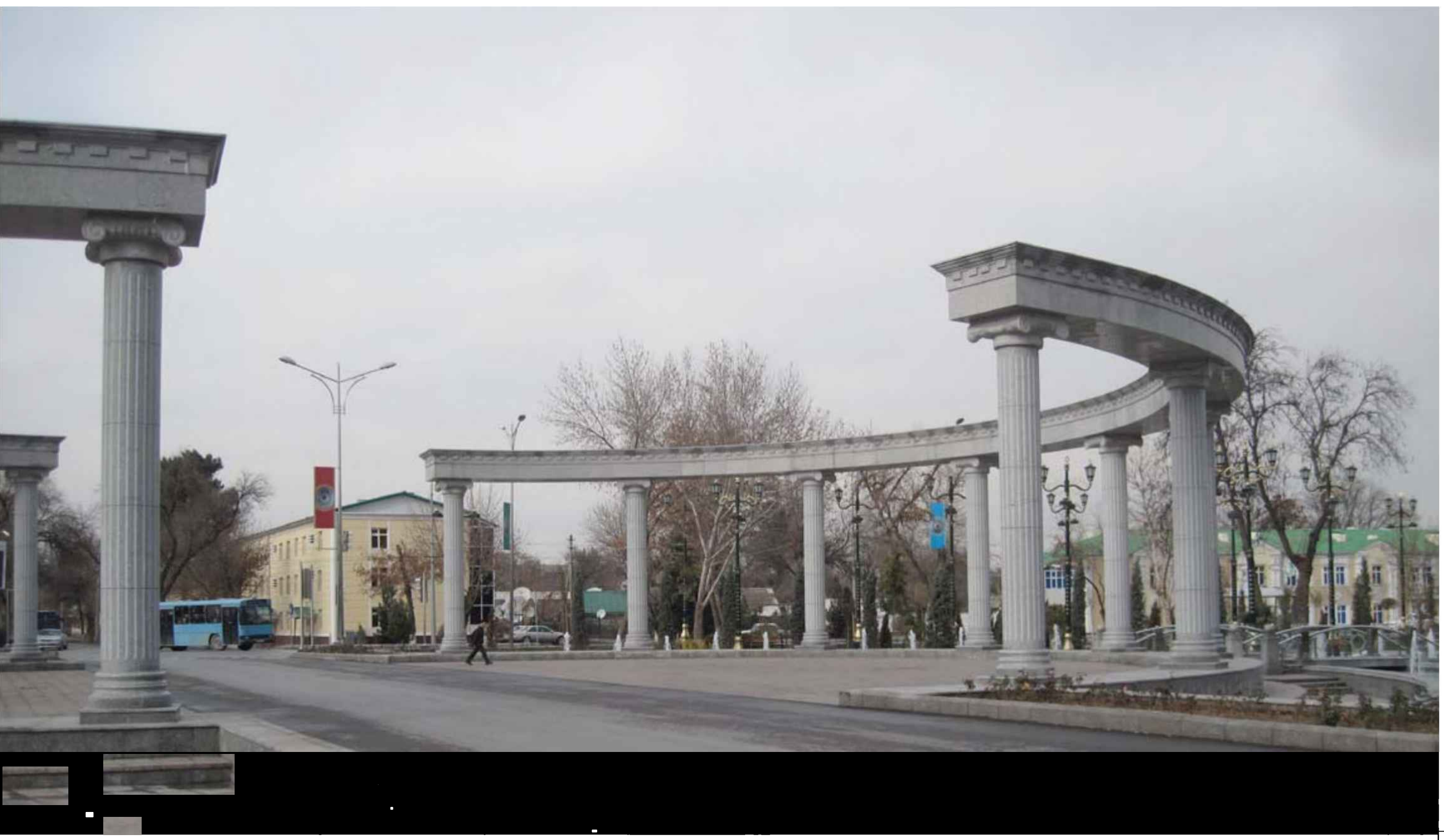
التقسيم الإداري

تُقسَّم الأراضـي التركمانية خمس ولايـات، كما تقسّم الولايات أقضيةً تُعرف بـ(إتراب) (بالتركمانية Etrap).

الولاية	مركز المحافظة	المساحة	عدد السكان (إحصاء عام ٢٠٠٥م)
آخال	عشق آباد	٩٧,١٦٠ كم² (٣٧,٥١٠ ميل²)	٩٣٩,٧٠٠
بلقان	بلقان آباد	١٣٩,٢٧٠ كم² (٥٣,٧٧٠ ميل²)	٥٥٣,٥٠٠
داش أوغوز	داش أوغوز	٧٣,٤٣٠ كم² (٢٨,٣٥٠ ميل²)	١,٣٧٠,٤٠٠
لباب	تركمان آباد	٩٣,٧٣٠ كم² (٣٦,١٩٠ ميل²)	١,٣٣٤,٥٠٠
مرو	مرو	٨٧,١٥٠ كم² (٣٣,٦٥٠ ميل²)	١,٤٨٠,٤٠٠

كتاب بالتركمانية والحرف العربي





مجسم جمالي في أحد ميادين عشق آباد

آمُو وآمُويه». ويُنسب إليها علماء مشاهير، منهم: عبدالله بن حماد بن أيوب الآمُلي؛ مُحَدِّثٌ روى عنه الإمام البخاري، توفي سنة ٢٦٩هـ/ ٨٨٢م، وعبدالله بن علي أبو محمد الآمُلي المتوفَّى بعد سنة ٣٣٨هـ/ ٩٤٩م، وهو مُحَدِّثٌ روى عنه أبو داود. خرّبها التتار، وهجرها سكانها، ولم يكن بها أحد في عصر ياقوت (القرن السابع الهجري)، وتقع اليوم في غرب تركمانستان قريباً من حدود أوزبكستان في ولاية لباب، وهي أطلال في الوقت الراهن، فيها آثار قديمة سابقة على الإسلام، إضافةً إلى آثار إسلامية.

سَرْخَس:

وصفها ياقوت بأنها مدينة قديمة من نواحي خراسان كبيرة واسعة، وهي بين نيسابور ومرو في وسط الطريق، صحيحة التربة، والغالب على نواحيها المراعي، قليلة القرى، وقد خرج منها كثير من الأئمة، ولأهلها يد باسطة في عمل المقانع والعصائب المنقوشة المذهبة. وأجمل كي لسترينج في كتابه (بلدان الخلافة الشرقية) معلومات عنها استقاها من المصادر العربية التراثية؛ فذكر - نقلاً عن المقدسي - أن فيها جامعاً وأسواقاً حسنة، ولها بساتين كثيرة في أرباضها. وقال القزويني: إنها مدينة كبيرة آهلة، ووصفها المستوفي في القرن الثامن الهجري فقال: إن دورها خمسة آلاف خطوة، وعليها قلعة حصينة، ويكثر فيها البطيخ والعنب.

وافتُتحت سرخس في الثلث الأول من القرن الهجري الأول، ومن المشاهير المنسوبين إليها: الفيلسوف أحمد بن محمد الطيب السرخسي المتوفَّى سنة ٢٨٦هـ/ ٨٩٩م، وكان من تلاميذ يعقوب بن إسحاق الكندي، وكان مؤدب الخليفة المعتضد بالله ومن ندمائه. ومحمد بن علي بن عبدالرحمن بن الجنيد المتوفَّى سنة ٢٦٥هـ/ ٨٧٩م، وهو ممن سكنوا بغداد، وحدَّث بها، وقاضي البصرة عبدالرحمن بن محمد السرخسي المتوفَّى سنة ٤٣٩هـ/ ١٠٤٧م،

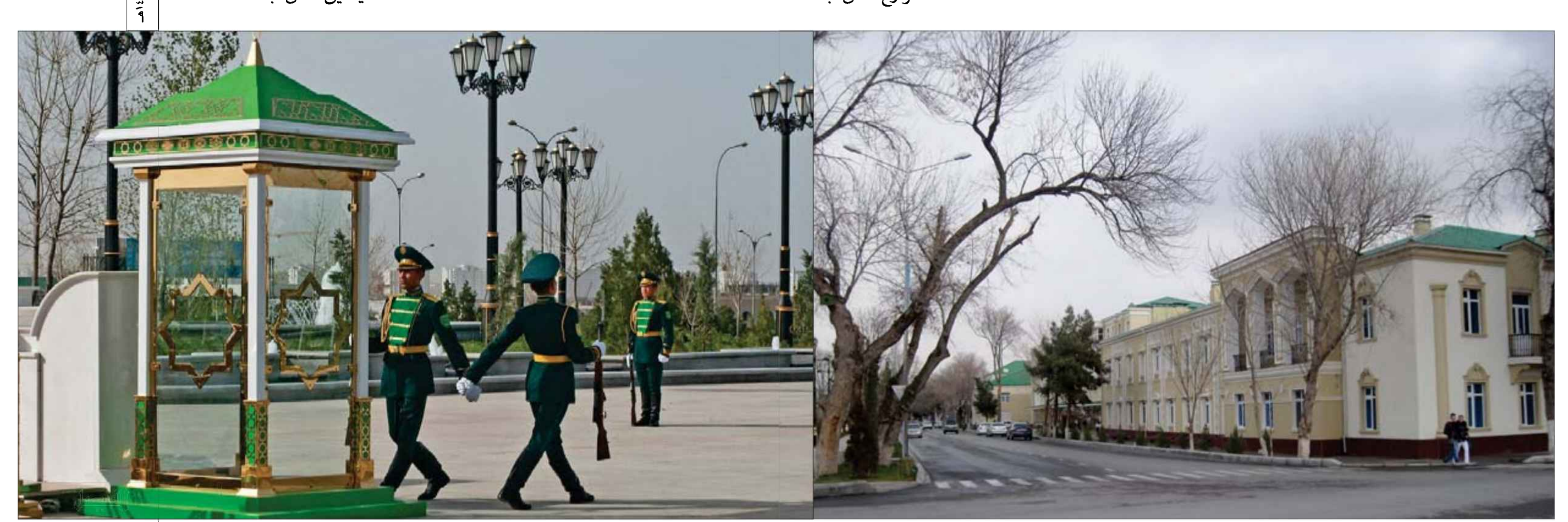
وزاهر بن أحمد السرخسي المتوفَّى سنة ٣٨٩هـ/ ٩٩٩م؛ الإمام المحدث شيخ عصره بخراسان، وأبو الرضا المرتضى بن حمزة السرخسي العلوي المتوفَّى سنة ٥٤١هـ/ ١١٤٦م، وأبو الحسن محمد ابن أحمد بن أبي سعيد السرخسي الشيباني المتوفَّى سنة ٤٤٥هـ/ ١٠٥٣م. وقد دمّرها المغول في القرن السابع الهجري.

وأشهر أعلامها: أبو بكر شمس الأئمة محمد بن أحمد بن أبي سهل السرخسي المتوفَّى في نحو سنة ٥٠٠هـ/ ١١٠٧م، صاحب كتاب المبسوط الذي يعدّ من المراجع الأساسية في الفقه الحنفي، وهو مطبوع في خمسة عشر مجلداً.

وتقع سرخس في الوقت الراهن في جنوب تركمانستان قرب حدود إيران، وهي مدينة صناعية، توجد بها معامل للغاز، وتجري فيها تنقيبات أثرية في مواقع قديمة لحضارات سابقة على الإسلام، كما تضم معالم أثرية كثيرة، وفيها مطار إقليمي، ومحطة رئيسة للقطارات.

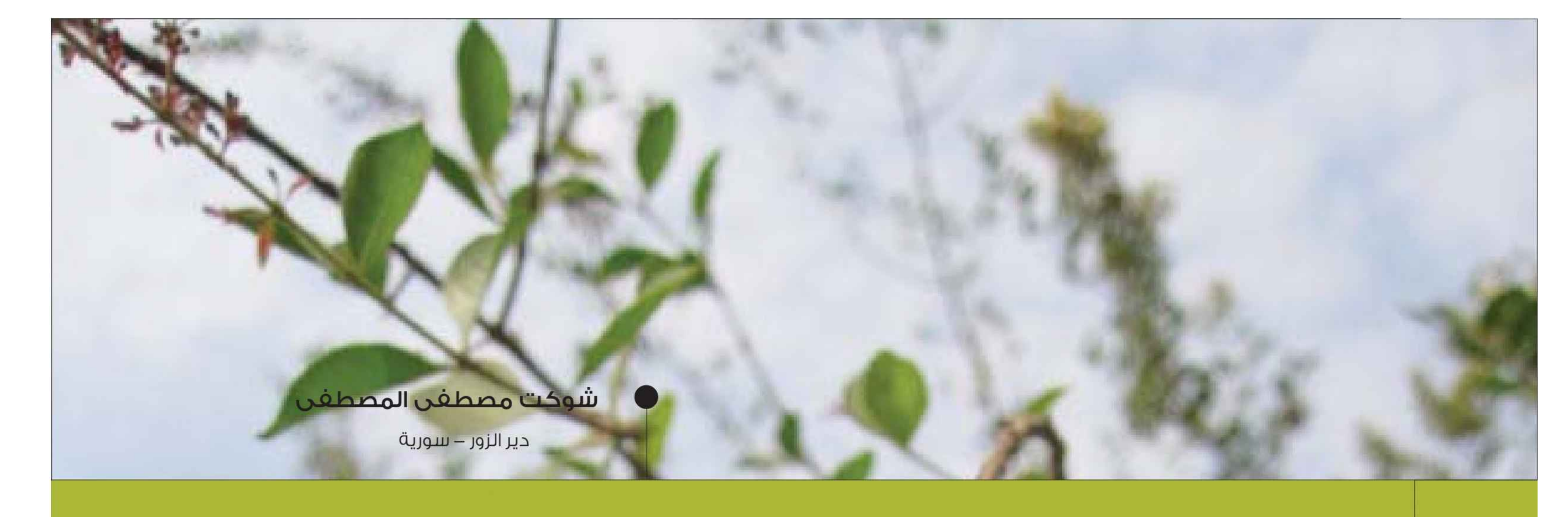
خاتمة

تشهد تركمانستان اليوم في مختلف مناطقها نهضةً كبيرةً في كثير من المجالات، وقد انفتحت على العالم في عهد رئيسها الحالي الدكتور قربان قولي بيردي محمدوف، ويتقاطر عليها المستثمرون من العالم الغربي، كما أن لتركيا وجوداً ظاهراً فيها؛ إذ تعمل فيها شركات تركية كثيرة. أما الوجود العربي فضعيف جداً، وليس أدلّ على ذلك من أن حركة الطيران بينها وبين العالم العربي تقتصر على رحلات بين عشق آباد ودبي وأبو ظبي تقوم بها طائرات تابعة للخطوط التركمانية وشركة طيران دبي، ومعظم المسافرين عليها من التركمان أو الروس المقيمين فيها بقصد التجارة. أما العلاقات الثقافية فهي ضئيلة أيضاً، وتؤكد الأيام الثقافية السعودية التي عُقدت في عشق آباد ومرو في يناير من هذا العام شغف التركمان بالتعرف إلى إخوانهم العرب وثقافتهم، وتبيّن ذلك من كثافة حضورهم كلّ المناسبات، واهتمامهم الملحوظ بالوفد السعودي على كلّ المستويات. ولا شك أن هناك حاجةً ماسةً وسريعةً إلى تأسيس مركز ثقافي عربي يُعرِّف بالقواسم المشتركة بين العرب والتركمان، ويتيح للتركمان تعلُّم العربية، ويسهم في عمليات التنقيب لتوضيح مكانة تركمانستان في التاريخ الإسلامي، ويُنشِّط من تبادل الوفود العلمية، ويسهم في عقد مؤتمرات وندوات. كما أن الحاجة ضرورية لتوثيق العلاقات السياسية والاقتصادية بين دول العالم العربي وتركمانستان.



أحد شوارع عشق آباد

أحد ميادين عشق آباد



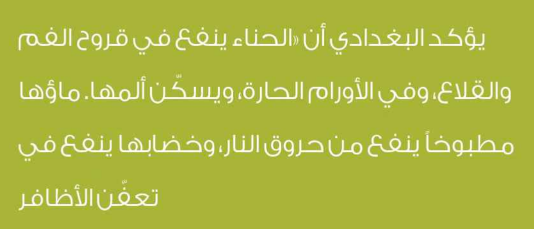
شوكت مصطفى المصطفى

دير الزور – سورية

نبات الحناء

صحة





يؤكد البغدادي أن «الحناء ينفع في قروح الفم والقلاع، وفي الأورام الحارة، ويسكّن ألمها. ماؤها مطبوخاً ينفع من حروق النار، وخضابها ينفع في تعفّن الأظافر

الحناء اسم شائع لشجيرة صغيرة تُستخلص صبغة من أوراقها. تنمو هذه الشجيرة في الأمكنة الرطبة من شمال إفريقية وجنوب آسيا، وهي تحمل أزهاراً صغيرة بيضاء أو وردية اللون لها شذا، وتتجمع على شكل عنقود. إن الصبغة ذات اللون البرتقالي المنتجة من أوراقها تستخدم مادةً تُكسب الشعر اللون المحمرّ. وتستخدم النساء في البلدان الإسلامية هذه الصبغة لصبغ أطرافهم، وأظافر أصابعهم، وأجزاء من أقدامهم. أما عند الرجال فيستخدمونها لصبغ لحاهم. كما استخدمت هذه الصبغة قديماً لتخضيب جلد الأحصنة، وحوافرها، وشعر رقابها. وينتمي نبات الحناء إلى الفصيلة eaecarhtyL، واسمه بالإنجليزية anneH، أما اسمه العلمي فهو simreni ainoswaL.



لمحة تاريخية

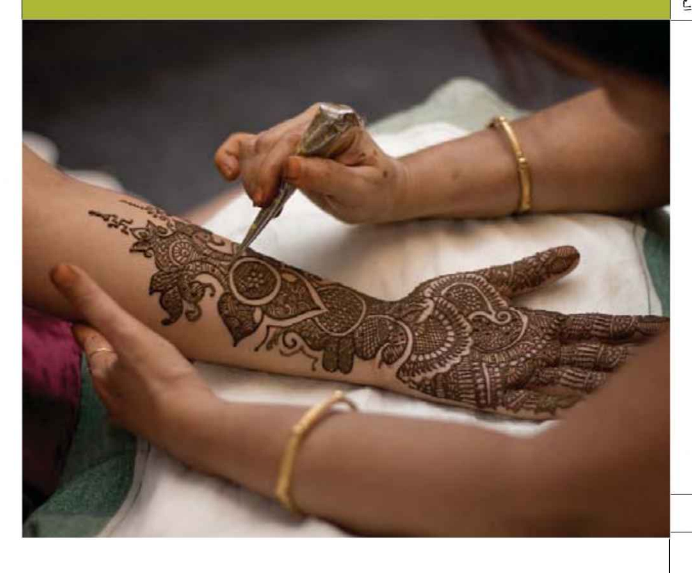
عُرف الحناء منذ القدم؛ فقد استعمله الفراعنة في أغراض شتّى؛ إذ صنعوا من مسحوق أوراقه معجوناً لتخضيب الأيدي، وصباغة الشعر، وعلاج الجروح، واتخذوا عطراً من أزهاره. كما استعمل الفراعنة العجينة المحضّرة من الحناء على جبهة المريض عند شكواه من الصداع، واستخدموها في تخضيب مومياواتهم، وقد عُثر على مومياوات غُطّيت بقماش مصبوغ بالحناء، وكان استعمال الحناء قبل حفلة الزواج تقليداً فرعونياً.

كما عرف العرب الحناء، وأورده الشعراء في قصائدهم، كما قال النابغة الذبياني في وصف المتجردة زوجة النعمان بن المنذر:

سقط النصيف ولم ترد إسقاطه
فتناولته واتّقتنا باليدِ
بمخضب رخص كأن بنانه
عنمٌ يكاد من اللطافة يُعقدُ

العددان ٤٢١-٤٢٢ / رجب - شعبان ١٤٣٢هـ

ثبت أن للحناء خاصيةً مهمةً، هي أنها تعمل مضاداً للفيروسات؛ إذ ثبت بالتجربة فائدتها في علاج الثؤلول الذي يصيب الجلد



يصوِّر هذا الشاعر سقوط نصيفها من رأسها دون قصد منها، فتناولته سريعاً، وحجبت وجهها بكفّيها المخضبتين بالحناء، وشبّه أصابعها الغضة بنوع من أغصان شجرة العنم المعروف بليونته ورقته واستقامته. وقال أحد الشعراء معاتباً محبوبته:

وإن حلفت لا ينقض النأي عهدها
فليس لمخضوب البنان يمينُ

مخضوب البنان: كناية عن المرأة، وعنى بها الشاعر من وقع قلبه في غرامها، التي حلفت له أن البُعد لن يغيّر العهد الذي قطعته على نفسها بعدم نسيانه، لكنه يستبعد صدقها؛ فليس للمرأة يمين على حدّ قوله.

الحناء في السنة النبوية

استخدم الحناء في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم لبعض أمراض القدمين، والسحجات، والوخزات؛ فعن سلمى أم رافع

خادمة النبي صلى الله عليه وسلم، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شكا إليه أحد وجعاً في رأسه إلا قال: «احتجم»، ولا شكا إليه وجعاً في رجليه إلا قال له: «اختضب بالحناء»[1]. وعنها رضي الله عنها قالت: كان لا يصيب النبي صلى الله عليه وسلم قرحة ولا شوكة إلا وضع عليها الحناء[2]. والقرحة هي: الخدش أو السبخة، والشوكة معروفة. قال محمود ناظم النسيمي في تفسيره لاستخدام رسول الله صلى الله عليه وسلم الحناء لأمراض الرجلين: «إن أمراض القدمين التي يحتمل أن تستفيد من الحناء هي السحجات والوخزات التي قد تنجم عن السير في الطرقات الوعرة أو الأراضي الشائكة، وكذلك الداء الفطري للمسافات بين الأصبعية... والحناء قابض، والتقبيض يجفّف الجلد، ويقسّيه، ويمنع تعطينه؛ مما يخفّف ويكافح استيلاء الخمائر والفطور. كما أنه يساعد على سرعة شفاء الوخزات والسحجات والقروح السطحية»[3].

وروى ابن ماجه في سننه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا صُدِّع غلّف رأسه بالحناء، ويقول: «إنه نافع بإذن الله من الصداع».

يفسّر ابن قيّم الجوزية استخدام النبي صلى الله عليه وسلم الحناء في مرض الصداع بقوله: «فعلاج الصداع بالحناء هو جزئي لا كلّي، وهو علاج نوع من أنواعه؛ فإن الصداع إذا كان من حرارة ملتهبة، ولم يكن من مادة يجب استفراغها، نفع فيه الحناء نفعاً ظاهراً. وإذا دُقّ وضُمِّد به الجبهة مع الخلّ سكّن الصداع. وفيه قوة موافقة للعصب إذا ضُمِّد به سكّن أوجاعه. وهذا لا يختصّ بوجع الرأس، بل يعمّ الأعضاء. وفيه قبضٌ تشدُّ به الأعضاء، وإذا ضُمِّد به موضع الورم الحار الملتهب سكّنه»[4].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن اليهود والنصارى لا يصبغون، فخالفوهم»، رواه البخاري ومسلم. وعن أنس رضي الله عنه قال: «اختضب أبو بكر بالحناء والكَتَم[5]، واختضب عمر بالحناء بحتاً؛ أي: صرفاً»، رواه مسلم. وعن أبي ذرّ رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن أحسن ما غيّرتم به الشيب: الحناء، والكَتَم»، رواه الترمذي وقال: حديث صحيح[6]. وعن عثمان بن وهب قال: «دخلت على أم سلمة، فأخرجت لنا شعراً من شعر النبي صلى الله عليه وسلم مخضوباً»، رواه البخاري.

قال الإمام النووي - رحمه الله -: «ومذهبنا استحباب خضاب الشيب للرجل والمرأة بصفرة أو حمرة، ويحرم خضابه بالسواد على الأصح، وقيل: يكره كراهة تنزيه، والمختار التحريم، ورخّص فيه بعض العلماء للجهاد فقط».

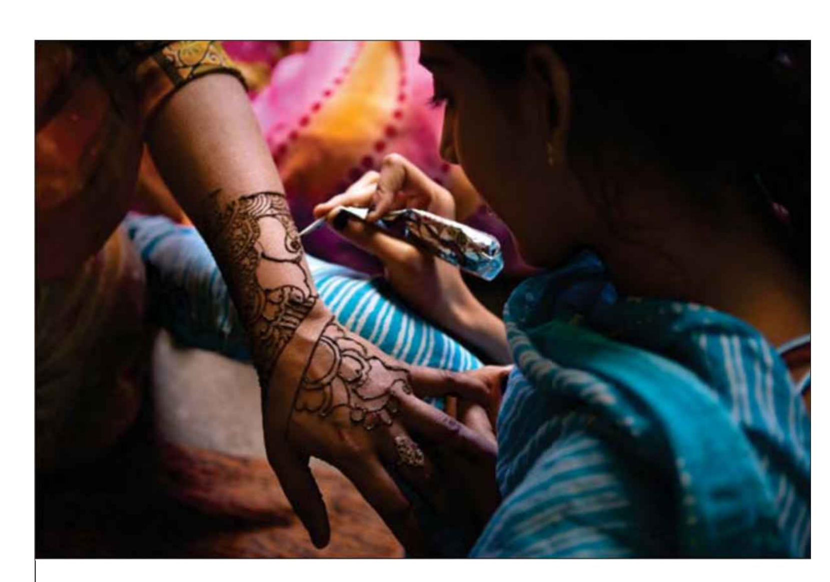
أقوال العلماء المسلمون في الحناء

يقول ابن قيّم الجوزية: «قوة شجرة الحناء وأغصانها مركّبة من قوة محلّلة اكتسبتها من جوهر فيها مائيّ حار باعتدال، ومن قوة قابضة اكتسبتها من جوهر فيها أرضيّ بارد. ومن منافعه: أنه محلّل نافع من حرق النار، وفيه قوة موافقة للعصب إذا ضُمِّد به، وينفع إذا مُضِغ من قروح الفم والسلاق العارض فيه، ويبرئ القلاع الحادث في أفواه الصبيان. والضماد به ينفع من الأورام الحارة الملهبة، ويفعل في الخرّاجات فعل دم الأخوين (وهو من الأعشاب)، وإذا خلط نَوْره (زهره) مع الشمع المصفّى ودهن الورد ينفع من أوجاع الجنب»[7].

وقال ابن سينا عن الحناء: « فيه تحليل وقبض وتجفيف بلا أذى، محلّل مفشّش، مفتّح لأفواه العروق، ولدهنه قوة مليّنة جداً، وطبيخه نافع من الأورام الحارة البلغمية الخفيفة»[8].

وذكر داود الأنطاكي في كتابه (تذكرة أولي الألباب الجامع للعجب العجاب) كثيراً من استعمالات الحناء الطبية، منها قوله:

نقش الحناء فن متجدد





مسحوق الحناء

«ليس في الخضابات أكثر سرياناً منه إذا خضبت به اليد، وتشتد حمرة البول بعد عشر درجات، فبذلك يطرد الحرارة، ويفتح السدد. وطبيخه أو سحيقه عظيم النفع في قلع البثور وأصناف القلاع، وماؤه يفتح السدد، ويذهب اليرقان والطحال، ويفتّت الحصى، ويدرّ البول. وربّ مثقال من زهرة بثلاث أواقٍ من الماء والعسل يقطع النزلات وأصناف الصداع، ويجفف الرطوبات الكثيرة. وكذا إذا ضُمّدت به الجبهة مع الخلّ، وهو السمن، ودهن الورد يحلّ أوجاع الجنبين والمفاصل، سواء في ذلك الزهر وغيرها، ويلمّ الجراح، ويحلّل الأورام، ويذهب قروح الرأس، ويصلح الشعر»[٩].

يقول الموفّق البغدادي: «لون الحناء ناري محبوب، يُهيّج قوى المحبة، وفي رائحته عطرية، وقد كان يخضب به معظم السلف». ويؤكد البغدادي أن «الحناء ينفع في قروح الفم والقلاع، وفي الأورام الحارة، ويسكّن ألمها. ماؤها مطبوخاً ينفع من حروق النار، وخضابها ينفع في تعفّن الأظافر، وإذا خُضّب به المجدور في ابتدائه لم يقرب الجدري عينيه». واستخدم الرجال الحناء قديماً في العصور الإسلامية في صبغ لحاهم، ويورد ابن الجزار في كتابه (زاد المسافر) صفة خضاب يسوّد لون الشعر فيقول: «يؤخذ حناء مطحون، فيضرب بماء حتى يصير رقيقاً، ثم تأخذ بعد ذلك خلاً جيداً من عنب أسود إن أمكنك، ويضرب منه الحناء، ويسير من الماء والحناء في إنبيق، ويصعده، ويؤخذ ما قطر منه ليخضب به الشعر الأبيض ثلاثة أيام متوالية؛ فإنه يسوّد الشعر».

تحضير مسحوق الحناء

نقوم بجمع أوراق النبات وفروعه الخضرية الطرية، ثم نقوم بتجفيفها في الظلّ، مع التقليب من وقت إلى آخر حتى لا تتعفّن، ثم نقوم بفصل الأوراق عن الفروع الخضرية، ثم تُغربل لنتخلّص من الشوائب العالقة بها قبل أن تطحن على شكل مسحوق يكون لونه كستنائياً مشوباً بالحمرة، وله رائحة قوية.



استخدم الحناء في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم لبعض أمراض القدمين، والسحجات، والوخزات؛ وروى ابن ماجه في سننه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا صُدّع غلّف رأسه بالحناء

الحناء في التراث الشعبي

عرف العرب الحناء والتخضيب به منذ القدم؛ إذ يستخدم في تزيين أيدي النساء وأرجلها بطريقة ما يُسمَّى (النقش بالحناء)، التي كانت تأخذ أشكالاً مختلفة، منها المثلثات والدوائر، لكنها باتت اليوم تأخذ أشكالاً فنية مختلفة تستخدم فيها نقوش الورود أو الأزهار أو حتى الأوراق والتفرّعات. وهذه الزينة معروفة في معظم الدول العربية، ومنها دول الخليج بالطبع؛ ففي تقاليد سكان الإمارات تعدّ (ليلة الحناء) من الأمور المهمة للعروس التي يجب القيام بها قبل الزفاف، وهي عادة اجتماعية للنساء فقط، سواء أكنّ فتيات أم كباراً في السن. ومن الاستخدامات الشعبية للحناء في علاج بعض الأمراض[١٠]:

- تخضيب شعر الرأس لتقويته ومنع تساقطه.
- يستخدم الحناء ضماداً لتخفيف أورام القدمين أو الكدمات التي أصابتها.
- تستعمل عجينة الحناء في علاج الأمراض الجلدية والفطرية، خصوصاً الالتهابات بين أصابع القدم الناتجة من نمو أنواع من الفطريات. وتشمل هذه الوصفة العلاجية الشعبية خليطاً من مسحوق الحناء، ومسحوق زهر الورد، ومسحوق ورق الأس.
- دهن عجينة الحناء على رأس المريض عند شكواه من الصداع والصداع النصفي لتسكين الألم.
- تستعمل عجينة الحناء عوضاً من المراهم في علاج تشقّقات الجلد في أصابع القدمين وغير ذلك.
- يستعمل بعض الناس منقوع الأوراق بما فيه من مواد قابضة للغرغرة في حالات التهاب اللوزتين، ويستعمل منقوع الأزهار في حالات الصداع.

المكونات الفعالة في الحناء

تحتوي أوراق نبات الحناء وفروعها الخضرية الصغيرة على صبغة تدعى لاوسون سنتكلم عنها بشيء من التفصيل. كما توجد في الأوراق أيضاً راتنجات resins، وتانينات تسمّى حناتانين، ودهـون، وعـدد مـن المركبـات؛ مثل: كومـاريـن Comarins، وليوتيولين Luteolin، ومانيت Mannite. وتحتوي أزهار الحناء على زيت عطري يُوجد فيه مركب أونون Inone من نوع ألفا وبيتا.

صبغة لاوسون

هـي مـن الصبغات الطبيعية التـي تستخرج مـن أوراق نبات الحنـاء ونبـات المجـزاعـة، واسـم الصبغة بالإنجليزية (Lawson)، أمـا اسمها العلمي فهو ٢ هيدروكسي ٤,١ ثنائي تفتوكينون، كما يُعرف بحمض الحنـاء. وقد استخدم الإنسان مستخلص الحناء الذي يحتوي على (لوسون) خضاباً للشعر والجلد منذ أكثر مـن ٥٠٠٠ عـام، وهـو ذو لـون أحمر برتقالي. ويمكن لصبغة لوسون أن تتفاعل وفق تفاعل ميخائيل (Michael addition) مـع بـروتـين الكيراتـين في الجلد والشعر؛ مما يعطي صبغاً دائماً قوياً يدوم حتى سقوط الشعر أو الجلد. وتمتصّ صبغة لوسون الأشعة فوق البنفسجية، ومحاليلها المائية يمكن أن تكون حاجبةً فعّالة لأشعة الشمس، وهي مناسبة لصباغة الصوف والحرير والشعر. وتشبه صبغة لوسون كيميائياً صبغة (جغلون) الموجودة في شجرة الجوز[١١].

لاحظ العلماء أن صبغة لوسون توجد في أوراق جميع أنواع الجنس النباتي Lawsonia SP، كما يمكن تحضيرها صناعياً في المعمل، علماً أن هذه الصبغة تكون في صورتها النقية على شكل بلورات برتقالية اللون تذوب بالتسخين على درجة حرارة تراوح بين ١٩٠ و١٩٥ درجة مئوية[١٢].

أضرار صبغة لوسون على الأطفال

درس فريق من الأطباء الأمريكيين المتخصّصين في أمراض الأطفـال التـأثيرات المحتملة الفعالة لمركب لوسون الموجود في الحناء عند وضعه على الجلد، فأظهرت نتائج دراساتهم التي نشروها في مجلة الأطفال الرضع (Paediatrics) بعد تجاربهم المخبرية على عيّنات من الدم البشري أن مركب لوسون يرفع تركيز مركب (Methaemoglobin) في الـدم، ويكون بدرجة أعلى في دم الأشخاص الذين يعانون حالة نقص إنزيم جلوكوز ٦ فوسفات ديهيدروجينيز، المعروف بحالة تسمّم الفول Favism، وهو اضطراب أيضي خلقي. ونتيجةً لهذه الدراسة اقترح هؤلاء الأطباء أن الحناء قد يكون السبب غير المعروف لحدوث ارتفاع في نسبة مركب بليروبين Bilirubin في دم الأطفال الصغار السن، خصوصاً الذين يعانون حالة التسمم بالفول Favism، أو ما يسمى حالة نقص

للحناء .. فوائد

يعدّ الحناء نباتاً مفيداً بامتياز كما أكّدت السنة النبوية والدراسات العلمية الحديثة واستعمالاتها الشعبية منذ القدم؛ لذا ينصح باستخدامه، مع مراعاة عدم استعماله للأطفال، خصوصاً المصابين بمرض تسمّم الفول، وكذلك للأطفال المصابين بمرض فقر الدم التحلّلي. وعلى كل حال، تعدّ صبغة نبات الحناء طبيعية، وهي أفضل صحياً بكثير من الصبغات المحضرة صناعياً؛ لما في الأخيرة من تأثيرات جانبية ضارة بالصحة.

نقش الحناء في اليد مهم للعروس في كثير من الدول العربية

إنزيم جلوكوز ٦ فوسفات ديهيدروجينيز؛ لذا يُحظر استعمال الحناء للأطفال الذين يعانون حالة التسمم بالفول وفقر الدم التحللي[١٣].

الاستخدام التجاري للحناء

تعدّدت الأنواع التجميلية التي يدخل في تركيبها مسحوق أوراق الحناء؛ إذ استخدمت صبغة لوسون في تحضير كريمات واقية من الشمس، لكن العلماء لم يكتشفوا أيّ دليل علمي على وجود أيّ خواصّ واقية ضد أشعة الشمس في مركب لوسون وحده. كما يستخرج من أزهار نبات الحناء زيت عطري له رائحة جميلة يدخل في تركيب مستحضرات بعض العطور.

الاكتشافات الحديثة لفوائد الحناء

يستعمل الحناء لعلاج الحروق؛ إذ يتم وضع مسحوق الحناء على الجزء المحروق، ووجد أنها تقلّ من الألم، وتقلّل من كمية الماء المفقود من منطقة الحرق، وهو عامل مهم جداً في حالة الحروق الكبيرة، التي يكون فقدان الماء فيها من العوامل المهمة التي تهدّد حياة المصاب. كما يلتصق المسحوق بالجزء المحروق، ويكوّن طبقةً لا تنفصل حتى يلتئم الحرق، وهذا الأمر يعمل أيضاً على تقليل الالتهابات، وهي من العوامل المهمة التي تهدّد حياة المصاب أيضاً.

كما ثبت أن للحناء خاصيةً مهمةً، هي أنها تعمل مضاداً للفيروسات؛ إذ ثبت بالتجربة فائدتها في علاج الثؤلول Warts الذي يصيب الجلد، خصوصاً عندما تكون مقاومةً للعلاج بالطرائق المعروفة، أو عندما تكون متعددة. كذلك يمكن استعمالها في علاج لطمة الحمى Herpes simplex التي تصيب الأعضاء التناسلية كعدوى، وهي من الأمراض المقاومة للعلاج عادةً. وهذه الخاصية المضادة للفيروسات يمكن أن تتوسّع في علاج مرض الإيدز.

ويساعد الحناء في التئام الجروح المزمنة، خصوصاً التي تصيب مرضى السكر في الأقدام، وكذلك يقلّل من الإصابات بهذه الجروح؛ إذ يقوّي الجلد، ويجعله أكثر مقاومةً ومرونةً. كما إن الحناء عامل مساعد ضد النزيف عند وضع مسحوق الحناء على مكان النزف؛ إذ يكوّن طبقةً تلتصق بالمكان، وتمنع النزيف، وتبقى في المكان حتى التئام مكان النزف[١٤].

تناول د. مالك زادة - أستاذ الميكروبات والجراثيم في جامعة طهران - في دراسة مهمة نُشرت في بعض المواقع العلمية الأمريكية تأثير نبات الحناء في البكتيريا والجراثيم، وتوصّل إلى

نتائج ممتازة في القضاء على أنواع متعددة منها. وورد في موقع Plant cultures[١٥]: «كشفت بعض الدراسات العلمية الحديثة أن للحناء تأثيراً في جسم الإنسان بإبطاء معدل نبضات القلب، وخفض ضغط الدم، وتخفيف التشنجات للعضلات، وتخفيف آلام الحمى؛ إذ يمكن عدّه مسكّناً». واستخلص العلماء من أوراق نبات الحناء الكاملة مضادات للبكتيريا والفطريات والجراثيم، كما أن مطحون هذه الأوراق يمكن أن يعالج بعض الأمراض المعوية[١٦]. وسجّلت براءة اختراع في بريطانيا لمستحضر طبي مضاد للبكتيريا مستخلص من الحناء. وأثبتت الدراسة المخبرية وجود مركبين، هما: Lawsone وisoplumbagin، لهما تأثير فعّال في القضاء على السرطان[١٧].

أما د. حسين الرشد - الطبيب والباحث في الجراثيم والميكروبات في الجامعات الأمريكية - فيعرض خلاصة تجاربه على الحناء في دراسة نشرها على الإنترنت[١٨]، نلخّص منها هذه الفوائد في النقاط الآتية:

- للحناء تأثير شفائي كبير؛ فهو يحتوي على عدد من المواد العلاجية المهمة؛ مثل: Tanine، وأصباغ أخرى مفيدة لها تأثير كبير في القضاء على الميكروبات والفيروسات.
- عندما توضع الحناء على الحروق من الدرجة الأولى والثانية يعطي نتائج جيدة في العلاج، كما أنه يقلّل من الآلام الناتجة من الحروق.
- للحناء أثر في التئام الجروح، خصوصاً القروح المزمنة والإكزيما، كما استعمل في علاج التقرحات التي تصيب القدم، وثبت أن له تأثيراً فعالاً جداً.
- استعمل الحناء في إيقاف نزف مقدمة الأنف، ونزف الأنف الخلفي، ونزف قرحة الاثني عشر.
- للحناء تأثير مضاد للفيروسات، ويظهر ذلك واضحاً من خلال نتائجه في علاج الثآليل الكبيرة منها والمتعددة؛ إذ يتم إلصاق معجون الحناء على الثآليل. كما يمكن استعمال الحناء لمعالجة مرض الإيدز، وهو علاج رخيص وليس له أعراض جانبية.
- يمكن استعمال الحناء في الطب الوقائي، خصوصاً لحماية أقدام مرضى السكري. وينصح د. حسين الرشد مرضاه باستعمال الحناء مرةً في الشهر على الأقلّ. كما يمكن استعمال الحناء في علاج ألم الظهر ومرض التهاب القولون التقرّحي من خلال وضعه في حقنة شرجية.

عُرف الحناء منذ القدم؛ فقد استعمله الفراعنة في أغراض شتّى؛ إذ صنعوا من مسحوق أوراقه معجوناً لتخضيب الأيدي، وصباغة الشعر، وعلاج الجروح، واتخذوا عطراً من أزهاره

المراجع والهوامش

(١) رواه البخاري في تاريخه، وأبو داود في الطبّ برقم ٣٨٥٨، وقال الأرناؤوط: هو حديث حسن.
(٢) رواه الترمذي برقم ٢٠٥٥، وقال: حديث حسن غريب. كما أخرجه ابن ماجه برقم ٣٥٠٢، ورواه أبو داود، وأحمد في مسنده (٤٦٢/٦)، وقال الهيثمي عن سند أحمد: رجاله ثقات.
(٣) د. محمود ناظم النسيمي، الطب النبوي والعلم الحديث، بيروت: مؤسسة الرسالة، المجلد الثالث، الطبعة الثالثة، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م، ص٢٢١، ٢٢٢.
(٤) ابن قيّم الجوزية، الطب النبوي، منشورات مكتبة الرسالة الحديثة، ص٨٧.
(٥) الكَتَم: نبات من اليمن يصبغ بلون أسود يميل إلى الحمرة.
(٦) ورواه أيضاً أصحاب السنن، وقال الأرناؤوط: حديث حسن.
(٧) ابن قيّم الجوزية، مصدر سابق، ص٨٧، ٨٨.
(٨) ابن سينا، القانون في الطب، (١١/١).
(٩) داود الأنطاكي، تذكرة أولي الألباب، (١٢٣/١).
(١٠) د. محيي الدين لبنية، مجلة مركز دراسات وأبحاث المدينة، دراسة بعنوان: من النباتات الطبية في المدينة المنورة.
(١١) موسوعة ويكيبيديا الحرة على الإنترنت: http://Ar.Wikipedia.org، تصنيفات الصفحة: أصبغة طبيعية/ صناعة كيمياء النسيج.
(١٢) د. محيي الدين لبنية، مرجع سابق.
(١٣) المرجع السابق.
(١٤) http://ar.wikipedia.org ، تصنيفات الصفحة: نباتات/ نباتات طبية.
(15) http://www.plantcultures.org.uk/plants/henna-western-medicine.html
(16) http://www.sbepl.com/lawsonia-inermis-henna-mehndi.html
(17) http://www.quinone.com/ver1-0/e/appli-health01-e.html
(18) http://www.crescentlife.com/dietnutrition/henna.ht m

شعر: بول جيرالدي(*)
ترجمة: عاطف محمد عبدالمجيد
الجيزة – مصر

قصائد حبٍّ

شعر

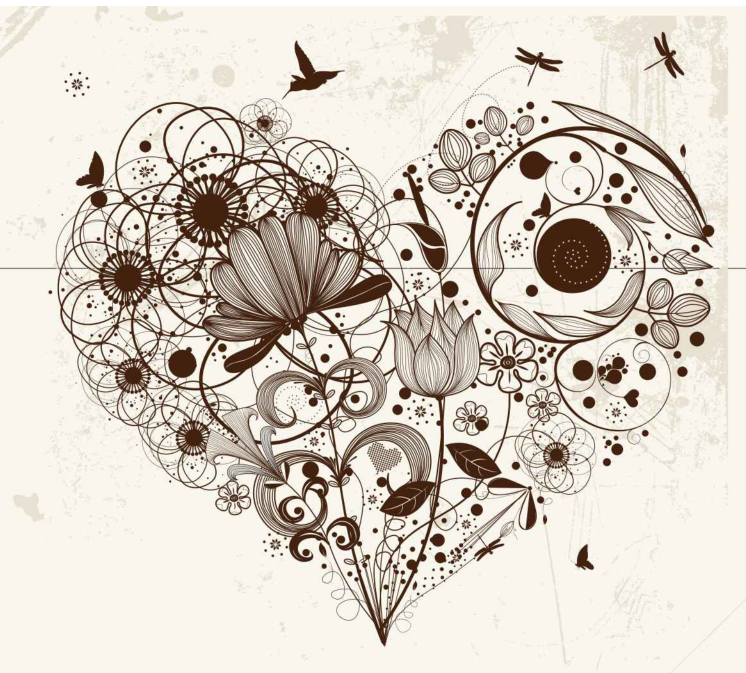
امتدادات

آه! إني أحبّك! أحبّك!
أتسمعين؟
أنا مجنون بك.. أنا مجنون..
أقول كلمات..
هي دائماً نفسها..
لكني أحبّك! أحبّك!
أحبّك.. أتفهمين؟
أتضحكين؟ أأبدو أحمق؟
لكن ماذا أفعل كي تعرفي جيداً
كي تشعري جيداً؟
ما نقوله بلا معنى!
أبحث.. أبحث عن طريقة..
ليس حقيقياً أن القبلات تكفي.
شيء ما يخنقني هنا كنحيب.
أحتاج أن أعبّر..
أن أعبّر.. أن أترجم.
لا نشعر أن ما نعرفه يُقال كلياً.
نحن نعيش كثيراً أو قليلاً عبر كلمات
أحتاج إلى كلماتٍ..
إلى تفسيرات.
عليّ.. عليّ أن أقول لك..
عليك أن تعرفي.. لكن ماذا!
لو أعثر على ما للشاعر
من أشياءٍ.
لتحدّثتُ عنها أكثرَ
– رُدِّي عليَّ –
حين أمسك هكذا
برأسك الصغيرة
بشغف أكرّرها لك مئة مرة..
ألف مرة أكرّرها:
أنتِ! أنتِ! أنتِ! أنتِ!.

***

شكّ

قلتِ لي:
«أفكّر فيك طوال اليوم».
لكنك تفكّرين في
أقلّ من تفكيرك في الحب.
قلتِ لي:
«عيناي المخضّلتان لا تنسيانك
وتظلان لوقت طويل يقظتين
حينما أنام».
لكن قلبك ينتشي أقلّ مما يلهو.
تفكّرين في القبلات أكثر من الفم.
لكنك لا تتعذّبين قط
أنت تعرفين دون أن نروح بعيداً
أن فرحتنا ملكُنا
لكنّ الحب ضرورة



هل تحبينني أكثر قليلاً
لو كنتُ شخصاً آخر؟

***

تأمّل

مصادفةً نحبّ في البداية
أو لعباً.. أو ربما فضولاً
كي نقرأ في نظرات الأعين
ما يمكن.

ثم كما في أعماقنا
نتحابّ كثيراً
لو أحبّك شخص..
نحبّه خضوعاً للذوق.

نثني على أنفسنا
ندعوها لنتشارك أدنى الآلام
بسرعة نعتاد على
تبادل كلمات صغيرة.

حين نقول الكلمات نفسها
لوقت طويل
نكرّرها بلا تفكير فيها
وقتها نحبّ يا إلهي
لأننا قد بدأنا.

***

عادة

لك أن تعرفي لماذا
دونما سبب
أجعل عينيي شريرتين هذا المساء؟
لماذا أفكّر في أشياء قديمة
وفي فساتين كانت لديك؟..

أبحث كثيراً
لكن لا أرى فينا
أيّ تغيّر يُذكر قط
اليوم توجد بالكاد
بعض الزهور فوق طاولاتنا..

غير أني.. غير أني أتذكّر
وقتاً آخر.. شعوراً آخر..
يبدو أنك ستصبحين زوجة
ككلّ الزوجات.

***

ثنائية

حبيبتي فسّري لي
لماذا تقولين: «آلة عزفي.. ورودي»
و«كتبك.. كلبك»..
لماذا أسمعك تصرّحين أحياناً:
«بنقودي أستطيع
أن أشتري هذه الأشياء لي».
ما يتعلّق بي يتعلق بك!
لماذا هذه الكلمات التي تواجهنا:
ملكُك.. ملكي.. ملكي.. ملكُك؟
لو كنتِ تحبينني تماماً
لقلتِ: (الكتب.. الكلب)
و(ورودنا).



* بول جيرالدي: شاعر فرنسي اشتهر بأنه شاعر المرأة. وُلد في السادس من مايو عام ١٨٨٥م في مدينة باريس، ودرس بها. أصدر أول دواوينه الشعرية (الأرواح الصغيرة) عام ١٩٠٨م، ثم أصدر بعده: أنت وأنا، وروبير وماريان، وكريستين، والرجل والحبّ، وأنتم وأنا وغيرها. ورحل جيرالدي في العاشر من مارس عام ١٩٨٣م.



فنون

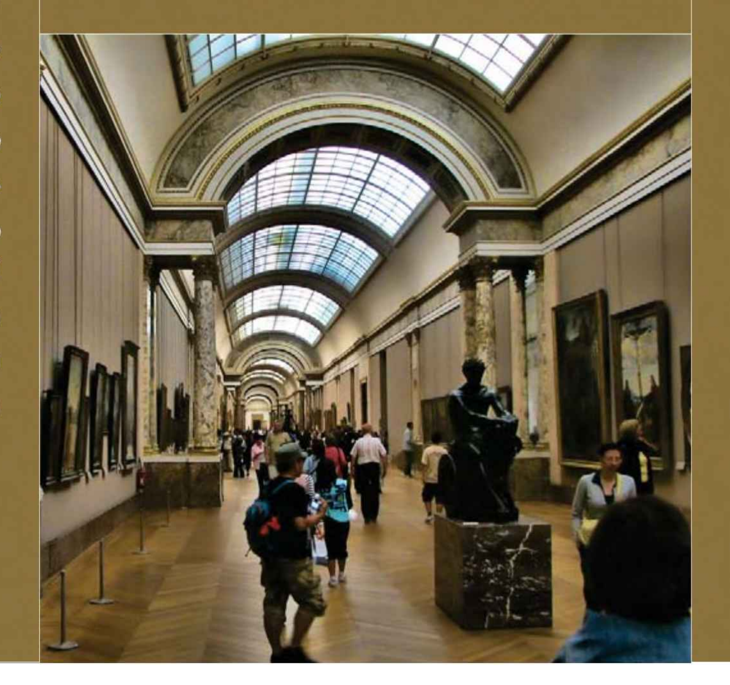
متحف اللوفر..

الأروع بين متاحف العالم

وفيق صفوت مختار

سوهاج - مصر

جمال أخّاذ، الصمت ينطق بالكلام، إنه جلال الألوان وبهجتها، ومساحة نادرة من حرية التأمل والتفكير يتيحها هذا المتحف الرائع لمن يرتادونه. يستطيع الزائر أن يرى العالم بوضوح من خلال قاعات بلغ عددها خمسمئة وثمانين قاعة كأنه يغوص في بحر لا نهائي حيث الإبهار والسحر، والجد والمرح، والحزن والفرح، والحلم والخوف، والأسطورة والوهم، وبعض من الرغبة الإنسانية المشروعة في أن يصبح «الرجال أشباه آلهة، وتكتسب الطبيعة جزءاً من سحر أجساد النساء، وتنبت للأطفال أجنحة صغيرة كالملائكة». محاولة أيضاً للارتقاء عن بلايا النفس البشرية من عنف وقسوة وتشرذم وعنصرية، تلك الرؤية التي يتيحها متحف اللوفر للزائرين من أنحاء العالم شتى على اختلاف مشاربهم، وأجناسهم، ولغاتهم، وأديانهم، وعقائدهم.





الأهـرامـات الزجاجية هي فكـرة المعماري الصيني الأصـل أيـوه مينج بي وتصميمه، وهـو الـذي حصل على عـدد من الجوائز العالمية في العمارة

بلـغ عـدد زوّار متحف اللـوفر عـام ١٩٩٣م مـن القـرن المنصرم خمسة ملايين شخص، وهم يتزايدون باستمرار، جـاؤوا جميعهم لـزيـارة هـذا المتحف الـراقد على ضفة نهر السين، الـذي بلغ من العمر أكثر من مئتي عـام، وهـو بذلك شاهد على المدينة، وعلى عصر الكلاسيكية الذي اكتملت فيه مبانيه، وأخذت منه طرازه وكامل أبّهته وروعته.

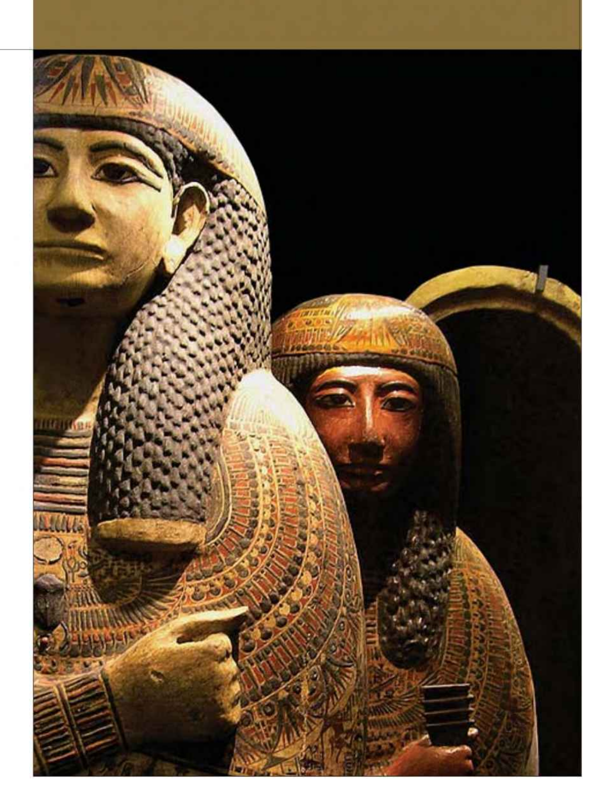
أهرامات المتحف الزجاجية

مـع الخطوات الأولي بعد مدخل المتحف يفاجئنا ذلك التناقض بين المبنى الغارق في الكلاسيكية، الذي يكوّن جسم المتحف، وتلك الأهرامات الزجاجية المائلة إلى الزرقة، التي أصبحت تحتلّ باحة المتحف الرئيسة وسط النافورات العتيقة والحمـامـات الـوادعـة. هـذه الأهـرامـات التي وافـق الرئيس الفرنسي فرانسوا ميتران شخصياً على إضافتها إلى المتحف وسط معارضة كثيرين. وسرّ الاعتراض هو أن ذلك النموذج البالغ العصرية للأهرامات سوف يخلّ بالإيقاع الكلاسيكي للمبنى ويتنافر معه، بينما دافع آخرون عن ذلك على أساس أن إضافة تلك الأهرامات الزجاجية سوف تعطي المتحف القديم قدراً كبيراً من الحيوية، وتكون أكثر اتساقاً مع روح العصر الذي نعيش فيه. وقد انتصر هذا الرأي، وأقيمت الأهرامات. إلا أن هذا التناقض الذي أشرنا إليه يزول بعد قليل من التأمّل؛ فالنظام، والبعد من البذخ، والمبالغة، والرغبة في بلوغ الجلال، هي التي تحكم النموذجين القديم والمعاصر، وكلاهما يستمدّ جذوره من الرغبة في إعادة تنسيق الكون والحياة.

يقول ميشيل لاكالوت - مدير متحف اللوفر في تسعينيات القرن المنصرم -: «لقد أصبح لهذه الأهـرامـات جمهورها الخـاصّ الـذي يـأتي لمشاهدتها فقط، إضـافـةً إلى أن لهذه الأهرامات جانبها العملي؛ فهي تخفي تحتها المدخل إلى بقية



حكومة الثورة اتخذت قرارها بتحويل اللوفر إلى متحف، ووضعت فيه كلّ ما يخصّ الملك من تحف. ومنذ هذه اللحظة أصبح هذا المتحف دليلاً على قوته



المتحف، وبذلك لا تظهر طوابير الانتظار الكثيفة، وكذا الدرج المتحرك، وبائعو العاديات والتحف، وهي بهذا تمنح اللوفر مظهراً من الهدوء والسكينة مهما كان الزحام كثيفاً».

والأهرامات الزجاجية هي فكرة المعماري الصيني الأصل أيوه مينج بي وتصميمه، وهو الذي حصل على عدد من الجوائز العالمية في العمارة، ويقيم بالولايات المتحدة الأمريكية، ويقوم منذ عام ١٩٨٣م برحلات منتظمة إلى باريس لدراسة هذا المشروع من دون أن يخبر أحداً حتى أفراد مكتبه. وكان هدفه هو إضافة شيء إلى اللوفر من دون أن يخفي أيّ شيء، ويستغلّ ساحة نابليون الخارجية كي يضع فيها شيئاً مملوءاً بالإشعاع والشفافية، وقد تحقّق هذا الأمر إلى حدّ كبير.

من القلعة إلى المتحف

في الداخل، مازال مقرّ اللوفر يحمل آثار نشأته الأولى؛ تلك القلعة الحصينة التي بُنيت ذات يوم على ضفاف نهر السين. فبعد أن جاءت جيوش الفايكنج من الشمال، وحاصرت باريس وقتاً من الزمن، ثم انصرفت عنها، قرّر الملك فيليب أوغسطس أن يبني في مكان معسكر الغزاة قلعةً حصينةً. وظلّت هذه القلعة قائمةً في مكانها تحمي باريس،



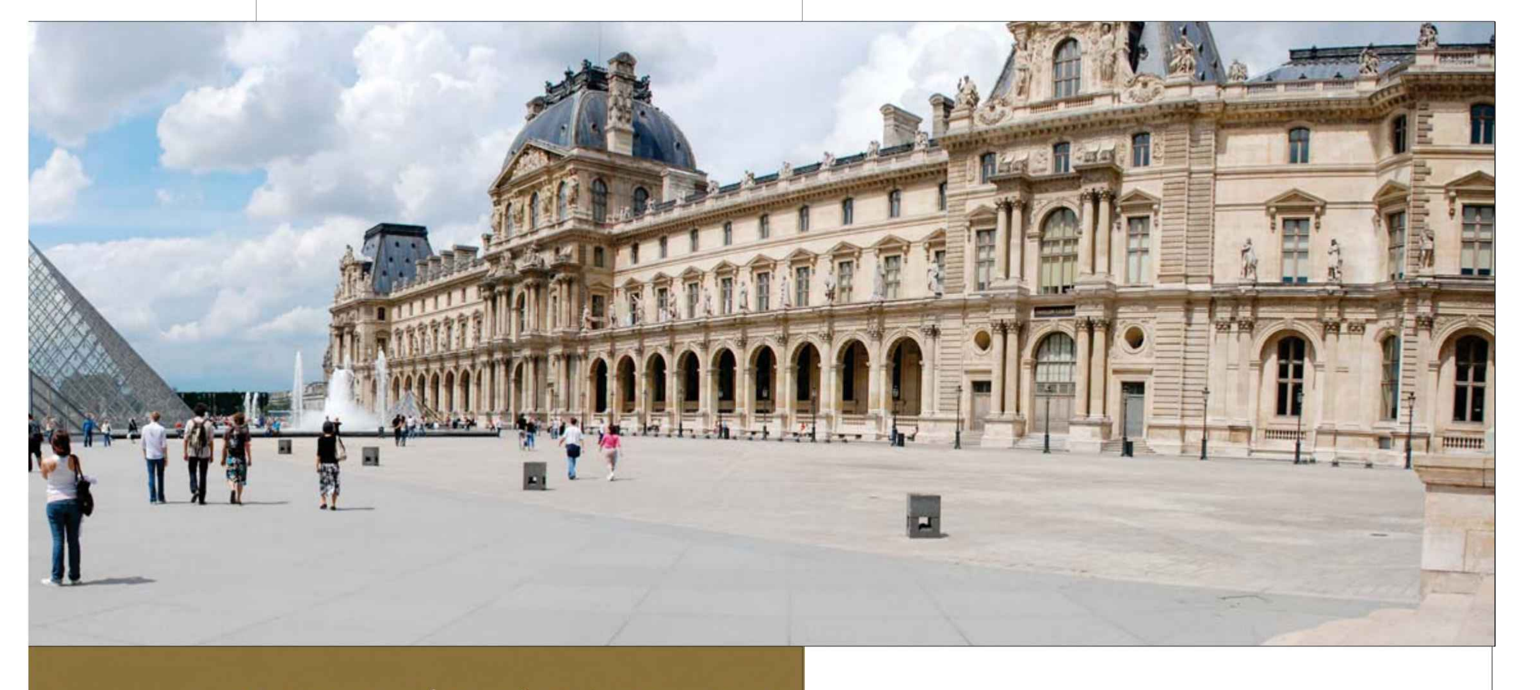
الملك فرانسوا الأول قرّر عام ١٥٤٧م أن يحوّل القلعة إلى مقر ملكي فاخر على نمط الطراز الإيطالي للعمارة. وبدأ العمل بهذا القصر، وظلّ متواصلاً به على مدى ثلاثمئة عام

وتساعدها على النمو. وامتلأت الغرف والممرات الضيقة بالسجون وأمكنة المتعة، وتداخلت المؤامرات مع حفلات الصخب والعشق، وعاصرت حروباً كثيرة، أشهرها حرب المئة عام بين إنجلترا وفرنسا. ومع مرور الوقت، وظهور عدد من القصور الملكية داخل باريس، لم يعُدْ أحد يهتمّ بالإقامة بهذه القلعة التي تنتمي إلى العصور الوسطى، وبدأ الملوك يرحلون عنها. لكن الملك فرانسوا الأول قرّر في عام ١٥٤٧م أن يحوّل القلعة إلى مقر ملكي فاخر على نمط الطراز الإيطالي للعمارة. وبدأ العمل بهذا القصر، وظلّ متواصلاً به على مدى ثلاثمئة عام، توقّف قليلاً، وتحوّل عن غايته بعض الوقت، وعطّلته الثورات، وخرّبته حركات التمرّد، لكنّ إنشاء متحف اللوفر ظلّ متواصلاً، شارك في ذلك الملوك والثوّار ورؤساء الجمهوريات، وفوق ذلك كله رغبة الشعب الفرنسي عاشق الفن في أن يكون له أكبر متحف للفنون الجميلة في العالم.

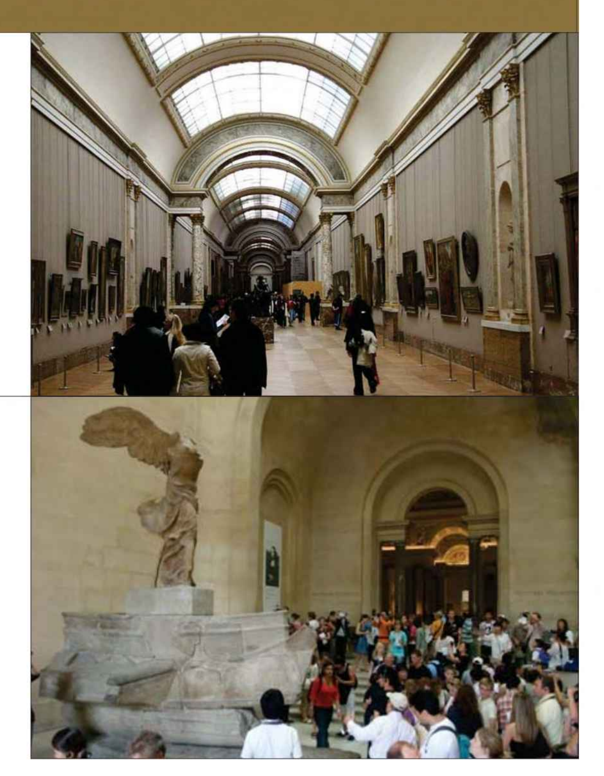
متحف اللوفر بين الاحتكار الملكي وحكومة الثورة

وُلد متحف اللوفر في زمن صعب جداً وسط حروب الشوارع، وإرهاب السجون، وحديد المقصلة الذي لا يتوقف. رؤوس تهوي فيهوي معها عهد برمته. ملوك وملكات، وكونتات وكونتيسات، كلهم كانوا وقوداً لتلك النار التي اشتعلت في شوارع باريس وحاراتها في أواخر القرن الثامن عشر للميلاد، وكان من الغريب أن يُطرح قرار يخصّ الفن والثقافة وسط هذا الجو المشحون. كانت حكومة الثورة تناقش مسألة بَدَتْ عميقةً جداً: هل تتخلّص من عصر الملكية القديمة بكلّ ما يمثّله من آثار وتحف وقصور، أو أن عليها أن تحاول الحفاظ على أروع تراث فني شهدته البشرية بغضّ النظر عمّن كان يملك هذا التراث؟.

لقد كان جمع التحف الفنية هو دائماً إحدى هوايات الملوك الأثيرة، كان دليلاً على الثراء والمكانة التي يتمتعون بها حين يحيطون أنفسهم ببذخ الفن وروعته. ولعل ملوك فرنسا كانوا أكثرهم اهتماماً بجمع اللوحات الفنية، وكان أشهر هؤلاء الملوك فرانسوا الأول، وهو أول من فكّر في بناء قصر اللوفر، وكان مغرماً بالفن الإيطالي؛ لذا فقد جمع عدداً من لوحاته، وعلى رأسها لوحة ليوناردو دافنشي الشهيرة الموناليزا



لقد كان جمع التحف الفنية هو دائماً إحدى هوايات الملوك الأثيرة، كان دليلاً على الثراء والمكانة التي يتمتعون بها حين يحيطون أنفسهم ببذخ الفن وروعته.

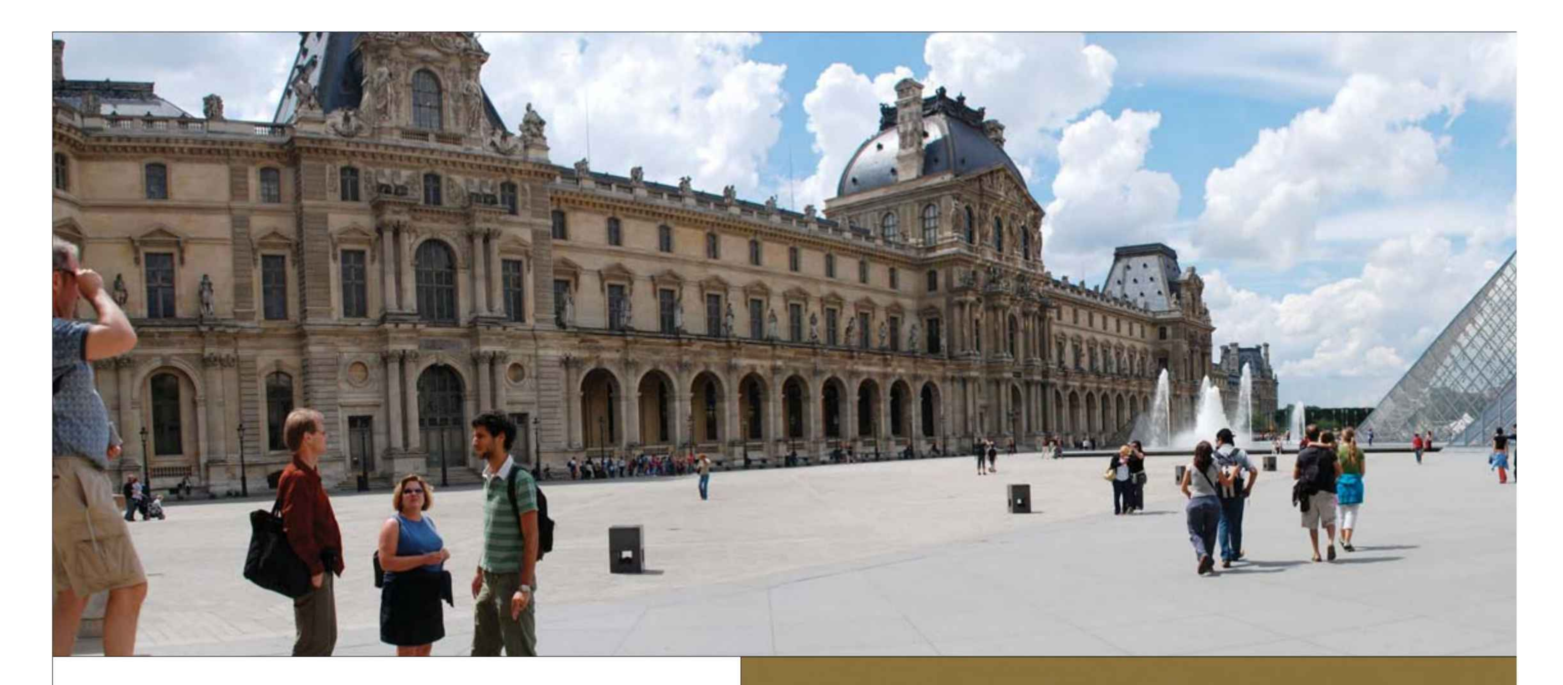


(الجيوكاندا)؛ صاحبة أشهر ابتسامة غامضة في التاريخ. ولم يقارب فرانسوا الأول في شهرته جامعاً للوحات إلا الملك لويس الرابع عشر؛ فقد كان يبعث مندوبيه لشراء اللوحات من كلّ مكان في أوربا. وإذا اكتشف وجود أيّ لوحة فنية ذات قيمة عند واحد من نبلائه ظلّ وراءه بالتهديد تارةً وبالإغراء تارةً أخرى حتى يبتاعها منه.

وفي عهد هذا الملك ارتفعت أولى الصيحات الشعبية بحق الناس العاديين أن يشاهدوا مثل هذه التحف الفنية، لكن الملك لم يستجب لهذا النداء، وفضّل أن يستأثر وحده بلوحاته البالغ عددها ٢٠٠٠ لوحة، ويحملها معه إلى قصر فرساي.

ولم يكن الملكان لويس الخامس عشر ولويس السادس عشر من بعده من هواة جمع اللوحات الفنية، لكنهما حافظا على تلك العادة بوصفها جزءاً من التقاليد الفنية الفرنسية. وعندما تصاعدت الضغوط سمح الملك لويس السادس عشر للناس بأن يشاهدوا جزءاً من هذه المقتنيات الفنية في معرض أقيم بمناسبة تأسيس الأكاديمية الفرنسية. وكان هذا الأمر مفاجأةً مذهلةً للجميع؛ إذ لم يكونوا يتصوّرون وجود كل هذه التحف الفنية كي يستمتع بها رجل واحد حتى لو كان هذا الرجل هو ملك فرنسا.

وعندما اشتعلت نيران الثورة كان أحد شعاراتها هو توزيع



استطاع نابليون وحده أن يمدّ المتحف بنحو ٢٥ ألف قطعة فنية حصل عليها من مصر، وهولندا، وإيطاليا، وإسبانيا، حتى من أصقاع روسيا الباردة

هذه التحف على الناس، أو التخلص منها نهائياً. كان هناك سُعار محموم ضد كلّ ما يمثّل مظاهر الملكية، لكن حكومة الثورة اتخذت قرارها بتحويل اللوفر إلى متحف، ووضعت فيه كلّ ما يخصّ الملك من تحف. ومنذ هذه اللحظة أصبح هذا المتحف دليلاً على قوته، وأصبحت عاصمة الحرية والإخاء والمساواة هي عاصمة الفن أيضاً على حدّ تعبير أحد المؤرخين، ففتح القصر أبوابه بعد قرار حكومة الثورة بعام واحد؛ أي: في العاشر من أغسطس عام ١٧٩٣م.

مصر تسهم في دعم اللوفر

أسهمت مصر دون إرادتها في دعم متحف اللوفر، ومنحه هذا الطابع العالمي الذي هو عليه الآن؛ فقد أخفقت الحملة العسكرية التي قام بها نابليون بونابرت على مصر، وبدلاً من أن يفتح لفرنسا طريقاً إلى الهند فرّ هارباً على ظهر سفينة وحيدة، لكنها كانت محمّلةً بكنوز لا تُقدَّر بثمن من الآثار الفرعونية القديمة. لم يحاسب أحد في فرنسا نابليون بشكل جدّي على نتائج حملته على مصر؛ لأن الجميع انشغل بهذه الكنوز الشرقية التي أحضرها معه من مصر. وقد نشأ على أثر ذلك واحد من أهم علوم كشف الآثار، وهو علم المصريات، وأصبح همّ المتحف الأساسي هو الحصول على المزيد من هذه التحف، سواء بالكشف أم بالتنقيب أم بالاستيلاء. ويبلغ عدد القطع الأثرية المصرية في اللوفر ٥٦٩٤ قطعة، وهو أكبر متحف يحتوي على هذا النوع من الآثار بعد المتحف المصري في القاهرة.

نابليون عاشق اللوفر

كان نابليون واحداً من أشدّ المُغرمين بمتحف اللوفر؛ فقد قال لورانس مادين - المتخصّص في مقتنيات المتحف -: «هذا الإمبراطور بالغ الصرامة كان عاشقاً للفن، وكان هدف حروبه هو الحصول على الأرض أولاً، وعلى التحف الفنية ثانياً». لقد استطاع نابليون وحده أن يمدّ المتحف بنحو ٢٥ ألف قطعة فنية حصل عليها من مصر، وهولندا، وإيطاليا، وإسبانيا، حتى من أصقاع روسيا الباردة. فما إن تنتهي أولى المعارك حتى يشرف الإمبراطور بنفسه على تغليف هذه القطع الفنية جيداً، ويقوم رُسُل تابعون للحرس



لم يكن الملكان لويس الخامس عشر ولويس السادس عشر من بعده من هواة جمع اللوحات الفنية، لكنهما حافظا على تلك العادة بوصفها جزءاً من التقاليد الفنية

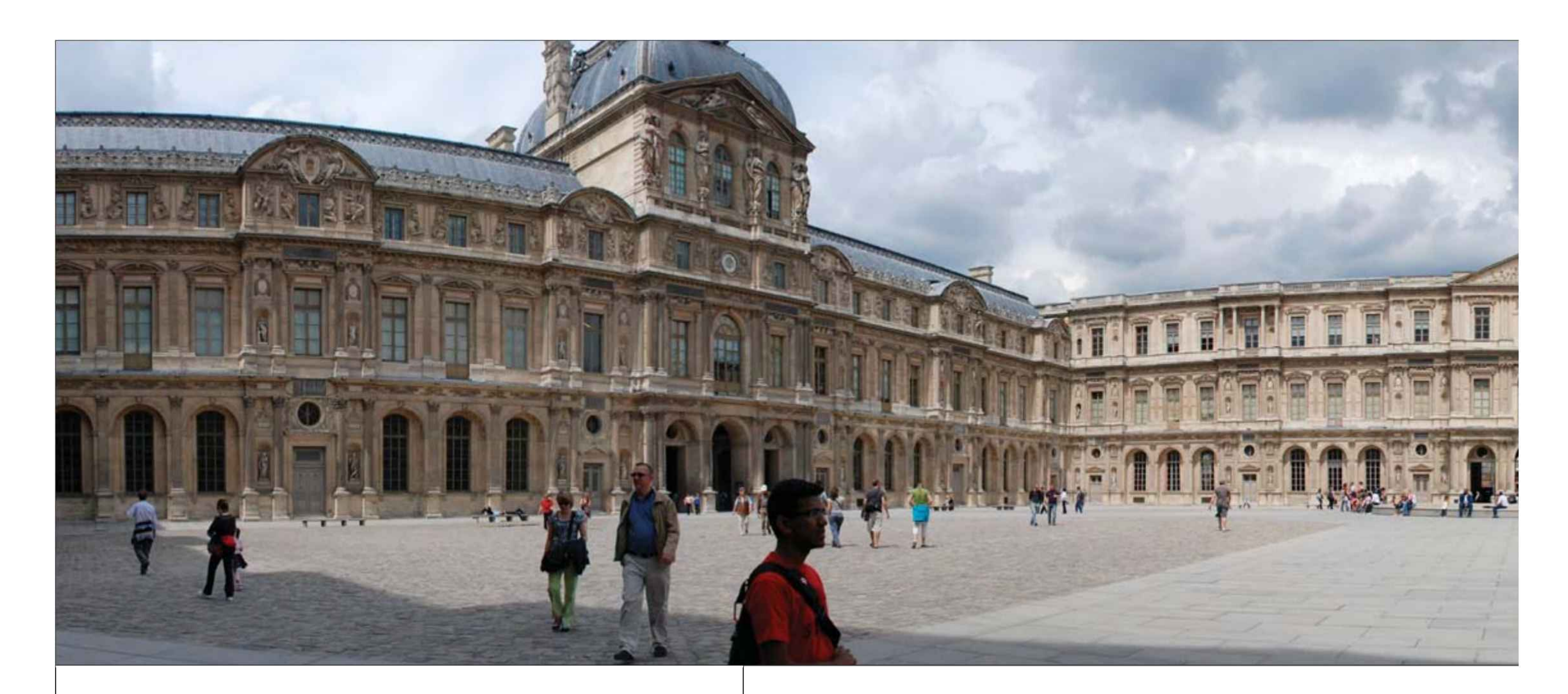


الإمبراطوري بإرسالها إلى المتحف على وجه السرعة. وعندما هُزم نابليون في معركة واترلو الشهيرة كان أول شروط الدولة المنتصرة هو استعادة كل المقتنيات التي سلبها نابليون منها. وهكذا استعادت إيطاليا وهولندا وإسبانيا وبقية الدول كنوزها، ولم يبقَ سوى مصر، وحدها مصر لم تستعد شيئاً.

العثور على تمثال فينوس

فلاح يوناني فقير كان يحرث أرضه عندما اصطدم طرف المحراث بشيء صُلب، وعندما حفر الفلاح قليلاً اكتشف وجود تمثال من المرمر الناصع، كان التمثال مدفوناً متكسّراً. أخرج الفلاح التمثال إلى بيته، وعندما ضمّ الأجزاء معاً شهق من شدة الجمال. كان التمثال يمثل امرأة عاريةً رائعة الجمال، لكنها مع الأسف من دون ذراعين، كانت هي فينوس إلهة الحب القديمة التي عشقها الإغريق، ثم عشقها الرومان، ثم عشقها هذا الفلاح المسكين، فجلس أمامها ذاهلاً. وشعرت زوجته بالغَيْرة، وأنها لا تستطيع منافسة هذا الجمال، حتى لو كان تمثالاً من الرخام، فسارعت بإبلاغ السلطات التركية التي كانت تحكم اليونان آنذاك.

استولت السلطات التركية على هذا التمثال، ووضعته على ظهر سفينة كبيرة كي تحمله إلى إسطنبول، لكنّ بارجةً فرنسيةً



يمنح اللوفر زائره متعةً من النادر أن يجدها في أيّ متحف آخر في مجال فن التصوير أشكالاً وأنماطاً ومدارس مختلفة، على الفرد أن يلهث من قاعة إلى أخرى لتأمّل اللوحات

كانت واقفة تراقبها، فما إن خرجت السفينة التركية إلى عرض البحر حتى هجمت عليها، وقفز بحّارتها على الأتراك المذهولين كي يأخذوا منهم التمثال، وعادت البارجة مسرعةً إلى فرنسا حيث أعد لفينوس دي ميلو أروع استقبال لأجمل سيدة على الإطلاق، إنها تستقبل الزائر في المدخل الرئيس لمتحف اللوفر منحنيةً قليلاً، قصيرة الشعر، ومن دون ذراعين، فيها ذلك الجمال الآسر الذي يسمو به الجسم البشري بعد أن تذوب غرائزه. ليست هذه هي التحفة الأثرية الوحيدة بطبيعة الحال؛ فقد سعى اللوفر منذ نشأته إلى إرضاء نزعة أتباع مذهب النيوكلاسيك، التي كانت تتمثّل أروع آثار الجمال في الآثار التي تركها الإغريق والرومان؛ لذلك كان اهتمام المتحف بالنظريات الجمالية (نيكلمان) حول هذا المذهب الذي زادت الحروب النابوليونية من انتشاره، وبدأ بإنشاء قسم الآثار الإغريقية والرومانية منذ عام ١٨٠٠م. والحقيقة أن الإعجاب بهذه الأشكال ذات الطابع الكلاسيكي امتد إلى عصور النهضة الأوربية حين حاولت إحياء التقاليد القديمة في الفن، وكان الملك فرانسوا الأول هو الذي أمر بنصب تماثيل من البرونز بالأنماط القديمة نفسها، وكذلك حرص الملك لويس السادس عشر على أن يزيّن قصر فرساي بسلسلة من تماثيل الرخام موجودة الآن داخل المتحف.

بدأ القسم بمجموعة صغيرة لا تجاوز ٤٠٠ تمثال، ثم ما لبث أن ازداد العدد إلى حدّ كبير مع انتصارات الجيوش الأوربية، ثم ما لبث أن مرّت به انتكاسة مع استرداد الدول المنتصرة ممتلكاتها، وأصابته مدة من الهزال دُعمت مع وجود المصريات التي جاءت إليه من خلال اكتشافات البعثات الفرنسية. ولم يقتصر قسم الآثار والعاديات على هذا الأمر، لكنه احتوى على كثير من كنوز الفن الإسلامي التي جاءت إليه خلال الاحتلال الفرنسي لسورية ولبنان والجزائر.

ثروة اللوفر معلّقة على جدران

إن ثروة اللوفر الحقيقية تكمن في تلك الإبداعات الفنية المعلّقة على الجدران: مرايا للذات والنفس والعقل، وزمن نابض بالحياة، وبشر تغمرهم البهجة أو يرتعدون من العذاب.



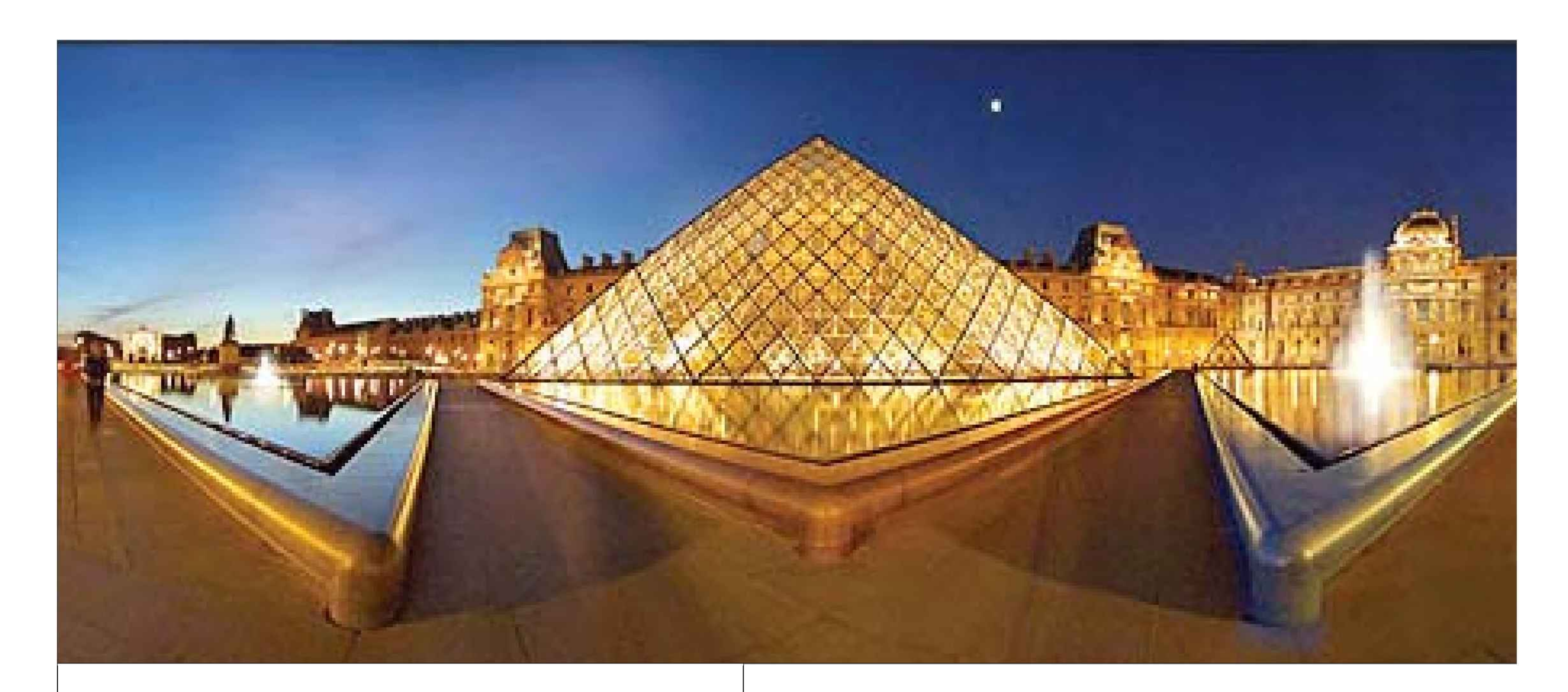
سعى اللوفر منذ نشأته إلى إرضاء نزعة أتباع مذهب النيوكلاسيك، التي كانت تتمثّل أروع آثار الجمال في الآثار التي تركها الإغريق والرومان



في كثير من اللوحات نرى أبطالاً يتسلّمون السيوف في نشوة وهم يستعدون للقتال، ثم يعودون كي يقضوا نزاعاً طويلاً على فراش الموت نبلاء متجهّمين، وزوجاتهم يرفضن اتّباعهم في تواطؤ خافٍ، وملوكاً في لحظة التتويج يعتقدون أنهم قد امتلكوا التاريخ وشبح الموت يلوح واقفاً بين المدعوين، وفرساناً شامخين لكن في أعماق كلّ واحد منهم دون كيشوت خائفاً ومرتعداً، والفن يعيد تكوين الحياة وهو وسيلتها الأولى للمعرفة، والفنان يفرض نظرته على التاريخ، ويعيد تصويره كما يريد هو، لا كما كان، فيصل بريشته إلى أعماق النفس البشرية، التي لا تستطيع كاميرا الفوتوغرافيا أن تصل إليها، ويعيد تجسيد الأسطورة، ويمنحها لمسةً من الحقيقة الأزلية.

يمنح اللوفر زائره متعةً من النادر أن يجدها في أيّ متحف آخر في مجال فن التصوير أشكالاً وأنماطاً ومدارس مختلفة، على الفرد أن يلهث من قاعة إلى أخرى لتأمّل اللوحات، كلّ لوحة تصيب العين بالجوع، والقلب بالحنين، من لوحات روبنز المملوءة بالنمنمات، إلى فيرمير الذي كان يمارس الرسم ومراقبة الأفلاك، إلى جيوتو وروائع دافيد وجويا.

مجموعة غنية في التنوّع والثراء من النادر أن توجد في مكان واحد. بدأ الملك فرانسوا الأول عاشق الفنون بدعوة



إن ثروة اللوفر الحقيقية تكمن في تلك الإبداعات الفنية المعلّقة على الجدران: مرايا للذات والنفس والعقل، وزمن نابض بالحياة، وبشر تغمرهم البهجة أو يرتعدون من العذاب

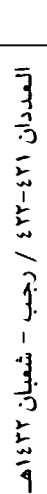
عدد من الفنانين الإيطاليين المعاصرين له، وكان على رأسهم الفنان الشهير ليوناردو دافنشي، وقد تركوا له مجموعةً ضخمةً من الأعمال الكلاسيكية، على رأسها لوحة الموناليزا. وتواصل الأمر في عهد لويس الرابع عشر حين أرسل وزيره الشهير ريشيليو إلى كلّ مكان لشراء الروائع المتبقية من عصر النهضة، واشترى حتى المجموعة الفنية الخاصة بملك إنجلترا تشارلز الأول، وكانت تحتوي على روائع لرافائيل وتيتان وألجريكو، وهي اللوحات التي تضمها واحدة من أعظم قاعات المتحف تُدعى (قاعة الخالدين).

ثم بدأت تتوافد على المتحف عشرات المقتنيات، خصوصاً من شمال أوربا لفنانين أمثال رامبرانت وروبنز. وهكذا، دخلت المجموعة لوحات من الرسم الألماني والفلامنكي والفرنسي، وظهر الفن الإسباني متأخراً بعض الشيء مع لوحات ميرللو. ومع قيام الثورة الفرنسية، وافتتاح المتحف أبوابه للجمهور، كان مديره في هذا الوقت فيفان دينو يوجّه قادة الجيوش المحاربة في أنحاء أوربا إلى الأمكنة التي يمكن أن يقتنصوا منها اللوحات المختلفة.

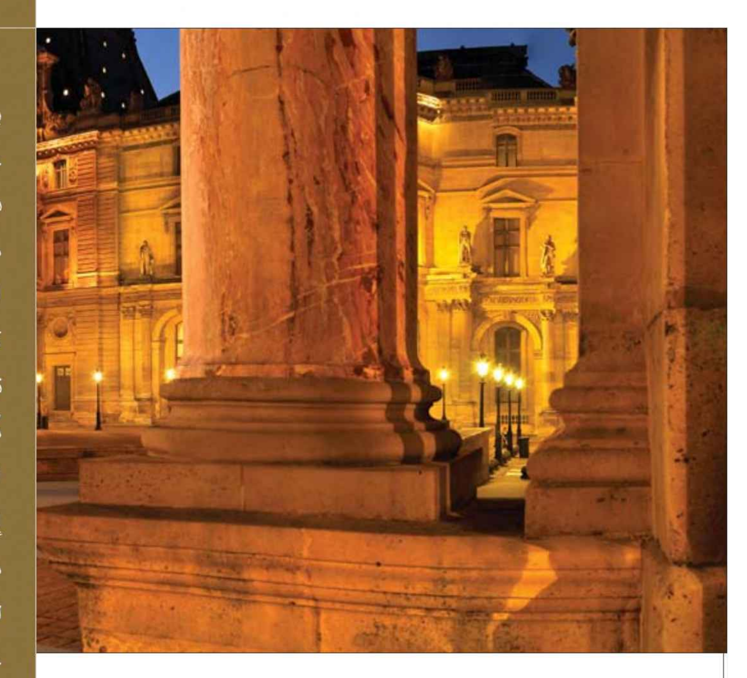
ومع منتصف القرن التاسع عشر، وبداية افتتاح المعرض السنوي الذي كان يُقام في إمارة لكسمبورج، بدأ المتحف يستقي كثيراً من لوحاته من خلال هذا المعرض، وبدأت الزيادة الملحوظة في مقتنياته.

الموناليزا: ألغاز وآراء صادمة ومتناقضة

مع كلّ هذا العدد الهائل من اللوحات النادرة فإن هناك لوحةً واحدةً أثارت من الضجة ما لم تُثِرْهُ كلّ اللوحات، ويبدو أن ذلك المعرض جعل هذه اللوحة خاصةً محوراً من محاوره، إنها لوحة الموناليزا. فمع وجود عشرات القاعات المزدحمة فإن هناك سهماً صغيراً في كل ممرّ يوجّه الزائر إلى حيث توجد هذه اللوحة التي تحتلّ بمفردها قاعةً بأسرها، إنها لوحة صغيرة، وهي الوحيدة التي يحيط بها صندوق زجاجي مصفّح لحمايتها ضد الاعتداء أو السرقة. ومع هذا، فهي اللوحة الوحيدة تقريباً التي تعرّضت للسرقة ومحاولة التشويه أكثر من مرة. وقد تمّت سرقتها من المتحف عام ١٩١١م، واستعادتها الشرطة بمعجزة.



اللوفر.. من قلعة إلى متحف



يعدّ اللوفر من أهم المتاحف الفنية في العالم، ويقع على الضفة الشمالية لنهر السين في باريس عاصمة فرنسا، وهو أكبر صالة عرض للفن عالمياً، وبه كثير من الآثار المصرية التي سُرقت في أثناء الحملة الفرنسية على مصر.

كان اللوفر قلعةً بناها فيليب أوغسطس عام ١١٩٠م؛ تحاشياً للمفاجآت المقلقة هجوماً على المدينة في أثناء مُدد غيابه الطويلة في الحملات الصليبية. وأخذت القلعة اسم المكان الذي شُيّدت عليه؛ لتتحول لاحقاً إلى قصر ملكي عُرف باسم (قصر اللوفر)، قطنه ملوك فرنسا، وكان آخر من اتّخذه مقراً رسمياً لويس الرابع عشر الذي غادره إلى قصر فرساي عام ١٦٧٢م؛ ليكون مقرّ الحكم الجديد تاركاً اللوفر ليكون مقراً يحوي مجموعةً من التحف الملكية والمنحوتات على وجه الخصوص.

في عام ١٦٩٢م شغلت المبنى أكاديميتان للتمثيل والنحت والرسم، وافتتحت أولى الصالونات عام ١٦٩٩م، وظلت الأكاديميتان تشغلان المبنى طوال ١٠٠ عام.

وخلال الثورة الفرنسية أعلنت الجمعية الوطنية أن اللوفر ينبغي أن يكون متحفاً قومياً تُعرض فيه روائع الأمة؛ ليفتتح المتحف في ١٠ أغسطس عام ١٧٩٣م. ويعدّ اللوفر أكبر متحف وطني في فرنسا، ومن أكثر المتاحف التي يرتادها الزوار في العالم.

المصدر: http://ar.wikipedia.org/wiki/



ولم تتعرّض لمحاولات التشويه والإهانة مثل الموناليزا، ولم ينشغل العلماء والمحلّلون بقضية فنية، ويفردوا لها الصفحات الطويلة، مثلما فعلوا مع ابتسامة الموناليزا.

يقول بعض علماء النفس عن الموناليزا: إنها ليست امرأة، لكنها رجل مُصاب بالشذوذ يرتدي ثوباً نسائياً وشعراً مستعاراً. ويؤكد بعضهم أن هذه اللوحة لدافنشي نفسه، ويستدلّون على ذلك بفحوص الأشعة السينية التي أجريت على اللوحة بعد سرقتها، ووجدوا أنها توجد تحتها لوحة أخرى تمثّل دافنشي، وهو رجل، ومن ثَمّ فاللوحة الحالية هي مرآة ذاته الحقيقية!.

ويعترض علماء الاجتماع على ذلك، لكن بعضهم يؤكّد في المقابل أنها لم تكن - كما أشيع - زوجة التاجر الفلورنسي فرانشيسكو ويل جيوكوندو، لكنها كانت بائعة هوى رخيصة تُدعى إيزابيلا غوالاندي، كانت مشهورةً بالفضائح العائلية، وما تلك الابتسامة على وجهها إلا الوسيلة المعتادة التي تتبعها فتيات الهوى لإغواء الرجال.

أما علماء الطب، فيختلفون فيما بينهم اختلافات كبيرة، كلّ حسب تخصّصه، يقول مثلاً بعض أطباء الأسنان: من المؤكد أن الموناليزا فقدت أسنانها الأمامية في شجار، وهي تريد أن تبتسم، لكنها تخشى أن تظهر لثّتها العارية. ويقول



يقول بعض علماء النفس عن الموناليزا: إنها ليست امرأة، لكنها رجل مُصاب بالشذوذ يرتدي ثوباً نسائياً وشعراً مستعاراً. ويؤكد بعضهم أن هذه اللوحة لدافنشي نفسه

أطباء الأعصاب: إنها كانت مصابةً بشلل نصفي في جانب واحد من وجهها؛ لذلك فتلك الابتسامة حادت عن وضعها الطبيعي. ويقول أطباء التوليد: إنها كانت حاملاً؛ لذا ينسدل الفستان ليخفي بطنها المنتفخة، وأن هذه الابتسامة تظهر



أمومة نضرة. ويقول بعض أطباء القلب: إن اللون الأصفر تحت زاوية عينيها يعني ارتفاع نسبة الكولسترول في الدم، وإنها كانت تعيش خطر الإصابة بنوبة قلبية. ويؤكّد بعض خبراء الفن أن اللوحة الموجودة في متحف اللوفر هي لوحة زائفة، وأن اللصوص الذين سرقوها لم يعيدوها.

وتؤكد أسرة أمريكية أنها تمتلك لوحات أخرى وموناليزا أخرى وابتسامات أخرى. ويؤكد ناقد فني أن هذه الابتسامة مجرد هفوة أو غلطة فنية. ومازالت اللوحة تثير المزيد من الانفعالات: انفعالات سيئة صادمة، وأخرى جيدة وطوباوية، لكنها ما زالت تعدّ كبرى اللوحات شعبيةً في متحف اللوفر الذي تصل مقتنياته إلى ٣٠ ألف قطعة.

المراجع

(١) استطلاعات مصوّرة عن متحف اللوفر في المجلات العربية المختلفة؛ مثل: مجلة العربي الكويتية، ومجلة الكويت الكويتية، والمجلة العربية السعودية.
(٢) مواقع متعددة على شبكة الإنترنت.
(٣) وفيق صفوت مختار، آفاق المعرفة، القاهرة: دار موناليزا للكتاب (تحت الطبع).

الأفعى الحسناء

محمد أشوكية
تمارة – المغرب

قصة

اعتقد الجميع أن الجو قد صفا، وأنهم قد تمكّنوا بعد طول عناء من تذليل جميع العقبات الكأداء التي عرقلت مسيرة تفاهمهم طوال السنة الماضية؛ سنة الوعود من دون منازع أو تحفّظ في التسمية.

سوف نخلق من هذا القسم نموذجاً للشباب الجامعي المؤهل لشغل أعلى المناصب في البلاد، خصوصاً أنكم أول دفعة على الصعيد الوطني. سوف تجدون من دون استثناء شغلاً مناسباً ومهماً. لكن عليكم بالعمل طبعاً. لقد حاولت أن أقتني لكم أحدث الحواسب والأنظمة التي تشغلها، وهي جدّ متطورة. أما بالنسبة إلى البرنامج العام، فلا يخلو من التنوّع: مواد علمية وتقنية وأدبية، مع الانفتاح على اللغات الحية، خصوصاً اللغة الإنجليزية. نريدكم أن تكونوا سريعي التنقّل بين لغة وأخرى كالفراشات تنتقل من الوردة إلى الأخرى بخفة ورشاقة من دون أن تبالي بالأشواك، أو يقلقها وجود بني جنسها؛ فراشات مزركشات ولطيفات ووديعات يسعدها اقتسام الرحيق مع أبناء صنفها.

كنا نناقش من حين إلى آخر مشكلات الفصل، والعراقيل التي تعترضنا في أثناء (التكوين)، وأين الأستاذ المشرف من كلامه المعسول؟. كان أضخم مشكل نواجهه هو عدم استطاعتنا تطبيق دروسنا النظرية في شعبتنا التطبيقية!. كنا نتلقّى درس المعلوميات من دون حاسوب. كان الجميع يسخر من ذلك، مع العلم أن ثلاثة أجهزة تُوجد تحت إمرة الأستاذ المشرف في ورشة التدريب المغلقة إلى حين عودته من سفره الميمون. كانت تلك الورشة تضم كذلك آلة الفوتوكوبي، وبعض التوابع الملحقة بالحاسوب؛ كالطابعة، والسكانر، وغير ذلك. تستغلّ هذه الأدوات من طرف الجميع إلا نحن، يستعملها المشرف وأولاده وزوجته، كلّ حسب هواه. عندما يطلب أحدنا مفتاح الورشة يجيبه السيد المشرف بأن الآلات باهظة الثمن، أو أنه غير ناضج، وأن هذه الأجهزة حساسة ولا تحتمل الأخطاء. ألم تُصنع هذه الآلات ليكون الإنسان سيّدها؟! أم أنها ستبقى حكراً على أمثال السيد المشرف الناضج؟! وما الهدف من هذه الدروس إذا غابت الآلة يا أستاذنا الفاضل؟!.

في أحد الأيام فوجئ الجميع بأن ما نناقشه في الصباح يصل إلى الأستاذ المشرف في المساء، فيحاول استخدام كلام كلّ واحد منا كورقة ضغط لإطفاء غضبنا المكبوت. كان كل واحد يخاف عواقب الإفصاح عما يخالجه على الرغم من أن لديه رغبةً جامحةً في التعبير. خوف ورثناه في زمن التدجين العام لرغبتنا وسلوكنا، نخاف ضياع مصلحتنا على الرغم من عدم وجودها أساساً، نخاف خسران الأشخاص في حين أننا نتملّقهم، شباب ضعيف ورث ميتولوجيات الخوف ورضعها من أثداء الزمن الظالم.

كانت الوحيدة التي لا يناقش غيابها أو حضورها. تعتذر لنا بدعوى أنها قضت الليلة في قسم المستعجلات، الدليل هو ذراعها المثقب الذي تكشف عنه من حين إلى آخر، تلك الثقوب تذكّر بحالة المدمنين. وما زاد من شكّنا هو تعرّضها لنوبات عصبية شديدة خلال شهر رمضان بالضبط، غالباً ما كانت تلك الحالات تنتهي بحملها إلى المستشفى حيث ترفض الامتثال للطبيب حين تستيقظ، وتطلب منا أن نعود بها إلى الحي الجامعي الذي تقطن به لتناول الدواء. تحبّ من يناقش معها الإلحاد، ومشكلات الجنس والدين، وتحاول إظهار معرفتها بالموضوع. كما تشير إلى سبق خوضها الموضوع مع مجموعة من الأسماء المعروفة في الساحة الثقافية، وقد أبدوا إعجابهم الشديد بأفكارها القيمة،



واطلاعها الواسع. تسافر إلى سويسرا وفرنسا وبوركينافاسو، تستطيع ملاقاة الشخصيات البارزة في البلاد. كل ذلك أصبح من بديهيات التحاور معها، تستهلّ كلامها بديباجة أصبحت معهودة لدينا، وحين يدخل مخاطبها في صلب الموضوع تحاول تخطيئه وإبراز عدم قدرته على مجاراة أفكارها، ومن ثَمّ عدم تمكّنه من أدبيات الحوار وآليات النقاش، وأن المفاهيم التي يستعملها قد تجاوزها الزمن منهجياً. تستعمل منطقاً غريباً في الحوار، إذا لم يضبط المحاور الذي لا يعرفها نفسه فسوف يرتكب حماقةً ما، أو يستبدل منطق الكفّ بمنطق العقل.

تحكي عن حسنها وإعجاب الشخصيات المرموقة في السياسة والعلم بها، تنسج قصة قضاء ليلة حمراء في فندق الشيراتون أو... مع العلم أن إحدى صديقاتها باتت معها بجناح (واو) بالحي الجامعي، أو أنها في الرابعة بعد زوال الأمس كانت برفقة فلان، ونسيت أنها كانت معنا في قاعة الدرس. من الأفضل للكذاب أن يتوفّر على ذاكرة قوية، أو أن يفرغ احتياطه من الكذب لدى أناس عابرين؛ فلا يقهر الإنسان إلا الإنسان، و«الصح كيدوم» كما يُقال في مثلنا الشعبي.

في أثناء غياب الحسناء تنقطع جميع أخبار الكواليس عن الأستاذ الفاضل، ويكثر الكلام والسؤال عن الغائبة الحسناء؛ مما يضطر سيادة الأستاذ إلى القيام بعملية جرد لقائمة أسمائنا على الرغم من أن عددنا لا يتعدى العشرة. مجرد إلقاء نظرة بانورامية بسيطة يستطيع تعرّف الغائب أو الغائبة!. لكن «الله يحسن العوان». تنقطع حبال الوصال عن ذلك المسكين الحديث العهد بالنعمة، كل شيء في قاموسه له تسويغ ظريف وطريف، كانت تسأله عن بعض الأشياء المتعلقة بمستقبل تكويننا، فيطلب منها تأجيل ذلك بعد الانفراد بها طبعاً.

كانت تحكي ذات مرة عن إحدى صديقاتها، فاعترفت من غير قصد أنها جرّبت جميع أنواع الرجال، لكنها لم تجد لديهم ما يشفي غليلها. تقول: إن جميع خطايا العالم سهلة الحلّ، السياسة هي التي تعقد حلّ المشكلات البسيطة، وتستعمل مناهج تسهم في الأغلب في تعقيد الوقائع والمعطيات، شباب عاجز و«مكلخ». اسألوني أنا التي جالست الكبار، اسألوني أنا التي أنشر مقالاتي البسيكو/ سوسيولوجية في كبريات الدوريات العالمية المتخصّصة.

في صباح أحد أيام يناير المطيرة حضرت كعادتها والأصباغ تلطّخ وجهها الدائري، تتأبّط إحدى الجرائد لتخبر الجميع أنها صاحبة المقال المنشور في الصفحة الأخيرة. ضحك بعضنا، وسألها بعضنا الآخر عن توقيعها، وهناك من لم يُعِر الموضوع أيّ اهتمام. أصبحت مثل هذه الأحداث تدخل في إطار العادي بالنسبة إلى زملاء الفصل، ولن يفاجئهم تلقّي خبر صعودها إلى القمر بالليل، وعودتها في الصباح لتناول الإفطار على الأرض سالمةً غانمةً. يسهل كل شيء في عرفها. إن بطاقةً واحدةً من بين التي تملأ حقيبتها اليدوية كفيلة بأن تفعل كذا، وتنفّذ كذا، وتزيل كذا. تقول: إنها تأتي إلى القاعة من أجل أن ترى مهزلة تعليمنا بعد أن جرّبنا جميع المناهج وحصدنا النتيجة المعروفة. ولعل آخر ما هي بصدد الاستهزاء منه خرافة إحداث شعب الإجازات المطبقة قصد انفتاح الجامعة على محيطها الاجتماعي والاقتصادي. هاي هاي، ههها. قال الأستاذ: إن اندماجنا سوف يكون سهلاً. المسكين لا يعيش عصره.

رفعت الحسناء رأسها لتكتشف أننا غير مبالين بما تقوله، حاولت استقراء آرائنا حول الأمر. اقترحت علينا أن نكتب مذكرة احتجاج ضد الأستاذ المشرف. سايرتها رفقة أحد رفاقي وفعلنا ذلك. تربّعنا على عرش المرتبة الأخيرة، في حين تربّعت الحسناء على عرش المرتبة الأولى، وكانت الوظيفة من نصيبها. قلنا للأستاذ الفاضل في نهاية السنة: إنه عرف كيف يسخّر لمصلحته الأفعى حسناء، ولم يفلح في تكويننا كما التزم بذلك في دفتر التحملات؛ لأننا لم نكن نتمتع بأيّ نوع من الحسن؟! أو أننا لا نتوفّر على أخلاق الأفاعي؟!.



الجودة في التراث العربي: الخط العربي مثالاً

جاسم علي جاسم
المدينة المنورة – السعودية

أتقن الله عزّ وجلّ كلّ شيء خلقه؛ إذ يقول: ﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ (النمل: ٨٨). والله سبحانه وتعالى يحبّ أن يتقن الإنسان عمله؛ حتى يكون مقبولاً. وفي الحديث الشريف: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله عزّ وجلّ يحبّ إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه»[1]. إن إتقان الإنسان عمله على الوجه الذي يرضي الله عزّ وجلّ سنّة حسنة حثّ عليها الرسول صلى الله عليه وسلم وشجّعها.

إن الجودة لم تكن بدعاً من القول من بدع القرن الحادي والعشرين وما سبقه بقليل جداً. إنها متأصلة الجذور عند العرب منذ فجر الجاهلية، ولقد أوفوها بحثاً ودراسة؛ إذ كان الشعراء يتبارون في أسواق مكة المكرمة لاختيار أجودهم شعراً، فكان الشاعر يجلس على منصة يلقي قصيدته، وبعد أن ينتهي منها تحكّم لجنة الجودة (التحكيم) على القصيدة. وبعد أن تُصادق اللجنة على القصيدة، وتُوسم بالجودة، تُكتب بماء الذهب، وتُعلّق على أستار الكعبة تنويهاً بأهميتها، وإعلاءً لشأن صاحبها. ولم يقتصر الأمر على الشعر فقط؛ فالمعاني كان لها نصيب من الجودة كذلك. والأهم من ذلك أن الخط العربي لم يكن بعيداً من هذا الميدان؛ فقد رُوعيت فيه معايير الجودة، ووُصف بأجود الصفات، وحظي بدراسة مستفيضة من الباحثين منذ القديم.

الجودة في الشعر

اهتم العرب بالشعر اهتماماً كبيراً، واعتنوا به عنايةً بالغةً منذ العصر الجاهلي. وفي هذا الخصوص يذكر الزوزني: «فيقولون: إن الشعراء في الجاهلية كانوا يقصدون أسواق العرب التي كانوا يقيمونها كلّ سنة بجوار مكة، فيتناشدون الأشعار، وكان يُنْصب للشاعر فيه ربوة فيصعد إليها، وتحدق به العيون، وتشرئب إليه الأعناق، فينشد قصيدة عليهم حتى يأتي على آخرها، فلا يقاطعه أحد ولا يستوقفه. فإذا ما أحكم القول، وبلغ من الفصاحة ما وقع اتّفاقه على حسنه وإجادته، كتبوه بحروف الذهب على نفيس الديباج، وعلّقوه على الكعبة المشرّفة؛ تنويهاً بشأن صاحبه، وتخليداً لذكره...» وقال ابن رشيق: «وكانت المعلّقات تسمى المُذهّبات؛ ذلك أنها اختيرت من سائر الشعر القديم، فكتبت في (القباطي) بماء الذهب، وعُلّقت على الكعبة؛ فلذلك يقال: مذهبة فلان، إذا كانت أجود شعره، ذكر ذلك غير واحد من العلماء»[2].

ويقول الجاحظ عن جودة الشعر: «وأجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء، سهل المخارج، فتعلم بذلك أنه قد أُفرغ إفراغاً واحداً، وسُبك سبكاً واحداً؛ فهو يجري على اللسان كما يجري الدّهان»[3].

وقد صنّف ابن قتيبة الشعر أربعة أصناف من حيث الجودة، فقال: «قال أبو محمد في حديثه عن أقسام الشعر: تدبّرتُ الشعر فوجدتُه أربعة أضرب:

- ضرب منه حسن لفظُه، وجادّ معناه؛ كقول القائل في بعض بني أمية:

فِي كَفِّهِ خَيْزُرانٌ رِيحُهُ عَبِقٌ
مِنْ كَفِّ أَرْوَعَ فِي عِرْنِينِهِ شَمَمُ
يُغْضِي حَيَاءً وَيُغْضَى مِنْ مَهَابَتِهِ
فَمَا يُكَلَّمُ إِلا حِينَ يَبْتَسِمُ

- وضرب منه حسن لفظُه وحلا، فإذا أنت فتّشتَه لم تجد هناك فائدة في المعنى؛ كقول الشاعر:

ولمّا قَضَينا مِن مِنى كُلَّ حاجةٍ
ومَسَّحَ بالأركانِ مَن هو ماسحُ
وشُدَّتْ عَلى حُدْبِ المهاري رِحالُنا
ولا يَنْظُرُ الغادي الذي هو رائحُ
أَخَذْنا بأطرافِ الأحاديثِ بيننا
وسالتْ بأعناقِ المَطِيِّ الأباطحُ

هذه الألفاظ كما ترى أحسن شيء مخارجَ ومطالعَ ومقاطعَ، وإن نظرتَ إلى ما تحتها من المعنى وجدته: ولما قطعنا أيام منى،

الجودة لم تكن بدعاً من القول من بدع القرن الحادي والعشرين وما سبقه بقليل جداً. إنها متأصلة الجذور عند العرب منذ فجر الجاهلية

واستلمنا الأركان، وعالينا إبلنا الأنضاء، ومضى الناس لا ينتظر الغادي الرائح، ابتدأنا في الحديث، وسارت المطيّ في الأبطح.

- وضرب منه جادّ معناه، وقصرت ألفاظه عنه؛ كقول لبيد بن ربيعة:

مـا عـاتَـبَ الْمَــرْءَ الْـكـريمَ كنفسه

والمـرءُ يُصْـلِحُـهُ الجليسُ الصالحُ

هذا وإن كان جيد المعنى والسبك فإنه قليل الماء والرونق.

- وضرب منه تأخّر معناه وتأخّر لفظه؛ كقول الأعشى في امرأة:

وَفُــوهَـــــا كـقـاحِـــيٍّ

غَــــذَاه دائـــمُ الـهَــــطْلِ

كَـمَـا شِـيـبَ بِـــراح بَـا

ردٍ مِـنْ عَسَـلِ الـنَّـحْـلِ»[٤]

الجودة في المعنى

لم يقتصر الأمر على الألفاظ فقط، بل تعداها إلى المعنى الذي تقف خلفه الألفاظ؛ فإذا جاد المعنى جادت الألفاظ، وأن المعنى هو الأصل، والألفاظ تبع له؛ فها هو ذا الجرجاني[٥] يحدّثنا عن جودة المعنى؛ إذ عاب على الجاحظ النظرة السطحية للغة حينما استشهد ببيتين من الشعر أغفل فيهما ظاهرة المعنى، وانتصر للفظ انتصاراً عظيماً؛ إذ يقول في (دلائل الإعجاز) نقلاً عن (الحيوان) للجاحظ:

لا تَحْـسَـبَنَّ الْمَــوتَ مَـوتَ البِـلَى

وإنَّمــا المَــوتُ سُــؤَالُ الـرِّجَـالْ

كِـلاهُـمَـا مَــوْتٌ، ولـكـنَّ ذَا

أَشَـدُّ مِـن ذَاكَ علـى كُـلِّ حَـالْ

ثم قال: وذهب الشيخ إلى استحسان المعاني، والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي، والقروي والبدوي، وإنما الشأن في إقامة الوزن، وتخيُّر اللفظ، وسهولة المخرج، وصحّة الطبع، وكثرة الماء، وجَودة السبك، وإنما الشعر صياغة وضرب من التصوير؛ فقد تراه كيف أسقط أمر المعاني، وأبى أن يجبّ لها فضل، فقال: «وهي مطروحة في الطريق»، ثم قال: «وأنا أزْعُمُ أن ابن صاحب هذين البيتين لا يقول شعراً أبداً»، فَأَعْلَمَكَ أن فضل الشعر بلفظه لا بمعناه، وأنه إذا عَدِمَ الحُسنَ في لفظه ونظمه لم يستحقَّ هذا الاسم بالحقيقة.

من خلال مناقشة قضيتي الشعر والمعنى وجدنا أن العرب بحثوا في موضوع الجودة، وأبدعوا فيها إبداعاً حسناً. هذه لمحة عامة عن الجودة عند العلماء العرب، وننتقل الآن إلى الحديث عن الجودة في الخط العربي.

الجودة في الخط العربي

سنسلط الضوء هنا على بعض الأمور التي لها صلة بفضيلة الخط، وتحسينه، ومعايير الجودة فيه، وما يتّصل بذلك من قضايا.

فضيلة الخط

ناقش العلماء العرب فضل الخط الجيد، وذكروا صفاته ومناقبه، كما ذكروا مثالب الكُتّاب في هذا الشأن. وفيما يأتي نستعرض ما قالوه في هذا الموضوع.

ناقش القلقشندي[٦] فضيلة الخط، مستشهداً بالآيات الكريمة والأحاديث الشريفة وأقوال العلماء، التي تُثْبِت هذا الفضل للخط العربي.

قال تعالى: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ (العلق: ٣-٥)؛ فأضاف تعليم الخط إلى نفسه، وامتنَّ به على عباده، وناهيك بذلك شرفاً!. وقال جلّ وعزَّ: ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ (القلم: ١)، فأقسم بما يَسْطُرونه.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾ (الأحقاف: ٤): إنه الخط، وفي رواية: جودة الخط. ويُروى أن سليمان عليه السلام سأل عفريتاً عن الكلام، فقال: ريحٌ لا يبقى!. قال: فما قَيْدُه؟ قال: الكتابة. وقيل: الخط أفضل من اللفظ؛ لأن اللفظ يُفَهِّم



الحاضر فقط، والخطُّ يُفَهِّم الحاضر والغائب. ولله القائل في ذلك يصف القلم:

وأَخْــرَسَ يَـنْـطِـقُ بـالمُـحْـكَـمَـات
وجُـثْـمَـانُـهُ صَـامِـتٌ أَجْـوَفُ
بِمـكَّـةَ يَـنْـطِـقُ في خُـفْـيَـةٍ
وبـالـشـام مَـنْـطِـقُـه يُـعْـرَفُ

ويذكر القلقشندي[٧] خبراً عن الصولي يقول: وقد قال إبراهيم بن العباس الصولي الكاتب: أَطِلْ خُرْطوم قلمك. فقيل له: أله خرطوم؟ قال: نعم، وأنشد:

كـأن أنـوفَ الـطـير في عَرَصَـاتـهـا
خـراطـيـمُ أقـلام تَـخُـطُّ وتُـعْـجِـمُ

وقال عبدالحميد بن يحيى - كاتبُ مروانَ - لرغبان، وكان يكتب بقلم قصير البَرْية: أتريد أن يَجُود خطُّك؟ قال: نعم. قال: فَأَطِلْ جِلْفَةَ قَلَمك وأسمنْها، وحَرِّف القطة وأيمنها. قال رغبان: ففعلتُ ذلك، فجاد خَطِّي.

ومن فضائل الخط ما ذكره الأصفهاني[٨]: قال عبيدالله بن العباس العلوي: الخطُّ لسانُ اليد. وقال يحيى بن خالد: الخط صورة، روحها البيان، ويدها السرعة، وقدمها التسوية، وجوارحها معرفة الفصُول. يلفت الأصفهاني انتباهنا إلى أهمية استعمال علامات الترقيم في الكتابة؛ لكي نعرف فواصل الكلم بعضه من بعض. وقال الحسن بن رجاء: الخط متنزّه الألحاظ، ومُجتنى الألفاظ. ووصف أحمد بن إسماعيل خطاً فقال: لو كان نباتاً لكان زهراً، ولو كان معدناً لكان تبراً، أو مذاقاً لكان حلواً، أو شراباً لكان صفواً. وسُئل بعض الكتّاب عن الخطّ متى يستحقّ أن يُوصف بالجودة؟ فقال[٩]: «إذا اعتدلت أقسامه، وطالت ألفهُ ولامهُ، واستقامت سطوره، وضاهى صعودَه حدورُه، وتَفَتَّحَتْ عيونُه، ولم تشتبه راؤه ونونُه، وأشرق قرطاسُه، وأظلمت أنقاسُه (المداد)، ولم تختلف أجناسُه، وأسرع إلى العيون تصوُّره»، كأنه حينئذٍ كما قيل:

إذا مـا تَجَـلَّـلَ قـرطـاسَـه
وسـاوره الـقـلـمُ الأرقـشُ
تَـضـمَّـنَ مـن خـطِّـه حُـلَّـةً
كـنـقـش الـدنـانـير بـل أنـقـشُ
حـروفـاً تُـعـيـدُ لـعـين الـكـلـيـل
نـشـاطـاً ويـقـرؤهـا الأخـفـشُ

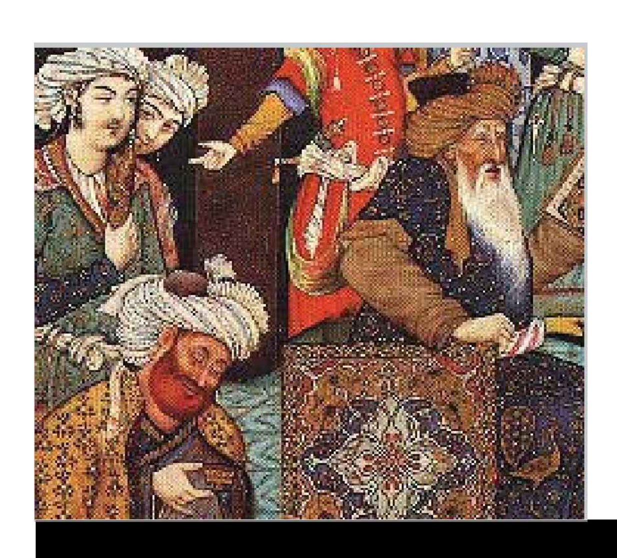
ووصف أحمد بن صالح من جارية خطَّاطة آلات كتابتها، فقال[١٠]: «كأن خطَّها أشكالُ صورتها، وكأن مدادَها سوادُ شعرها، وكأن قرطاسَها أديمُ وجهها، وكأن قلمَها بعض أناملها، وكأن بيانها سحرُ مقلتها، وكأن سكِّينَها غنجُ لحظها، وكأن مقطَّها قلب عاشقها». ويقول القلقشندي في هذا السياق[١١]: «لم يزل الشعراء يَلْهَجون بمدح أشراف الكُتَّاب وتقريظهم، ويتغالون في وصف بلاغاتهم وحُسن خطوطهم؛ فمن أحسن ما مُدِح به كاتب قولُ ابن المعتز:

إذا أَخَـذَ الـقِـرْطَـاسَ خِلْـتَ يمينَهُ
تُـفَـتِّـحُ نَـوْراً أَو تُـنَـظِّـم جَـوْهَـرَا

وقال آخر:

يُـؤَلِّـفُ الـلُّـؤْلُـؤَ المَـنْـثُـورَ مَـنْـطِـقُـه
ويَـنْـظِـمُ الـدُّرَّ بـالأقـلام في الكُتُبِ»

ويذكر العسكري[١٢] «أن من علامات جودة الخَط الترقين، وهو النَّقْطُ في الكتاب، وأن تقرأه على نفسك، وتعتبره وتدبر بعضه



ناقش العلماء العرب فضل الخط الجيد، وذكروا صفاته ومناقبه، كما ذكروا مثالب الكُتَّاب في هذا الشأن

ببعض. والشكل أيضاً من علامات الجودة في الخط. وممن مدح كثرة الشَّكل أحمد بن إسماعيل نَطَّاحَة الكاتب، فقال:

مُسْتَوْدعٌ قرطاسَه حِكماً
كالرَّوْض مَيَّزَ بينَه زَهَرُهْ
وكأنَّ أَحْرُفَ خَطِّه شَجَرٌ
والشَّكلُ في أضعافها ثَمَرُهْ

ومما يُستحسن في هذا المعنى بيت ندر لابن المعتز:

بِشَكْلٍ يُؤَمِّنُ الإشكالُ فيه
كأنَّ سُطورَهُ أغصانُ شَوْكِ»

ويسوق لنا الأصفهاني[13] خبراً عن أهمية الشكل في الشعر، يقول فيه: «استهدى من أحمد بن إسماعيل دفتراً فيه (حدود الفراء)، فأهداه إليه، وكتب على ظهره:

خُذْهُ فقد سُوِّغت منه مُشَبَّهَاً
بالرَّوض أو بالبُرْدِ في تَفْويفِهِ
نُظِمَتْ كما نُظِمَ السحابُ سُطُورُهُ
وتأنَّقَ الفَرَّاءُ في تأليفِهِ
وشكلتُهُ ونَقطْتُه فأَمِنْتُ مِنْ
تصحيفِهِ ونجوتُ من تحريفِهِ
بستانُ خطٍّ غيرَ أنَّ ثمارَهُ
لا يُجْتَنى إلاّ بشكلِ حُرُوفِهِ

وقالوا: المختار في صلاح الأقلام أن يُطال السِّنَّانِ ويُسَمَّنَا، وتُحَرَّف القَطَّةُ وتُيَمَّن، ويُفرقَ بين السطور، ويجمعَ بين الحروف».

وكما أثنوا وأشادوا بجودة الخط، ومدحوا أهله، كذلك أُولِعُوا بذَمِّ حَمْقَى الكُتَّاب، ولَهِجُوا يَهْجوهم في كلّ زمن، ومنه قول الشاعر في هجاء الكُتَّاب[14]:

وكاتبٍ أقلامُهُ
مُعَوَّدات بالغَلَطْ
يَكْشِطُ ما يَكْتُبُهُ
ثم يُعيدُ ما كَشَطْ

ويروي العسكري[15] أيضاً «أن من مناقب خلف الأحمر أنه من أفضل ما عدد من مناقبه أن قال:

لا يَهِمِ الحاءَ في القراءة بالخا
ء ولا يأخذ إسنادَهُ عن الصُّحفِ

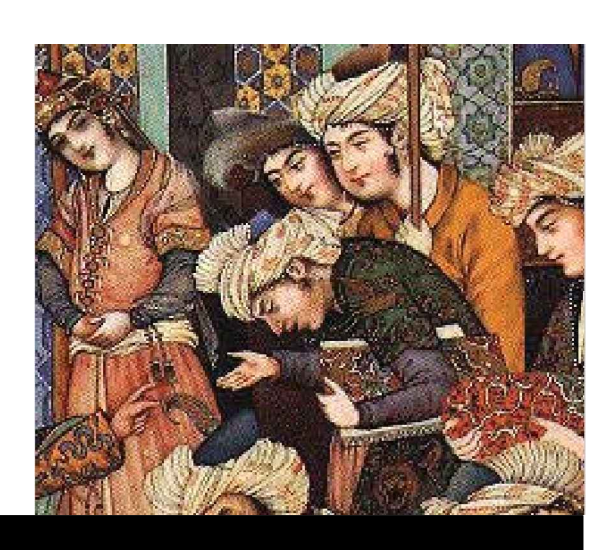
وأنشد محمد لأبان اللاحِقي في رَجلٍ كان كُلَّما أخطأ فَقِيلَ له: هذا لا يجوز، قال: في هذا لغة:

يَكْسِرُ الشِّعْرَ وإنْ عاتَبْتَه
في مُحَالٍ قال: في هذا لُغَةْ»

كما قالوا: جودة الخط إحدى البلاغتين، كما أن رداءة الخط إحدى الزمانتين[16].

تحسين الخط

كلما كان الخط حسناً كان له أثر في النفس الإنسانية، وكلما كان رديئاً قلّ أثره، وإن كانت أفكاره حسنة[17]. ويذكر القلقشندي[18] أن من علامات حسن الخط ما يأتي: «لا خفاء أن حُسن الخط من أحسن الأوصاف التي يتّصف بها الكاتب، وأنه يرفع قَدْرَهُ عند الناس، ويكون وسيلةً إلى نُجح مقاصده، وبلوغ مآربه، مع ما ينضم إلى ذلك من الفوائد التي لا تكاد تُحصى كثرةً. وقد قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: الخط الحسن يزيد الحق وضوحاً. وقال بعض العلماء: الخط كالروح في الجسد؛



يُرجَّح أن أول من وضع الشكل كما يذكر القلقشندي هو أبو الأسود الدؤلي؛ وذلك عندما أراد أن يعمل كتاباً في العربية يقوّم الناسَ به ما فسد من كلامهم

فإذا كان الإنسان جسيماً وسيماً حسن الهيئة كان في العيون أعظم، وفي النفوس أفخم، وإذا كان على ضدّ ذلك سئمتْه النفوس، ومجَّته القلوب. فكذلك الخط إذا كان حسن الوصف، مليح الرَّصف، مفتح العيون، أملس المتون، كثير الائتلاف، قليل الاختلاف، هشَّت إليه النفوس، واشتهته الأرواح؛ حتى إن الإنسان ليقرؤه وإن كان فيه كلام دنيء، ومعنى رديء، مستزيداً منه ولو كثُر، من غير سآمة تلحقُه. وإذا كان الخط قبيحاً مجَّته الأفهام، ولفظته العيون والأفكار، وسَئِم قارئه، وإن كان فيه من الحكمة عجائبها، ومن الألفاظ غرائبُها. ويقال: إن الخط موازٍ للقراءة؛ فأجود الخط أبينُه، كما أن أجود القراءة أبينها. ولا يخفى أن الخط الحسن هو البيّن الرائق البهيج... قال: فينبغي للكاتب ألاّ يقدم على تهذيب خطه وتحريره شيئاً من آدابه؛ فإن جودة الخط أول الأدوات التي ينتظم بحصولها له اسم الكتابة، ويُحكم عليه إذا حازها بأنه من أهلها. وقد دخل بحُسن الخط في الصناعة مَنْ إذا فُحص عن مقدار معرفته وجب أن تُنزَّه الكتابة عن نسبته إليها».

ويُتوصّل إلى تحسين الخط بعدة أمور، منها[١٩]:

- الأول: معرفة تشكيل الحروف. قال في (مواد البيان):

وهو الأصل في أدب الخط؛ لأن الخط إنما يُسمّى جيداً إذا حَسُنَتْ أشكال حروفه، وإنما يسمى رديئاً إذا قَبُحَتْ أشكال حروفه. وحُسن صور حروف الخط في العين شبيهٌ بحُسن مخارج اللفظ العذب في السَّمع. قال: والوجه في تصحيح الحروف أن يبدأ أولاً بتقويمها مفردةً مبسوطةً لتصحّ صورة كلّ حرف منها على حيالها، ثم يُؤخذ في تقويمها مجموعةً مركبةً، وأن يُبدأ من المركب بالثنائي، والثلاثي، ثم بالرباعي، ثم بالخماسي؛ فإن هذه هي أمثلة الأسماء والحروف الأصلية، وأن يعتمد في التمثيل على توقيف المَهَرة في الخطوط، العارفين بأوضاعها ورسومها واستعمال آلاتها؛ فإن لكل خطٍّ من الخطوط قلماً من الأقلام يصلُح لذلك الخط...

- الثاني: لواحق الخط: النَّقْط والإعجام

ينبغي للكاتب أن يُعْجِم كتابَهُ، ويبيِّن إعرابه؛ فإنه متى أعراه عن الضبط، وأخلاه عن الشكل والنقط، كثر فيه التصحيف، وغلب عليه التحريف[٢٠]. وأخرج بسنده إلى ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: «لكل شيء نور، ونور الكتاب العَجْم». وقد حكى محمد بن عمر المدائني أن جعفراً المتوكل كتب إلى بعض عُمّاله «أن أحْصِ مَنْ قِبَلَك من المدنيِّين، وعَرِّفنا بمبلغ عددهم، فوقع على الحاء نقطة فجمع العاملُ مَنْ كان في عمله منهم وخَصَاهم فماتوا غير رجلين أو واحد».

وقد رُوي أن أول من نَقَطَ المصاحف، ووضع العربية أبو الأسود الدؤلي من تلقين أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه. فإن أريد بالنقط في ذلك الإعجام فيحتمل أن يكون ذلك ابتداءً لوضع الإعجام، والظاهر ما تقدّم؛ إذ يبعُد أن الحروف قبل ذلك مع تشابه صورها كانت عَرِيَّةً عن النقط إلى حين نَقْط المصحف.

وزاد العسكري[٢١] على النقط والإعجام سبباً آخر، هو الأخذ من أفواه الرجال في حال عدم الركون إلى صحة الكتابة، والوثوق بمن يُنْقَل عنه. لكن عمر[٢٢] يرى أن النقط موجود منذ القديم؛ إذ يقول: «عُثِرَ على بَرْدِيَّة يرجع تاريخها إلى عام ٢٢ هجرية على عهد عمر بن الخطاب، وهي مكتوبة باللغتين العربية واليونانية، وقد نقطت فيها حروف الخاء والذال والزاي والشين والنون. كما عُثر على نقش بقرب الطائف يرجع تاريخه إلى عام ٥٨ (ثمانية وخمسين) في عهد معاوية نقطت فيه أكثرُ حروفه التي تحتاج إلى نقط. كما أن هناك إشارات في المراجع العربية تدلّ على وجود النقط في الجاهلية. ومن ذلك:

أولاً: ما رُوِي عن ابن مسعود، وهو قوله: جَرِّدوا القرآن. قال الزمخشري: أي من النَّقْط والفواتح والعُشور.

ثانياً: ما يرجّحه القلقشندي في (صبح الأعشى) من أن الإعجام وُضع على الحروف. وهذا الرأي الأخير هو الأكثر قبولاً في نظري؛ إذ يَبْعُد أن تكون الحروفُ متشابهةً قد وُضعت أول أمرها على هذا اللَّبْس. ومع هذا، فقد كان

العربُ الخُلَّص يعدّون نقط الكتاب سوء ظنّ بالمكتوب إليه. ولذا كانوا يُجرِّدون كُتُبَهم من النقط... ولكن حين اختلط العربُ بالأعاجم، وكَثُرَ التصحيفُ في القرآن الكريم والحديث الشريف والشعر العربي، وُجدت الحاجةُ المُلِحَّةُ إلى التزام النَّقط في الكتابة».

- الثالث: الشَّكْلُ

قال بعض أهل اللغة(٢٣): هو مأخوذ من شَكْل الدابة؛ لأن الحروف تُضْبَط بقيد فلا يلتبس إعرابها، كما تُضبط الدابَّة بالشِّكال فيمنعها من الهروب. قال أبو تمام:

ترى الأمـرَ مَعْجُوماً إذا كان مُعْجَماً
لـديـه ومَـشْـكُولاً إذا كـان مَـشْـكُولاً

ويُرجَّح أن أول من وضع الشكل كما يذكر القلقشندي هو أبو الأسود الدؤلي؛ وذلك عندما أراد أن يعمل كتاباً في العربية يقوِّم الناسُ به ما فسد من كلامهم؛ إذ كان قد فشا في الناس. فقال: أرى أن أبتدئ بإعراب القرآن أولاً، فأحضر من يُمْسك المصحف، وأحضر صِبغاً يخالف لون المِداد، وقال للذي يمسك المصحف عليه: إذا فتحتُ فايَ فاجعل نقطةً فوق الحرف، وإذا كسرتُ فايَ فاجعل نقطةً تحت الحرف، وإذا ضممتُ فايَ فاجعل نقطةً أمام الحرف، فإن أتبعت شيئاً من هذه الحركات غنَّة (يعني تنويناً) فاجعل نقطتين. ففعل ذلك حتى أتى على آخر المصحف. وأكثر العلماء على أن أبا الأسود جعل الحركات والتنوين لا غير، وأن الخليل بن أحمد هو الذي جعل الهمزة والتشديد عن الروم والإشمام.

ويضيف عمر(٢٤): «من المعروف أن هذه النقاط لم يبتَدِعْها أبو الأسود الدؤلي ابتداعاً، وإنما أخذها عن السريان، وبالتحديد من النساطرة. وبمرور الوقت، وصعوبة حصول الكاتب على مدادين مختلفين أثناء الكتابة، يكْتُب بأحدهما الكلمات ونقاطَ الإعجام، وبالآخر نقاطَ الشكل، ولاضطراره أحياناً إلى كتابة الاثنين بمداد واحد، مما كان يُوقع في لبس، فكَّر الخليل بن أحمد، المتوفَّى ١٧٥ هجرية، في الاستعاضة عن نَقْط الشكل برموز أخرى، هي تلك الرموز التي نستعملها الآن، فرَمَزَ للفتحة بجرَّةٍ عُلْوية، وللكسرة بجرَّةٍ سفلية، وللضمة برأس واو، وللسكون بدائرة أو برأس جيم بلا نقط، وللشدة برأس شين بغير نقط، وللهمزة برأس عين، ولألف الوصل برأس صاد. وبهذا صار من الممكن أن يجمع الكاتب بين شكل الكتاب ونَقْطِه بلون واحد ومداد واحد دون لبس».

ولقد تشعّبت آراء العلماء في قضية الشكل؛ فبعضهم يؤيد ذلك ويحثّ عليه، وبعضهم الآخر يعارضه ويرفضه جملةً وتفصيلاً. إليكم بيان ذلك بالتفصيل:

- آراء المؤيدين للشكل:

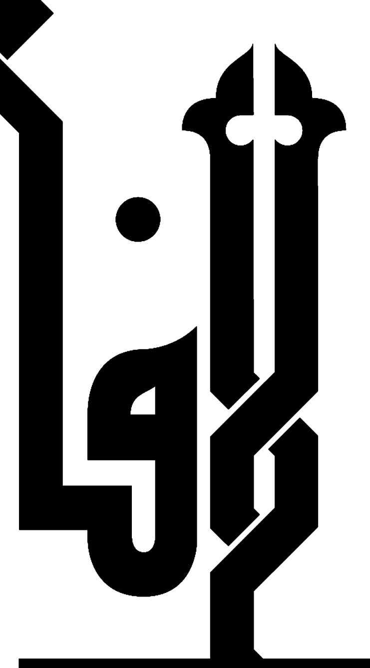
لقد اختلفت مقاصد الكُتَّاب في ذلك(٢٥)؛ فذهب بعضهم إلى الرغبة فيه والحثّ عليه؛ لما فيه من البيان والضبط والتقييد. قال هشام بن عبدالملك: اشْكُلوا قرائن الآداب؛ لئلا تَندَّ عن الصواب. وقال علي بن منصور: حَلُّوا غرائبَ الكَلِم بالتقييد، وحصِّنوها عن شُبَه التصحيف والتحريف. ويقال: إعجام الكُتُب يمنع من استعجامها، وشَكْلُها يصونُها



ينبغي للكاتب أن يُعْجِم كتابَهُ، ويبيّن إعرابه؛ فإنه متى أعراه عن الضبط، وأخلاه عن الشكل والنقط، كثر فيه التصحيف، وغلب عليه التحريف

الجودة عند العلماء العرب

كان الإحساس بالجودة والشعور بها حاضراً في أذهان العلماء العرب منذ الجاهلية؛ فقد بيّنوا هذا الجانب في مجالسهم الشعرية والأدبية والنقدية وغيرها، وحظي الشعر والمعنى بنصيب وافر من هذا الموضوع، وغير ذلك من الموضوعات الأدبية الأخرى؛ كالنقد مثلاً، من خلال المُشادّة الكلامية التي دارت رحاها بين النابغة الذبياني وحسان بن ثابت في هذا الخصوص. وسوف نقتصر الحديث هنا على الشعر والمعنى لأهميتهما، وبيان أسبقية العرب في هذا المجال.



الشعراء في الجاهلية كانوا يقصدون أسواق العرب التي كانوا يقيمونها كلّ سنة بجوار مكة، فيتناشدون الأشعار

عن إشكالها، ولله القائل:

وكـــأنَّ أَحْــــرُفَ خَـطِّـه شَـجَـر
والـشَّـكْـلُ في أغْـصَــانِـه ثَـمَـرُ

- آراء المعارضين للشكل:

لقد عارض بعض الكُتَّاب الشكل ورغَّبَ عنه؛ لما فيه من إهانة واستخفاف بالمتلقي لهذا الكتاب[٢٦]. ونورد فيما يأتي بعض الأقوال للمعارضين لهذه القضية:

قال سعيد بن حميد الكاتب: لأنْ يُشْكِل الحرفُ على القارئ أَحبُّ إليّ من أن يُعَابَ الكاتبُ بالشكل. ونظر محمد بن عَبَّاد إلى أبي عبيد، وهو يقيد البسملةَ، فقال: لو عَرفْتَه ما شكلتَه. وقد جَرَّدَ الصحابةُ رضوان الله عليهم المصحف حين جمعوا القرآن من النقط والشكل، وهو أجدر بهما، فلو كان مطلوباً لما جَرَّدوه منه. ويقول أبو نواس في ذم النقط في كاتب نَقَطَ كتاباً أرسله إليه وشَكَله[٢٧]:

لم تَرْضَ بالإعجام حين كَتَبْتَه
حـتـى شَـكَـلْـتَ عـلـيـه بـالإعـرابِ
أحـسـسـتَ سـوءَ الـفـهـم حـين فعلتَهُ
أم لم تـثـقْ بـي في قِـــراةِ كـتـابِ
لـو كنت قَـطَّـعـتَ الـحــروفَ فهمتُها
مــن غـيـر وصـلـكَـهُـنَّ بـالأنـســابِ

معايير الجودة في الخط

يذكر القلقشندي أن معايير الجودة في الخط على ضربين[٢٨]:

- الضرب الأول: حُسْن التشكيل

قال الوزير أبو عليّ بن مُقْلة: وتحتاج الحروف في تصحيح أشكالها إلى خمسة أشياء:

- الأول: التوفية، وهي أن يُوفَّى كل حرف من الحروف حظَّه من الخُطُوط التي يركب منها؛ من مقوّس، ومُنْحن، ومُنْسَطح.
- الثاني: الإتمام، وهو أن يُعطى كلُّ حرف قسمتَهُ من الأقدار التي يجب أن يكون عليها؛ من طُول أو قِصَر، أو دِقَّة أو غِلَظ.
- الثالث: الإكمال، وهو أن يُؤتى كل خطّ حظَّه من الهيئات التي ينبغي أن يكون عليها؛ من انتصاب، وتسطيح، وانكباب،

واستلقاء، وتقويس.

- الرابع: الإشباع، وهو أن يُؤتى كلُّ خطّ حظّه من صَدر القلم حتى يتساوى به؛ فلا يكون بعض أجزائه أدقَّ من بعض ولا أغلظَ، إلا فيما يجب أن يكون كذلك من أجزاء بعض الحروف من الدقة عن باقية؛ مثل: الألف، والراء، ونحوهما.
- الخامس: الإرسال، وهو أن يُرسِلَ يدَه بالقلم في كلّ شكل يجري بسُرعة من غير احتباس يُضَرِّسه، ولا تَوقُّف يرعشه.

- الضرب الثاني: حُسْنُ الوَضْع

قال الوزير: ويحتاج إلى تصحيح أربعة أشياء:

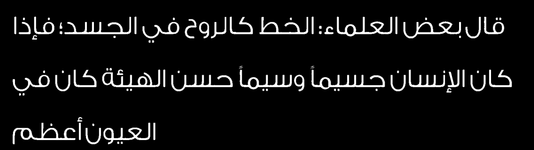
- الأول: الترصيف، وهو وصل كلِّ حرف متّصل إلى حرف.
- الثاني: التأليف، وهو جمع كلِّ حرف غير متّصل إلى غيره على أفضل ما ينبغي ويحسن.
- الثالث: التسطير، وهو إضافة الكلمة إلى الكلمة حتى تصير سطراً منتظم الوضع كالمسطرة.
- الرابع: التنصيل، وهو مواقع المَدَّات المستحسنة من الحروف المتصلة. وهذه المَدّات تُستعمل لأمرين:
- أحدهما: أنها تُحسِّن الخط وتفخِّمه في مكان، كما يُحَسِّن مَدُّ الصوت اللفظَ ويفخِّمه في مكان.
- الثاني: أنها ربما أوقعت ليتم السَّطْر، إذا فضل منه كلمة فتمدَّ التي وقعت في آخر السطر لتقع الأخرى في أول السطر الذي يليه.

وقال الشيخ عماد الدين بن العفيف: مواضع المدِّ أواخر السطور، وتُكرَهُ إذا كانت سيناً مدغمة.

هذه علامات الجودة في الخط كما ذكرها أهل الصنعة في هذا المجال. وإذا طُبِّقت بشكل دقيق فإن الخط يُوصَفُ بالجودة عند ذلك، وإلاّ فلا. والآن نناقش علامات الترقيم كما وضَّحها العلماء القدامى.







ثالثاً: علامات الترقيم

هل علامات الترقيم جديدة في الكتابة العربية أو أنها قديمة؟. يقول الكردي[٢٩]: «مخترع علامات الترقيم هم الأتراك منذ سنة ١٣٠٠ هجرية تقريباً؛ فقد رأينا كتاباً باللغة التركية مطبوعاً بالحروف العربية مذكوراً فيه علامات الترقيم بالتفصيل التام، رأيناه عند أحد الحجاج بمكة المشرفة، وذلك في سنة ١٣٦٩هجرية». ويقول الخولي[٣٠]: «إن من عيوب الكتابة القديمة رصّ كلماتها رصاً متجاوراً، لا فرجة بينها، ولا نهاية لجملها، ولا فواصل تحدّها؛ مما نشأ عنه تداخلُ أجزاء الجمل بعضها في بعض، واضطراب المعاني نتيجةً لهذا الخلط وهذا التداخل، خاصة وأن (الشكل) لم يكن شائعاً كما هو عليه الآن».

لكنني أخالفهما الرأي للأسباب الآتية:

أولاً: لقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يقطّع قراءته؛ فقد ثبت عن أم سلمة رضي الله تعالى عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا قرأ قطّع قراءته آيةً آيةً؛ يقول: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، ثم يقف، ثم يقول: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، ثم يقف، ثم يقول: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾. رواه أبو داود ساكتاً عليه، والترمذي، وأحمد، وأبو عبيدة، وغيرهم، وهو حديث حسن، وسنده صحيح[٣١].

ثانياً: لقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يهتمّون عند قراءة مسائله مشافهة، ويتعلمونه كما يتعلمون القراءة. أخرج ابن النحاس عن ابن عمر رضي الله عنه أنه قال: «لقد عشنا برهةً من دهرنا وإن أحدنا ليؤتى الإيمان قبل القرآن، وتنزل السورة على محمد صلى الله عليه وسلم، فيتعلم حلالها وحرامها، وأمرها وزجرها، وما ينبغي أن يوقف عنده منها. واستمر السلف الصالح من الصحابة والتابعين يتناقلون مسائل هذا العلم مشافهةً إلى أن جاء عصر التدوين، فبدأ العلماء بالتأليف فيه، وأول من نعلم أنه ألّف في الوقف والابتداء: شيبة بن نصاح المدني الكوفي (١٣٠هـ)، قال ابن الجزري: هو أول من ألّف في الوقوف، ولم يصلنا كتابه»[٣٢].

ثالثاً: يضيف الداني على هذا القول ما يأتي[٣٣]: «أما النحو، فلا يتم الوقف على المضاف دون المضاف إليه، ولا على الرافع دون المرفوع، ولا على المرفوع دون الرافع، ولا على المنصوب دون الناصب، ولا عكسه، ولا على المؤكد دون التأكيد، ولا على المعطوف دون المعطوف عليه، ولا على إن وأخواتها دون اسمها، ولا على اسمها دون خبرها، وكذا ظننت، ولا على المستثنى منه دون الاستثناء، ولا على المفسّر عنه دون التفسير، ولا على الموصول دون صلته، ولا على حرف الاستفهام دون ما استُفهم عنه، ولا على حرف الجزاء دون الفعل الذي بينهما، ولا على الذي يليه دون الجواب. والحاصل أنه كلّ شيء كان تعلّقه بما قبله لا يجوز الوقف عليه».

فهذه النصوص تدلّ دلالةً قويةً على أهمية استخدام الوقف بين أجزاء الكلام؛ لمعرفة المعنى التام من عدمه. وهي تشير إشارةً واضحةً إلى أن علامات الترقيم ضرورية في الكتابة؛ للمحافظة على جودتها، ومعرفة بداية الجمل ونهاياتها.

رابعاً: لقد كان الكُتّاب يراعون فواصل الكلام في الإنشاء، وأين توضع هذه العلامات بشكل صحيح كما يذكر القلقشندي؛ إذ يقول[٣٤]: الخط إذا كان متميز الفُصول وصل معنى كلِّ فصل منه إلى النفس على صورته، وإذا كان متصلاً دعا إلى إعمال الفِكْر في تخليص أغراضه.

وقد اختلفت طرائق الكُتّاب في فصول الكلام الذي لم يُمَيَّزْ بذكر باب أو فصل ونحوه؛ فالنُّسّاخ يجعلون لذلك دائرةً تفصل بين الكلامين، وكُتّابُ الرسائل يجعلون للفواصل بياضاً يكون بين الكلامين من سجع أو فصل

كلام، إلا أن بياض فَصْل الكلامين يكون في قدر رأس إبهام، وفصل السجعتين يكون في مقدار رأس خِنْصر.

أضف إلى ذلك ما ذكره القلقشندي عن صاحب (مواد البيان)[٣٥]: «وينبغي ألاّ تكون الجملة في آخر السطر والفاصلة في أول السطر الذي يليه؛ فإنه مُلْبِس لاتصال الكلام، بل لا يجعل في أول السطر بياضاً أصلاً؛ لأنه يقبح بذلك لخروجه عن نسبة السطور، ولا أن يُفْسِح بين السطر والذي يليه إفساحاً زائداً عما بين كل سطرين، ولكن يُراعي ذلك من أول شروعه في كتابة السطر فيقدّر الخط بالجمع والمشْق حتى يخلُص من هذا العيب».

تؤكّد لنا هذه النصوص أن الكُتّاب راعوا علامات الترقيم، وتنبَّهوا إلى أمكنتها الصحيحة التي يجب أن توضع فيها. إضافةً إلى ذلك، ذكر العلماء العرب أيضاً مثالب فواصل الكلام إن وضعت بمكان غير صحيح في أثناء الكتابة، وها هو ذا القلقشندي يذكر ذلك فيما يأتي[٣٦]:

حسن التدبير في قطع الكلام ووصله في أواخر السطور وأوائلها: لأن السطور في المنظر كالفصول فإذا قطع السطر على شيء يتعلق بما بعده كان قبيحاً، كما إذا كتب بعض حروف الكلمة في آخر السطر وبعضها في أول السطر الذي يليه. إن الفصل المستقبَح في آخر السطر وأول الذي يليه صنفان:

الصنف الأول: فصلُ بعض حروف الكلمة الواحدة عن بعض، وتفريقها في السطر الذي يليه؛ مثل: أن تقع معه لفظة (كتاب) في آخر السطر، فيكتب الكافَ والتاءَ والألفَ في آخر السطر والباءَ في أول السطر الذي يليه، أو يقع في آخر السطر لفظُ (مسرور) فيكتب الميمَ والسينَ والراءَ فيه والواوَ والراءَ الثانية في أول السطر الذي يليه، ونحو ذلك.

قال في (مواد البيان): وهو قبيح جداً؛ لأنه لا يجوز فصل

المراجع

(١) الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير، ١٤٢٨هـ، المعجم الأوسط، بيروت: دار الكتب العلمية، الباب: من اسمه أحمد، ج٢، ص٤٠٨، رقم الحديث ٩٠٩.

(٢) الزوزني، أبو عبدالله الحسين بن أحمد بن الحسين، ١٩٨٣م، شرح المعلقات العشر، بيروت: دار مكتبة الحياة، ص١٦-١٧. وللمزيد انظر: الأعلم الشنتمري، يوسف بن سليمان بن عيسى، ١٩٨٣م، أشعار الشعراء الستة الجاهليين، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، الطبعة الثالثة، بيروت: دار الآفاق الجديدة، ج١، ص٢١، ٢٢.

(٣) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، ٢٠٠٣م، الحيوان، وضع حواشيه: عيون السود، محمد باسل، الطبعة الثانية، بيروت: دار الكتب العلمية، ج١، ص٦٧.

(٤) ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم، ٢٠٠٦م، الشعر والشعراء، حقّقه وضبط نصّه ووضع حواشيه: قميحة، مفيد، والضنّاوي، محمد أمين، الطبعة الأولى، بيروت: دار الكتب العلمية، ص١٣-١٦.

(٥) الجرجاني، عبدالقاهر، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، دلائل الإعجاز، قرأه وعلّق عليه: أبو فهر شاكر، محمود محمد، القاهرة: مكتبة الخانجي، ص٢٥٥-٢٧٥. وللمزيد انظر: جاسم، جاسم علي، ٢٠٠٩م، علم اللغة النفسي عند قدامى اللغويين العرب، مجلة العربية للناطقين بغيرها، تصدر عن معهد اللغة العربية في جامعة إفريقية العالمية، السودان: الخرطوم، العدد السابع، السنة السادسة، ص٥٢-٥٧.

(٦) القلقشندي، أبو العباس أحمد، ١٩٢٢م، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، الطبعة بدون، القاهرة: دار الكتب المصرية، ج٣، ص٥-٧.

(٧) القلقشندي، المصدر السابق، ج٢، ص٤٤٨، ٤٤٩.

(٨) الأصفهاني، حمزة بن الحسن، ١٩٩٢م، التنبيه على حدوث التصحيف، حقّقه: طلس، محمد أسعد، راجعه: الحمصي، أسماء، والملوحي، عبدالمعين، الطبعة الثانية، بيروت: دار صادر، ص٤٠ وما بعدها.

(٩) المصدر السابق، ص٤٥، ٤٦.

(١٠) الأصفهاني، المصدر السابق، ص٤٦.

(١١) القلقشندي، المصدر السابق، ج١، ص٤٦.

(١٢) العسكري، أبو أحمد الحسن بن عبدالله بن سعيد، ١٩٦٣م، شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف، تحقيق: أحمد، عبدالعزيز، الطبعة الأولى، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ص١٦.

(١٣) الأصفهاني، المصدر السابق، ص٥١-٥٦. وللمزيد انظر: الجاحظ، المصدر السابق، ج١، ص٤٧، ٤٨.

(١٤) القلقشندي، المصدر السابق، ج١، ص٤٧.

(١٥) العسكري، المصدر السابق، ص١٨-٤٨.

(١٦) الأصفهاني، المصدر السابق، ص٥٦.

الاسم عن بعضه. إن هذا العيب موجود في اللغة الإنجليزية واللغات الأوربية الأخرى؛ فهي تقطع الكلمة في نهاية السطر، وتضع شرطةً بعدها، وتتمّها في بداية السطر التالي.

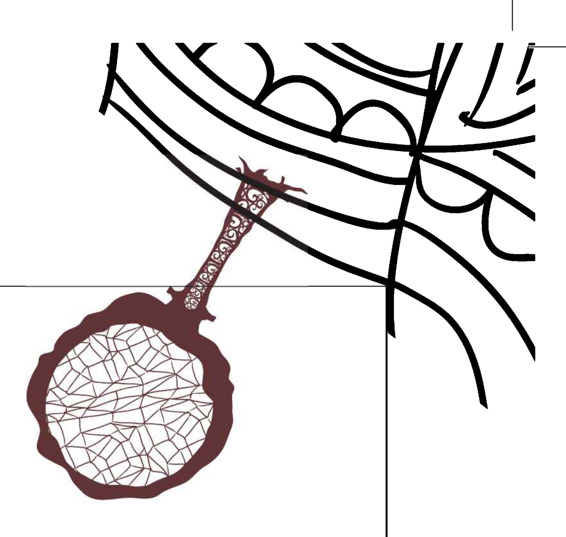
الصنف الثاني: فصل الكلمة التامة وصلتها مثل أن يكتب (وصلَ كتابُكَ وأيدَّك الله) مُفَصَّلات، فيكتب (وصل) في آخر السطر، و(كتابك) في أول السطر الذي يليه، أو يكتب (أيدَّك) في آخر السطر، واسم (الله) تعالى في أول الذي يليه، وما جرى مجرى ذلك.

قال في (مواد البيان): والأحسن تجنُّبه إذا أمكن، فإن لم يمكن فيُتجنَّبُ القبيحُ منه، وهو الفصل بين المضاف والمضاف إليه؛ كعبدالله، وغلام زيد، وما أشبه؛ لأن المضاف والمضاف إليه بمنزلة الاسم الواحد... ثم قال: ومما يَقْبُح فصلُه الفصلُ بين كلّ اسمين جُعلا اسماً واحداً نحو: حضرموت، وتأبط شراً، وذي يزن، وأحد عشر[٣٧].

موضوع قديم

من خلال اطّلاعنا على أدبيات البحث في هذا المجال وجدنا أن الجودة موضوع قديم قدم الشعر الجاهلي، وأن العلماء العرب أشبعوها بحثاً ودراسةً، وتحدثوا عنها في مختلف النواحي الأدبية: في الشعر، والمعاني، والخطّ، وعلامات الترقيم، وغير ذلك من القضايا الجوهرية. ولقد ناقشنا فضيلة الخط العربي، وكيفية وصفه بالجودة، وغير ذلك من الأمور المتعلقة به، وأن تحسين الخط يعتمد على أمور؛ منها: معرفة تشكيل الحروف، والنقط والإعجام، والشكل. كما بيَّنا آراء المؤيدين والمعارضين للشكل، وفصّلنا القول عن معايير الجودة في الخط العربي. وأخيراً، تحدثنا عن علامات الترقيم؛ لأنها ضرورية في الكتابة؛ لمعرفة بداية الكلام ونهايته، خصوصاً إن وُضِعَت في أمكنتها الصحيحة.

(١٧) عطية، محسن علي، ٢٠٠٦م، الكافي في أساليب تدريس اللغة العربية، الطبعة الأولى، عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع، ص٢١٦.
(١٨) القلقشندي، المصدر السابق، ج٣، ص٢٤، ٢٥. وللمزيد انظر: الخولي، محمد علي، ١٩٨٩م، أساليب تدريس اللغة العربية، الطبعة الثالثة، الرياض: مطابع الفرزدق التجارية، ص١٣٠-١٣٢.
(١٩) القلقشندي، المصدر السابق، ج٣، ص٢٦.
(٢٠) القلقشندي، المصدر السابق، ج٣، ص١٥٣-١٥٥. وللمزيد انظر: التنسي، أبو عبدالله محمد بن عبدالله، ١٤٢٠هـ، الطِّراز في شرح ضبط الخرَّاز، دراسة وتحقيق: شرشال، أحمد بن أحمد، المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ص٧١.
(٢١) العسكري، المصدر السابق، ص١٣-١٦.
(٢٢) عمر، أحمد مختار، ٢٠٠٢م، أنا واللغة والمجمع، الطبعة الأولى، القاهرة: عالم الكتب، ص١٥٩. وللمزيد انظر: الضامن، حاتم صالح، ٢٠٠٧م، فقه اللغة، الطبعة الأولى، الشارقة: مكتبة الصحابة، ص١٣٤-١٤٠.
(٢٣) القلقشندي، المصدر السابق، ج٣، ص١٦٠، ١٦١.
(٢٤) عمر، المصدر السابق، ص١٦٠.
(٢٥) القلقشندي، المصدر السابق، ج٣، ص١٦١.
(٢٦) القلقشندي، المصدر السابق، ج٣، ص١٦١.
(٢٧) الصولي، أبو بكر محمد بن يحيى بن عبدالله، ١٩٩٤م، أدب الكُتَّاب، شرح وتعليق: بسج، أحمد حسن، الطبعة الأولى، بيروت: دار الكتب العلمية، ص٥٤.
(٢٨) القلقشندي، المصدر السابق، ج٣، ص١٤٣-١٤٥.
(٢٩) الكردي، محمد طاهر، ١٩٨٢م، الخط العربي، الطبعة الثانية، صدر عن الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون، ص٤٩٧.
(٣٠) الخولي، فتحي، ١٩٨٨م، دليل الإملاء وقواعد الكتابة العربية، الطبعة الخامسة، جدة: مكتبة المنهل، والقاهرة: مكتبة وهبة، ص١٦٩، ١٧٠.
(٣١) ابن الجزري، أبو الخير محمد بن محمد، ٢٠٠٢م، النشر في القراءات العشر، قدَّم له: الضباع، علي محمد، خرّج آياته: عميرات، زكريا، الطبعة الثانية، بيروت: دار الكتب العلمية، ج١، ص١٧٨.
(٣٢) الداني، أبو عمرو عثمان بن سعيد، ١٩٨٧م، المُكتفى في الوقف والابتدا في كتاب الله عزّ وجلّ، دراسة وتحقيق: المرعشلي، يوسف عبدالرحمن، الطبعة الثانية، بيروت: مؤسسة الرسالة، ص٤٩.
(٣٣) المصدر السابق، ص٥٨.
(٣٤) القلقشندي، المصدر السابق، ج٣، ص١٤٩، ١٥٠.
(٣٥) القلقشندي، المصدر السابق، ج٣، ص١٤٩، ١٥٠.
(٣٦) القلقشندي، المصدر السابق، ج٣، ص١٥١، ١٥٢. وللمزيد انظر: الصولي، المصدر السابق، ص٤٩.
(٣٧) للمزيد انظر: النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل، ٢٠٠٤م، عمدة الكُتَّاب، عناية: الجابي، بسام عبدالوهاب، الطبعة الأولى، بيروت: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، ص٣٦٢.



العروبة في مصر

محاضرة الدكتور زكي مبارك

أرسل إلينا حضرة الدكتور زكي مبارك هذه المحاضرة النفيسة، التي ألقاها في نادي المثنى ببغداد، ووعد بأن يوافي المجلة بآرائه ومقالاته، فنشرنا المحاضرة شاكرين ومسجّلين عليه وعده، وهي:

أيها السادة:

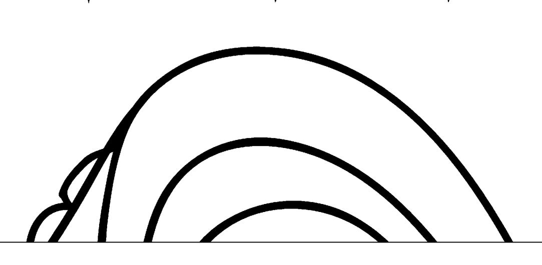
منذ أيام ألقيتُ محاضرةً في نادي القلم العراقي عن المذاهب الأدبية في مصر، ارتجلتها ارتجالاً؛ لأن الوقت لم يتّسع لتدوينها، وأنا كما تعلمون مشغول. وكان في النية أيضاً أن أرتجل هذه المحاضرة، وقد عرف ذلك صديقي صاحب جريدة البلاد، فأرسل أحد زملائه لتلخيصها، ولكني رأيتُ بعد عصر اليوم أن الموضوع الذي أتكلم فيه موضوع دقيق، وأن من الواجب أن أدوّن محاضرتي، وأن أقف عند الذي دوّنت؛ حتى لا توجد فرصة للتفسير والتأويل.

وأسارع أيها السادة فأنصّ على أن محاضرتي لا صلة لها بالمعاني السياسية؛ فليس في بغداد مصري يحقّ له أن يتكلّم في السياسة غير سعادة الأستاذ عبدالرحمن بك عزام وزير مصر المفوّض في العراق، وإنما أتكلّم باسم الأدباء المصريين كلام الزميل الصادق الذي لا يعرف غير الحق.

وبعد هذا التحفظ أقول: إن صلات مصر بالأمم العربية ترجع في حقيقتها إلى عنصرين: عنصر السياسة، وعنصر الأخوة. والسياسة لها وجهان: الوجه الدولي، والوجه الأدبي. وأعترف صراحةً بأن الوجه الدولي من السياسة لا يربط مصر بالأمم العربية؛ فمصر لا تملك من الوجهة الدولية أن تجهّز الجيوش لمناصرة الأمم العربية، وهي كذلك لا تنتظر هذه المعونة من الأمم العربية، وكلكم يذكر أن البوارج الإنجليزية احتلّت الكمارك مرةً في عهد وزارة المغفور له سعد زغلول، ومع ذلك لم يقُل أحد في مصر: إن الأمم العربية كان عليها أن تقف في صفّ مصر بما عندها من جيوش البر والبحر والهواء؛ فذلك – أيها السادة – أمل نرجو أن يحقّقه المستقبل، أما الآن فنحن وأنتم نعرف ما يحيط بنا من المعضلات، ونرجو أن ينصرنا الله على الأعداء.

أما الوجه الأدبي من السياسة، فمصر تعرفه حق العرفان، وهل يصحّ في ذهن أحد أننا في مصر ننظر إلى المفوضية العراقية أو الوكالة العربية كما ننظر مثلاً إلى السفارة البريطانية أو السفارة الإيطالية؟! هيهات، إن هذا كلام لا يقوله إلا حاقد أو جهول.

اسألوا سفيركم في مصر يحدّثكم عما يلقاه من كرم



المصريين، واسألوا سفير الحجاز والأفغان وإيران يحدّثوكم أنهم يعيشون في مصر عيش السعداء؛ لأنهم بين إخوان يعرفون واجبات الإخاء، ويفهمون قيمة العواطف العربية والإسلامية.

بل اسألوا أبناءكم الذين يتعلمون في مصر، اسألوهم يحدّثوكم أن الأساتذة في الجامعة المصرية والأزهر ودار العلوم يشدّدون عليهم في الامتحان؛ ليثقوا بأنهم يصلحون لخدمة بلادهم في قوة وأمانة، بل اسألوا كلّ من يتّصل بمصر في سبيل المنافع الاقتصادية من أهل سورية، ولبنان، وفلسطين، وحلب، واليمن، والحجاز، وتونس، وطرابلس، والجزائر، ومراكش، وجاوة، والهند. اسألوا كلّ إنسان يتكلم اللغة العربية من الوافدين على مصر: كيف حاله في مصر؟ وإني لواثق بأن المنصفين منهم سيجيبونكم بأن مصر هي البلد الوحيد الذي يعرف قيمة الأخوة العربية والإسلامية.

أيها السادة:

إن مصر هي أعظم موئل للعروبة، ومن واجب العربي الصادق أن يدعو الله لسلامة تلك البلاد من كل عاديةٍ؛ حتى تظلّ ينبوعاً تتفجّر منه المعارف العربية.

ومع أن مصر أعظم موئل للعروبة باعتراف الجميع فهناك شبهات يجب تبديدها في هذا المقام. هناك إشاعة تقول: إن مصر فرعونية، وتقول: إن الذي أذاع هذه الفكرة هو كاتب مصري اسمه سلامة موسى. وأرجوكم أن تصدقوني - أيها السادة - إذا أكّدت لكم أن هذا الكلام اخترعه ناس في غير مصر، وسمع به سلامة موسى كما سمعه غيره من المصريين، ومن هذا ترون الدسيسة جاءتنا من الخارج، جاءتنا من المستعمرين وأتباع المستعمرين، وأنتم تعرفون جيداً أن المستعمرين قد ملؤوا بدنانيرهم جيوب فريق ممّن يكتبون باللغة العربية، والمستعمرون يفهمون جيداً أن الأمم العربية تمنح مصر حقّ الزعامة الأدبية؛ فهم يسلكون جميع المسالك ليسوّئوا سمعة مصر بين الأمم العربية، وأجهل الناس يعرف أن العروبة إن انعدمت في مصر فلن تقوم لها قائمة إلا بعد أعوام طوال، يوم يصبح العراق وفيه عشرون مليوناً من السكان، وله ميزانية تبلغ مائة مليون. والمصريون لا ينكرون أنهم ورثوا بلاد الفراعين، وأنهم من أجل ذلك يسمّون مصريين، وهل يضير العروبة أن يتشبّث المصريون ببلادهم، وأن يبذلوا في سبيلها كل شيء؛ لتبقى تلك البلاد ملكاً خاصاً للغة العربية والدين الإسلامي؟

ما الذي يضير العرب - أيها السادة - إذا رأونا نهتم بالآثار الفرعونية، وكلكم يعرف أن مصر تفرّدت من بين الأمم بأثمن مجموعة من الآثار والفنون عرفتها الإنسانية؟ نحن في مصر نزور آثار الجيزة، وسقارة، والأقصر، وأسوان؛ لنؤمن بأن مصر في طبيعتها صالحة لقيام أعظم إمبراطورية، فهل يسوؤكم أن نسمّر أقدامنا في تلك الأرض، وأن نجعلها إلى الأبد - بإذن الله - من أملاك العروبة؟.

حدّثوني - أيها السادة - ماذا يسوؤكم من تمجيدنا لنهر النيل؟ نحن نحبّه لنحرص عليه ونموت في سبيله إن عدا عليه العادون، فهل يسوؤكم أن يبقى النيل لأمة عربية توحّد بارئ الأرض والسموات؟.

نحن عرب، ولكننا مع ذلك مصريون، وأنتم عرب، ولكنكم مع ذلك عراقيون، وسكان الجزيرة عرب، ولكنهم مع ذلك حجازيون أو يمنيون، فأرجوكم - أيها السادة - أن تَزِنُوا الأمور بموازينها، ولا تظلمونا من غير موجب؛ فإن الحب أساسه الإنصاف.

وهناك شبهة أخرى، هي كلمة (الأدب المصري). وقد بدّدتُ هذه الشبهة حين تكلّمتُ في نادي القلم العراقي؛ فكلمة الأدب المصري في اللغة العربية ترادف كلمة الأدب الأمريكي في اللغة الإنجليزية، وكلمة الأدب البلجيكي في اللغة الفرنسية؛ فالأدب الأمريكي هو أدب إنجليزي، ولكن كتّابه وشعراءه أمريكيون، والأدب البلجيكي هو أدب فرنسي، ولكن كتّابه وشعراءه بلجيكيون، وكذلك الأدب المصري فهو أدب عربي، ولكن كتّابه وشعراءه مصريون. وقد سمعتم أن الأستاذ الدكتور طه حسين اقترح إنشاء كرسيّ للأدب المصري في كلية الآداب بالجامعة المصرية، فهل معنى هذا أن الكرسيّ المنشود سيجلس عليه أستاذ لا يدرس غير (المواويل) التي يتغنى بها المغنون في قهوات الحلمية القديمة؟!. هيهات، إنما هو كرسيّ يهتم من يجلس عليه بدرس الكتّاب والشعراء والمؤلفين الذين أنجبتهم الديار المصرية، وهم يعدّون بالمئات، ولهم فضل عظيم على الثقافة العربية، وما أظنكم

تبخلون علينا بإنفاق ألف دينار في كلّ سنة لدرس الأدباء الذين نبتوا في مصر، ونحن ننفق ألوف الدنانير في كلّ أسبوع لدرس الأدباء الذين نبغوا في سائر الأقطار العربية.

أيها السادة:

اسمعوا هذا الحديث:

منذ أيام جاء إلى دار المعلمين العالية فرّاش من كلية الحقوق، وترك لي نسخةً من جريدة الرأي العام التي تصدر في بغداد، فعرفت أن أحد الموظفين هناك أرسلها إليّ لغرض خاصّ، فقلّبت الجريدة، فرأيت فيها تصريحاً للأستاذ مصطفى عبدالرازق عن الوحدة العربية، ورأيت تحت ذلك التصريح عبارة مكتوبة بالحبر الأحمر، هذا نصّها: ليتأمّل الدكتور زكي مبارك!!.

وقد تأملتُ وتأملتُ ثم تأملتُ.

فماذا في تلك العبارة؟ فيها أن الأستاذ مصطفى عبدالرازق يقول: إن مصر تقف من الوحدة العربية موقف المشاهدة، لا موقف المفاعلة.

وهو كذلك، ولكني عرفتُ من سياق العبارة أن الأستاذ مصطفى عبدالرازق ألقاها باللغة الفرنسية؛ لأنها نُشرت في جريدة إنجليزية؛ أعني أنه قرّر أن مصر ليس لها مع الأمم العربية موقف يُسمى Action، وهذه كلمة حقّ؛ فالظروف لا تساعد مصر على تجييش الجيوش في سبيل الوحدة العربية، وهذا إثم لا تحتمله مصر وحدها، وإنما هي مصيبة دولية تشترك فيها جميع الأمم العربية.

ومع ذلك، هل سكت المصريون على كلمة مصطفى عبدالرازق؟ لا؛ فقد هجموا عليه، وخطّؤوه بعبارات قوية نشرتها جريدة العقاب منذ أيام. مع أن عبارة الأستاذ مصطفى عبدالرازق ليس فيها عند التأمل ما يريب، وأقول بصراحة:

إن مصطفى عبدالرازق من مفاخر العرب والمسلمين، ولو كان في الأمم العربية عشرة من العلماء على نمط مصطفى عبدالرازق لكان العرب من أغنى الناس في عالم العقل والبيان.

أيها السادة:

هل تحبّون أن أحدّثكم عن مصر العربية؟ قولوا: إنكم تحبون ذلك!!.

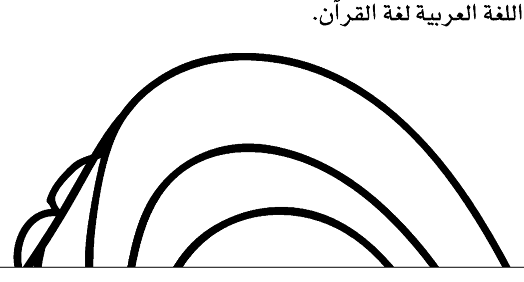
إن مصر اليوم هي الشاهد على حيوية العرب؛ فالصحافة المصرية أقوى من الصحافة الفرنسية، والصحافة الإيطالية، والصحافة الألمانية. وليس هذا بالقليل يا أدباء بغداد. في مصر اليوم مطابع لا تقلّ قوةً عن مطابع باريس، ولندن، وروما، وبرلين، وهي مطابع عربية، لا إفرنجية ولا إنجليزية ولا جرمانية. في القاهرة معهد اسمه الجامعة المصرية، وهو بعون الله ورعايته لا يقلّ قوةً عن جامعة لندن، أو جامعة باريس، أو جامعة برلين.

إن متوسط ما تخرج مطابع القاهرة باللغة العربية اثنا عشر كتاباً في كلّ يوم بغضّ النظر عن مطابع بورسعيد، والمنصورة، وطنطا، والإسكندرية، وبلقاس، وشبين، وأسيوط، وبغضّ النظر عن المطابع الخصوصية مطابع العلماء والأدباء.

إن مصر هي البلد الوحيد بين البلاد العربية، البلد الوحيد الذي يعيش فيه حملة الأقلام عيش المياسير، وقد جرّبت ذلك بنفسي، فكنت أغنم عشرات من الدنانير في الأسبوع الواحد من قلمي، ولي بيت في مصر الجديدة أنفقت عليه ألفي دينار كسبتها من سنّ القلم في عامين اثنين، ولو تيسّر هذا في العراق والحجاز وسورية لأصبح العرب سادة العلم والبيان.

أيها السادة:

أنا عربي أولاً، ومصري ثانياً، ولو شئتُ لقلتُ: إن أبي من أصل عربي صريح، وأهل سنتريس يعرفون ذلك، ولكني أرفض التودّد المتكلّف، وأقول: إني مصري. وما تسوؤني هذه النسبة؛ فالمصريون عرب في أقوالهم، وأفعالهم، وشمائلهم، ودينهم، ومذاهبهم، وأدعو الله – عزّ شأنه – أن يجعل مصر أبد الدهر من أملاك اللغة العربية لغة القرآن.



أيها السادة:

هل تؤذيكم هذه الصراحة؟

اعذروني؛ فأنا أتكلّم في بغداد، التي أعزّت العقل والمنطق يوم كان الناس يعيشون في دياجير الجهل، والغفلة، والحمق، والغباء.

وأنا في الواقع تلميذ بغداد قبل أن أكون تلميذ القاهرة أو باريس. فإن رابتكم صراحتي فلا تلوموني، اللوم على أسلافكم الذين شرعوا مذاهب العقل والمنطق.

أيها السادة:

إن مصر عربية في كل شيء، عربية في لغتها، ودينها، وأخلاقها.

إن مصر عربية، ولكنها لا تقول في كلّ لحظة: إنها عربية؛ لأن الكريم لا يقول في كلّ لحظة: إنه كريم، ولو فعل ذلك لأضافه الناس إلى أهل المنّ الممقوت.

إن أهل مصر كأهل الحجاز، لا يقولون: إنهم عرب؛ لأن توضيح الواضح من المشكلات.

أيها السادة:

اسمحوا لي أن أقول بصراحة: إن التشكيك في عروبة مصر لا يقوم به إلا ناس يخدمون المستعمرين، ويخدمون المبشرين، والعراق لحسن الحظ منزّه عن هذه الأهواء. إن مصر هي التي استطاعت أن تفرض على فرنسا أن تؤمن بأن اللغة العربية لغة حية، فتكتفي بها في امتحانات البكالوريا الفرنسية، وهي التي استطاعت أن تفرض على عصبة الأمم أن تجعل اللغة العربية لغةً رسميةً دوليةً، وهي التي استطاعت أن تجعل الأزهر مرجعاً لجميع المذاهب الإسلامية بلا استثناء، وذلك لون من الحرية الفكرية كانت مصر أول من شرعه بين جميع الأمم الإسلامية.

أيها السادة:

إن مصر هي بلادكم، وبلاد كلّ ناطق بالضاد من جميع الديانات. إن مصر بلاد كلّ من يتعلق باللغة العربية ولو تمذهب بالوثنية؛ فمن العقوق أن تسمعوا فيها كلام الخونة من عبيد المستعمرين، الذين يريدون أن يوهموكم أن مصر انسلخت من العروبة، وأنها لا تعرف غير أصولها من الفراعين.

أيها العراقيون:

أنتم الشعب الذي يُعتمد عليه في حكومة العقل والمنطق، وقد سمعتم أن مصر لا تعطف على الأحزان العربية، وحدّثكم المغرضون أن مصر لم تحزن على نكبة فلسطين مثلاً؛ فليقم من أعضاء نادي المثنى جماعة للموازنة بين ما نشرته الجرائد المصرية في الانتصار لقضية فلسطين وبين ما نشرته الجرائد العربية، وحينذاك تعرفون أن المصريين كانوا أكثر الناس غيرةً على تلك القضية، قضية العروبة وقضية الإسلام.

أيها السادة:

في مصر كثير من مظاهر العروبة، بل كل ما في مصر ينطق بعروبتها كما قال الدكتور محجوب ثابت، ولكن عيب مصر أنها لا تقول في كل لحظة: إنها عربية. وأؤكد لكم – وأنا صادق – أن القاهرة ليست أعزّ عليّ من بغداد، ولكني مع ذلك أرجوكم أن تزوروا القاهرة؛ لتقفوا على ما فيها من الحيوية العربية التي تتمثّل في الأزهر، والجامعة المصرية، والمجمع اللغوي، والفرقة القومية، التي تتجسّم في وزارة المعارف المصرية.

أيها السادة:

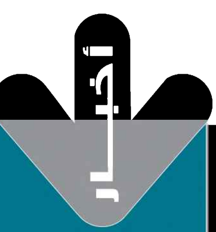
إن المستعمرين وصنائعهم يريدون أن يوهموكم أن مصر تخلّت عن العروبة، ويريدون أن يزهدوا العرب في الثقافة المصرية؛ لأنهم يفهمون أن أدباء مصر في هذه الأيام لا يقلّون قوةً وفحولةً عن أدباء إنجلترا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا، أدباء مصر هم اليوم رجال الفكر والبيان ولو كره المستعمرون.

أيها السادة:

إن العروبة في مصر بخير وعافية، ولا يعوزها إلا شيء واحد، هو أن يثق بها أبناء الأمم العربية، ولاسيما أهل العراق. رعى الله مصر، ورعى العروبة، وحفظ العراق.

آمين آمين لا أرضى بواحدة
حتى أضيف إليها ألف آمينا

الرابطة العربية، السنة الثانية، الجزء ٨٥، الأربعاء ٢٤ ذي القعدة سنة ١٣٦٥هـ/ ٢٦ يناير عام ١٩٣٨م.



وفاة الأديب عبدالله بن خميس



توفي الأديب الشاعر عبدالله بن خميس يوم ١٥ جمادى الأولى سنة ١٤٣٢هـ الموافق ١٨ مايو/ أيار الماضي بعد معاناة مع المرض. والأديب الراحل من مواليد برّية الملقى بالدرعية في منطقة الرياض سنة ١٣٣٩هـ/ ١٩١٩م. وعُيِّن ابن خميس في نهاية سنة ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٣م مديراً لمعهد الأحساء العلمي، ثم عُيِّن سنة ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م مديراً لكليتي الشريعة واللغة بالرياض، ومديراً عاماً لرئاسة القضاء في المملكة العربية والسعودية في العام التالي، وعُيِّن سنة ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م وكيلاً لوزارة المواصلات، ثم رئيساً لمصلحة المياه في الرياض سنة ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م. ومنذ سنة ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م قدم عبدالله بن خميس طلباً للإحالة على التقاعد للتفرّغ للبحث والتأليف، فأصدر سنة ١٣٧٩هـ/ ١٩٥٩م مجلة الجزيرة، وهو من مؤسّسي الصحافة في المملكة العربية السعودية، وفي نجد خاصةً، وقد تحوّلت مجلة الجزيرة بعد ذلك إلى صحيفة يومية.

حاز ابن خميس على جائزة الدولة التقديرية في الأدب سنة ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م، ومُنح وشاح الملك عبدالعزيز من الدرجة الأولى في الشخصية الثقافية المكرّمة في مهرجان الجنادرية السابع عشر سنة ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م. وحصل على وسام تكريم وميدالية من مجلس التعاون الخليجي في مسقط سنة ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م. كما حصل على وشاح فتح وميدالية من منظمة التحرير الفلسطينية، وحصل على وسام الشرف الفرنسي من درجة فارس من الرئيس الفرنسي فرانسوا ميتران، وقلّده الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة وسام الثقافة، ونال شهادة تكريم من الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة - أمير دولة البحرين - سنة ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م بمناسبة الاحتفاء بروّاد العمل الاجتماعي من دول الخليج، وقام بزيارة معظم البلاد العربية من المحيط إلى الخليج، إضافةً إلى زيارته بعض البلدان في آسيا وأوربا وأمريكا الشمالية.

وأثرى الفقيد المكتبة العربية بعشرات الكتب في الأدب، والشعر، والنقد، والتراث، والرحلات، وصال وجال في الصحافة والمنتديات والمؤتمرات داخل المملكة وخارجها. ومن كتبه: تاريخ اليمامة (سبعة أجزاء)، والمجاز بين اليمامة والحجاز، وعلى ربى اليمامة، ومن القائل (أربعة أجزاء)، ومعجم اليمامة (جزآن)، ومعجم جبال الجزيرة (خمسة أجزاء)، ومعجم أودية الجزيرة (جزآن)، ومعجم رمال الجزيرة، وراشد الخلاوي، والشوارد (ثلاثة أجزاء)، ومن أحاديث السمر، والدرعية، وشهر في دمشق (جزء واحد)، ومحاضرات وبحوث، ومن جهاد قلم، وفواتح الجزيرة، وأهازيج الحرب أو شعر العرضة، والأدب الشعبي

بجزيرة العرب، وبلادنا والزيت، والديوان الثاني، ورموز من الشعر الشعبي تنبع من أصلها الفصيح، وجولة في غرب أمريكا، وتنزيل الآيات: شواهد الكشاف، وإملاء ما منّ به الرحمن (جزآن)، وأسئلة وأجوبة.

والأديب الراحل كان عضواً في كلّ من: مجمع اللغة العربية بدمشق، ومجمع اللغة العربية بالقاهرة، والمجمع العلمي العراقي، ومجلس الإعلام الأعلى، ومجلس إدارة دارة الملك عبدالعزيز، ومجلس إدارة المجلة العربية، ومجلس إدارة مؤسسة الجزيرة للصحافة والطباعة والنشر، وجمعية البر بالرياض، وهو أول رئيس للنادي الأدبي بالرياض.

الحج والحرمان في أول موسوعة عالمية



تمّ الإعلان مؤخراً عن بدء العمل في إنجاز أول موسوعة تاريخية إسلامية عالمية من نوعها عن الحج ومكة المكرمة والحرمين الشريفين والمشاعر المقدسة. ويشترك معهد خادم الحرمين الشريفين لأبحاث الحج والعمرة ودارة الملك عبدالعزيز في المشروع الهادف إلى بناء سجلّ تاريخي عن الحج والحرمين الشريفين ومكة المكرمة على مرّ العصور.

وأوضح الدكتور ناصر البقمي - وكيل معهد خادم الحرمين الشريفين لأبحاث الحج والعمرة - أنه سيتم توثيق كلّ ما له علاقة بالحج ومكة المكرمة والحرمين الشريفين، إضافةً إلى تنظيم الندوات والملتقيات ذات العلاقة لخدمة أهداف الدارة والمعهد، ومساعدة الدارة ومركز تاريخ مكة المكرمة على تحقيق أهدافهما.

وأشار البقمي إلى أن المعهد قام بإنشاء بنك معلومات إسلامي عالمي عن الحج ومكة المكرمة والمشاعر المقدسة وسيكون متاحاً للدارة وفقاً لاتفاقية أُبرمت بينهما من أجل العمل على إصدار الموسوعة. وتمكّن الاتفاقية الباحثين في معهد خادم الحرمين الشريفين من الاستفادة من مصادر الموسوعة التاريخية عن مكة المكرمة. وتتضمن الموسوعة ثلاثة مسارات، هي: الكتابة والتوثيق في موضوعات وعناصر الحجّ المختلفة على مرّ العصور التاريخية منذ حقبة ما قبل الإسلام إلى الوقت الحاضر، والتوثيق والكتابة عن أنشطة القطاعات الحكومية وغير الحكومية ذات العلاقة بالحج، وتوثيق حركة الحجاج في دول العالم الإسلامي.

وأضاف البقمي: إن المسار الآخر للموسوعة هو بناء معلومات الحجّ التي تندرج تحتها المصنفات والمخطوطات والرحلات وأدبيات الحج التراثية والحديثة في البلدان الإسلامية كافةً بلغاتها المختلفة، والإحصاءات والبحوث والبيانات المتجددة من خلال الصحافة والنشرات الإعلامية والدوريات العلمية ذات الصلة.

أسباب النزاعات والحروب الدولية



إبراهيم بن عبدالرحمن الهدلق
الرياض – السعودية

يرى بعض الباحثين أن الحروب لازمت المجتمع البشري في مختلف ظروفه وتقلّباته؛ حتى بات الإنسان يعتقد أن الحرب من طبيعة الأمور، وأنه لا مفرّ منها من وقت إلى آخر؛ لتجديد النشاط، وبعث الحيوية في شرايين المجتمع، فهل هي كذلك حقاً؟.

ساد هذا الاعتقاد في عقول بعض الساسة والقادة، وتغلغل في أذهانهم منذ أقدم العصور حتى اليوم، بل إن عدداً لا يُستهان به من كبار المفكّرين قد رأى في الحروب ظاهرة إيجابية، ونادى بتشجيعها؛ إذ عدّها امتداداً طبيعياً للعمل السياسي، وبخاصة في مجال السياسة الخارجية. وذكر فضل أبو النصر في كتاب (جولة في القضايا الدولية المعاصرة) أن مفهوم الحرب هذا ظلّ سائداً لدى عدد من المفكّرين حتى برزت أسلحة الدمار الفتاكة على الساحة، التي تأتي بالخراب والدمار والقتل الجماعي والمعاناة البشرية، فكان لا بد من وقفة تفكير وتأمّلٍ، وإعادة النظر في مسألة قبول الحرب أو اللجوء إليها كما كان سائداً من قبل. وقد ساعد على ذلك زيادة القوة التدميرية للحروب التي أتاحت التكنولوجيا الحديثة توفيرها، وتكاد تصل إلى درجة الانتحار الجماعي للبشرية برمّتها.

وكان للآثار الخطيرة للحروب مفعول الصدمة الصاعقة التي هزّت أسس التفكير لدى المجتمع قادةً وساسةً وأفراداً عاديين. وبات من المسلّم به أن الحرب أمر غير مرغوب فيه؛ لأنها شرّ مطلق كما كشف الواقع الملموس. بيد أنه لتجنّبها كان لا بد من فضّ المنازعات بين الشعوب والدول بالطرائق السلمية، واللجوء إلى المفاوضات، شريطة توافر معطيات فكرية وأيديولوجية وعاطفية لتغليب ظاهرة السلام.

النزاع: المفهوم والتعريف

تتميّز النزاعات الدولية بأنها ظاهرة اجتماعية سياسية شديدة التعقيد والتشابك؛ بسبب حركتها، وديناميكيتها، وتعدّد أطرافها، وتنوعهم بين الداخلي والخارجي؛ مما يؤدي إلى تعدّد أسبابها ومظاهرها وأبعادها، وصعوبة متابعة تفاعلاتها في حالة صعودها. ويزيد من تعقيد مفهوم النزاعات الدولية التداخل والخلط بين المصطلحات التي يستخدمها عادةً الكُتّاب كمترادفات؛ مثل: النزاع، والصراع، والحرب، والأزمة، والتوتر، وذلك يرجع - على الأقلّ - إلى تداخل الأسباب وأبعاد هذه الظواهر المتشابهة.

أولاً: تعريف النزاع الدولي

يعرّف ناصف يوسف حتي النزاع في بُعديه اللغوي والاصطلاحي؛ فلفظة يقابل النزاع في اللغة الفرنسية كلمة Conflit، وفي اللغة الإنجليزية كلمة Conflict، وهما من أصل كلمة Conflictus، التي تعني الصراع، والنزاع، والصدام، والتضارب، والشقاق، والقتال. ويستخدم النزاع في الأدبيات



السياسية والعلمية والاجتماعية والنفسية بمعانٍ ومضامين كثيرة: تضارب المصالح، وصراع الحضارات، وصراع الثقافات، والنزاع المسلّح، والنزاع الحدودي، وغيرها.

أما اصطلاحاً، فيحدث النزاع نتيجة تقاربٍ أو تصادم بين اتجاهات مختلفة، أو عدم التوافق في المصالح بين طرفين أو أكثر؛ مما يدفع الأطراف المعنية مباشرةً إلى عدم القبول بالوضع القائم، ومحاولة تغييره؛ فالنزاع يكمن في عملية التفاعل بين طرفين على الأقلّ، ويشكّل هذا التفاعل معياراً أساسياً لتصنيف النزاعات.

بينما يذهب إسماعيل صبري مقلد إلى استخدام مصطلح الصراع بدلاً من النزاع، ويعرّفه تعريفاً شاملاً بقوله: «الصراع في صميمه هو تنازع الإرادات الوطنية، وهو التنازع الناتج عن الاختلاف في دوافع الدول، وفي تصوراتها، وأهدافها، وتطلعاتها، وفي مواردها، وإمكاناتها؛ مما يؤدي في التحليل الأخير إلى اتخاذ قرارات، أو انتهاج سياسات خارجية تختلف أكثر مما تتّفق. ولكن برغم ذلك يظلّ الصراع بكل توتّراته وضغوطه دون نقطة الحرب المسلحة».

ونلاحظ من خلال هذا التعريف أن المحاور الأساسية في النزاع الدولي هي: أنه تنازع الإرادات الوطنية بسبب الاختلاف والتناقض في دوافع الدول وتصوّراتها وأهدافها وتطلعاتها، وأنه تنازع على الموارد والإمكانيات لكلّ دولة حفاظاً على هذه الموارد أو التوسّع نحو اكتسابها، وأن طبيعة هذه العلاقات المتناقضة بين الأطراف المختلفة تؤدي إلى اتخاذ قرارات في السياسة الخارجية من طرف أو أطراف تمسّ بمصالح طرف أو أطراف أخرى وإمكاناتها ومواردها، وأن هذا التناقض والاختلاف لا يخرجان في كلّ الحالات عن دائرة النزاع الدولي الذي لا يصل إلى استخدام الوسائل العسكرية لحسمه، وتمثّل هذه الحالة النقطة القصوى أو العليا في مراحل النزاعات الدولية.

ويعرّف كلّ من جيمس دورتي وروبرت بالستغراف - المتخصّصان في دراسة النزاعات الدولية - النزاع الدولي من الناحية الاصطلاحية بقولهما: «يُستخدم مصطلح الصراع عادةً للإشارة إلى وضع تنخرط فيه مجموعة معينة من الأفراد، سواء قبيلةً أو مجموعةً عرقيةً أو لغويةً أو ثقافيةً أو دينيةً أو اجتماعيةً أو اقتصاديةً أو سياسيةً أو أيّ شيء آخر، في تعارض واعٍ مع مجموعة أو مجموعات أخرى معينة؛ لأن كلاً من هذه المجموعات يسعى إلى تحقيق أهداف متناقضة فعلاً، أو تبدو أنها كذلك». فالتعريف هنا لا يخرج عن المحاور الكبرى للنزاع الدولي؛ أي: سعي كلّ طرف إلى تحقيق أهدافه المتناقضة مع أهداف الطرف الآخر، أو قد تبدو متناقضةً حسب تعبير الكاتبين؛ مما يؤدي إلى الانخراط بشكل واعٍ في العملية النزاعية لتحقيق الهدف المنشود. ويقدّم كل من جيمس

الحرب تخوض غمارها جيوش منظّمة





دورتي وروبرت بالستغراف في كتابهما تعريفاً للنزاع الدولي قدّمه الباحث الاجتماعي لويس كوسر، الذي يحدّده بأنه «تنافس على القيم والقوة والموارد، يكون الهدف فيه بين المتنافسين هو تحييد خصومهم أو تصفيتهم أو إيذاءهم». قدّم لنا لويس كوسر في هذا التعريف محورين يحدّدان لنا الاقتراب من مفهوم النزاع الدولي ومصادر تحريكه، هما: النزاع الدولي، وهو تنافس على القيم والقوة والموارد، والهدف من النزاع الدولي هو تحقيق أحد الأهداف حسب إمكانيات كل طرف وقوته: تحييد الخصم، أو الاتجاه نحو تصفيته، أو العمل على إلحاق الضرر به وإيذائه.

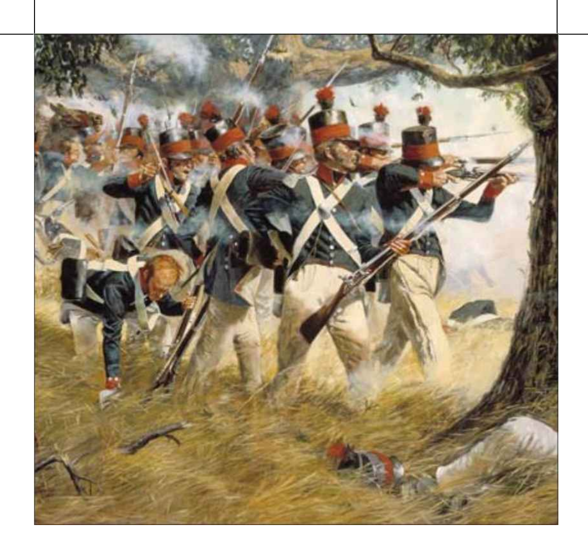
وينبّه كلّ من جيمس دورتي وروبرت بالستغراف على ضرورة التمييز بين مصطلحي النزاع والتوتر؛ فالتوتر هو حالة عداء وتخوّف وشكوك وتصوّر تباين المصالح، أو ربما الرغبة في السيطرة، أو تحقيق الانتقام، ويبقى ذلك كله في الإطار الذي لا يتعدى ليشمل تعارضاً فعلياً وصريحاً؛ إذ إن التوتر حالة سابقة عن النزاع/ الصراع، وكثيراً ما رافق حالات التوترات انفجار الصراع/ النزاع، كما قد يكون التوتر غير بعيد من التعاون القائم بين المتنافسين. وفي الأغلب تبقى أسباب التوتر مرتبطة بشكل وثيق بأسباب الصراع/ النزاع، وإذا تحوّلت التوترات إلى نقطتها القصوى فقد تؤدي أو تكون عاملاً مساعداً أو رئيساً لحدوث الصراع/ النزاع. كما أن النزاع/ الصراع في نقطته القصوى قد يؤدي إلى حالة الحرب.

وإذا بحثنا عن تعريف النزاع الدولي في المعجمات المتخصّصة في المفاهيم والمصطلحات السياسية فإننا نجد أنفسنا أمام تعريفات شاملة، تتداخل فيها التعريفات اللغوية والاصطلاحية مع مصادر النزاعات الدولية والأدوات السياسية لتسوية هذه

مسببات الحروب ناجمة أساساً عن التباين والتناقض في المدركات والدوافع الذاتية للوحدات القرارية

النزاعات، وهو ما نجده مثلاً في معجم العلوم السياسية، الذي يعرّف النزاع الدولي بأنه «عدم الاتفاق بين دولتين أو أكثر قد يصل إلى مرحلة المواجهة المسلحة، وقد تكون ناتجة من تناقض دبلوماسي، أو الاعتداء على حدود دولة، أو الاعتداء على المصالح الوطنية لدولة ما، أو عدم احترام القوانين الدولية، أو التحرك بدافع اتفاق التعاون المتبادل بين دولتين، أو قمع أقلية إثنية أو دينية. وعلى الرغم من تضاعف الهيئات الدولية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية فإنها لم تستطع وقف توسّع النزاعات الدولية، خصوصاً في القارة الإفريقية، التي امتدت مع التسعينيات من القرن العشرين إلى قلب أوربا في البلقان والقوقاز».

إذا توقفنا عند هذا الحدّ من التعريفات المقدمة للنزاع الدولي فإننا نجد بعض النقاط المشتركة في تلك التعريفات، تقوم على التناقض والتصادم والاختلاف والتنازع بين طرفين أو أكثر؛ بسبب الإرادات والأهداف المتعلقة بالموارد والإمكانيات وعناصر القوة والقيم؛ أي: حول عناصر القوة المادية، وعناصر القوة القيمية. ويقودنا هذا التحليل إلى تحديد مصادر هذه النزاعات كما تبيّنها التعريفات؛ فتعريف لويس كوسر كان أكثر وضوحاً من خلال تحديده مفاهيم أساسية لمصادر النزاع الدولي، هي: تنافس طرفين أو أكثر في القيم والقوة والموارد، وهو يطرح بذلك مصادر أساسية للنزاعات الدولية تقترب إلى حدّ بعيد من المدخل الجيوبوليتكي لتعريف النزاع الدولي، الذي يحدّد مصادره في ثلاثة أسباب تفسّر دوافع النزاعات، هي: النزاع على الموارد والمواد الأولية؛ المنجمية، أو الزراعية، أو الصناعية؛ إذ عدّت النزاعات الدولية في القرن العشرين حسب الطرح الجيوبوليتكي نزاعات على النفط أو اليورانيوم أو الألماس، وهي ذات أبعاد اقتصادية في النزاع تدفع الدول القوية إلى البحث عن كسب المزيد من النفوذ، والتوسّع في هذه المناطق؛ لتحقيق أهدافها الإستراتيجية، وكسب المزيد من القوة؛ للتفوّق على منافسيها وخصومها. أما السبب الثاني، الذي يمكن أن يكون مصدراً للنزاعات الدولية حسب الطرح الجيوبوليتكي، فيكمن في الاستيلاء على المواقع الجيواستراتيجية؛ بمعنى أن كل دولة قوية تبحث عن مراقبة مجالات جغرافية حيوية؛ برية وبحرية وفضائية؛ للحفاظ على حمايتها الأمنية، أو لتعظيم قوتها الدفاعية، أو لتحييد دولة خصم أو منافسة؛ للوصول إلى تلك الموارد، ويكون



ذلك بمراقبة الفواصل الجغرافية أو المناطق التي تعدّ حواجز طبيعية؛ مثل: الجبال، والأنهار، والمضايق. وهذا السبب يكمن في الدافع الجغرافي الذي يتحكم في سلوك الدولة لتحقيق الموارد والقوة معاً. ويكمن المصدر الثالث للنزاع الدولي في الهوية الجماعية Identité Collective، التي تستخدم في كثير من الأحيان غطاءً للمصدرين السابقين (النزاع على الموارد، والاستيلاء على المواقع الجيوإستراتيجية)، وتكون هذه الهوية ذات طابع إثني أو قومي أو ديني أو جميعهم معاً. وهذا النوع من النزاعات يخصّ المجتمعات التي لم تصل بعد إلى بناء دولة مؤسسات قوية ومستقرة (حالة أفغانستان والصومال، أو ما يعرف بحالة الدولة الفاشلة). كما أن المواجهات القومية الإثنية يمكن أن تكون داخل دول أكثر استقراراً، أو في مرحلة إعادة الترتيب الجغرافي، كما حدث مع دول البلقان أو القوقاز بعد تفكّك الاتحاد السوفييتي؛ إذ تدفع الجماعات الإثنية نحو



الحرب في المحصلة النهائية لا تعدو كونها قراراً يتخذه فرد (الزعيم، أو القائد السياسي)، أو مجموعة أفراد

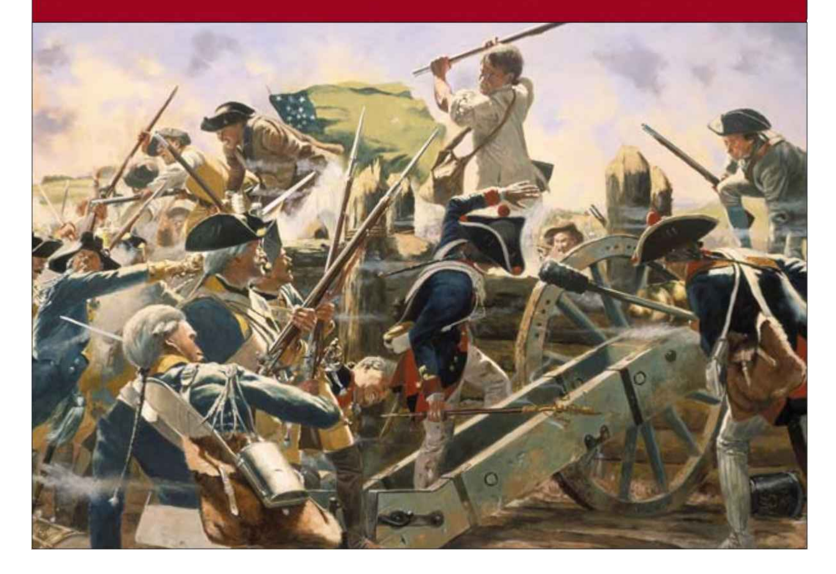
المزيد من المطالب السياسية: الانفصال، أو الحكم الذاتي، أو الاستقلال عن الدولة المركزية؛ مثل حالتي أوسيتيا الجنوبية وأبخازيا مع جورجيا، والشيشان مع روسيا. ويصرّ أتباع الطرح الجيوبوليتكي على التوافق مع تعريف لويس كوسر بأن مصادر النزاع الدولي لا تخرج عن هذه المصادر الأساسية الثلاثة، حتى إن ارتدت النزاعات الدولية غطاء الأيديولوجيا أو الدين فإنها ستبقى - حسب هذا الطرح - حبيسة مفاهيم القوة والموارد والقيم، وهي من المحاور الأساسية التي تقرّبنا إلى فهم مصطلح النزاع الدولي.

الحرب: المفهوم والتعريف

الحرب لغةً هي القتال بين فئتين. وورد ذكر الحرب في المعجمات المختلفة؛ فالحرب في (المورد) تعني حالة الحرب أو فنّ الحرب، وهي تعني العداء والخصام والتصارع. وفي معجم أكسفورد، تعني كلمة الحرب War التحارب، وجاء حرب بلا هوادة knife to the War؛ أي: حرب شعواء اشتد وطيسها. وفي معجمات أخرى تعادل كلمة war كلمتي figth وBattle، وكلها على وجه التقريب تعطي المفهوم نفسه. وجاء في الموسوعة العربية العالمية أن الحرب هي صراع بين مجموعتين كبيرتين، تسعى إحداهما إلى

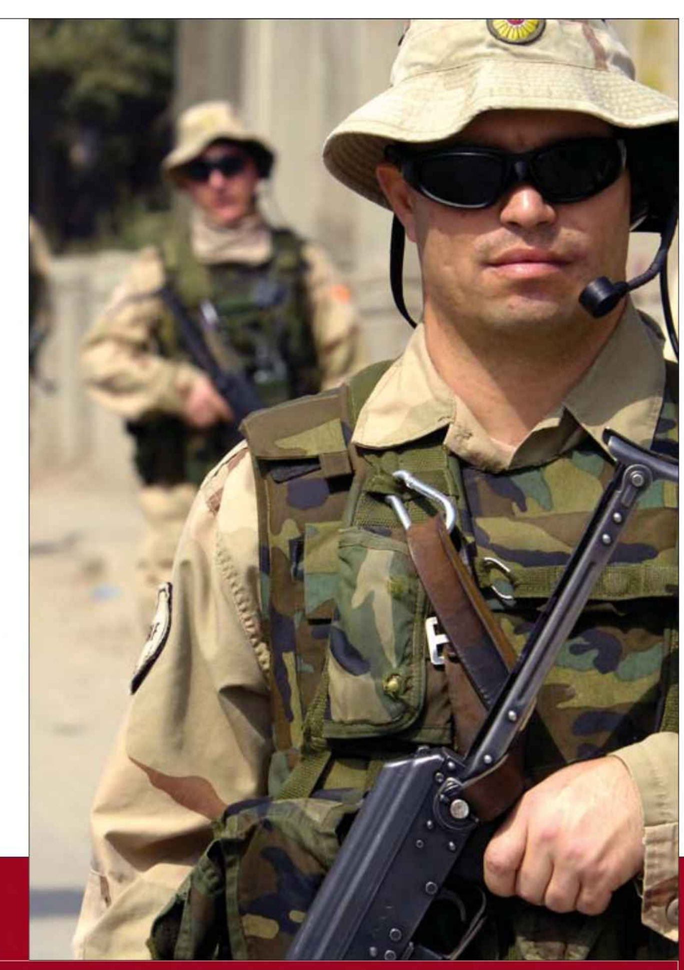
تدمير الأخرى. وفي القاموس السياسي جاء تعريف الحرب في الاصطلاح الدولي بأنها صراع مُسلّح بين دولتين أو فريقين من الدول لتحقيق مصالح وطنية. كما عرّف قاموس المصطلحات العسكرية الحرب بأنها القتال المُسلح الذي ينشب بين دولتين أو أكثر في سبيل تحقيق هدف سياسي أو عسكري، وتخوض غمارها جيوشها النظامية لحلّ النزاع القائم بينهما بعد إخفاق جميع المساعي الدبلوماسية لإيجاد تسوية سياسية. ويؤكد بعض الباحثين أن الحرب بمفهومها المعاصر باتت مرفوضة؛ لخطورتها القصوى؛ إذ هي شرّ مطلق يجب الامتناع عنه. وقد نادت قلة من المفكرين المصلحين في قرون خلت بوقف الحرب ونبذها، بينما كان القادة العسكريون والسياسيون ينظرون إلى الحرب على أنها عمل سياسي بوسائل مختلفة؛ أي: بمعنى أنها عمل مشروع. أما اليوم، فيجمع الناس على أن الحرب أمر يجب عدم الاقتراب منه، حتى لو كانت عادلة، حتى إن المنافقين من الساسة والقياديين لا ينفكون عن التغني بمنافع السلام والأمن ومهاجمة العسكريين والمتهورين الذين لا يتردّدون في خوض غمار الحرب.

تبقى الحرب وسيلةً سياسيةً لتحقيق إرادة صنّاع القرار، تسهم فيها عدة عوامل حسب ظروفها ومعطياتها التاريخية



ويرى كنسي رايت Quincy Wrigth، الذي يهتم بالمظهر التشريعي للحرب، أن الحرب هي الأساس القانوني الذي يتيح لجماعتين، أو عدة جماعات متعادية، أن تحلّ النزاع بينها بقواتها المسلحة. أما كلوفتز Clouvtz، فيذكر أن الحرب عمل من أعمال العنف يهدف إلى إرغام الخصم على تنفيذ إرادة الآخر. ويرى آخرون؛ مثل مارتين martin، أن الحرب صراع بين الناس أو بين دول مستقلة، ويعرّف فون بوجلسيلافسكي Von Pogulslawaski الحرب بأنها المعركة التي تشنّها جماعة معينة من الرجال أو القبائل أو الأمم أو الشعوب أو الدول ضد جماعة مماثلة أو شبيهة لها. ويعرّف لوجرجت Le gorgette الحرب بأنها حالة من الصراع العنيف الذي يقوم بين جماعتين أو عدة جماعات من أفراد ينتمون إلى النوع نفسه بناءً على رغبتهم أو إرادتهم. واقترح توماس بلاس وزملاؤه في كتابهم (العنف والإنسان) تعريفاً آخر يقول: إن الحرب صراع مسلّح ودموي بين جماعات منظمة، وهي صورة من صور العنف لها خاصية أساسية، هي أنها منهجية ومنظمة بالنسبة إلى الجماعات التي تقوم بها، وبالنسبة إلى الطرائق التي يديرونها بها، وهي قواعد تتغيّر وتتبدّل تبعاً للأمكنة والعصور، وتكمن خاصيتها الأخرى في كونها دامية؛ إذ إنه عندما لا تؤدي الحرب إلى تدمير حياة البشر لا تعدو أن تكون نزاعاً أو تبادل تهديدات. فإذا كانت الحرب تمثّل ظاهرة اجتماعية لا يمكن فصلها عن مظاهر الحياة البشرية فإن السؤال الذي يُطرح هنا يدور حول الأسباب الدافعة إليها.

في الواقع، ثمة صعوبة عملية في التعويل على عامل محدّد لتفسير هذه الظاهرة، وربما تكمن هذه الصعوبة في مظاهر التعقيد التي تنطوي عليها الحرب ذاتها؛ بسبب طبيعتها المركبة؛ فالحرب فعل إنساني تتداخل فيه العوامل النفسية، والسياسية، والثقافية، والاقتصادية، فضلاً عن العوامل المرتبطة بالمصلحة القومية التي تجمع أغلب هذه العوامل، إن لم تكن كلّها. ومع ذلك، هناك نظريات واتجاهات فكرية أعطت تفسيرات لهذه الظاهرة، عرضها عبدالقادر محمد فهمي في كتابه (المدخل إلى دراسة الإستراتيجية)، نورد منها ما يأتي:



- هناك من يعوّل على العوامل السيكولوجية، ويرى أن أصل الظاهرة (أي: الحرب) وجذورها ومسبّباتها تكاد تنبع كلها من حقائق سيكولوجية بحتة. ويرى أنصار هذه المدرسة، وفي مقدمتهم لفي ورنر، أن العوامل السيكولوجية التي تدفع باتجاه الحرب تتمثّل في النزاعات العدوانية، والمشاعر العدائية، والتعطش إلى الثأر والانتقام، والحاجة إلى التغيير، والبحث عن المكانة، والشعور بأداء رسالة. ويرى فرويد، الذي يعدّ من أبرز مؤسّسي المدرسة النفسية في دراسة مظاهر السلوك العدواني في النفس الإنسانية، أن السلوك العدواني الذي يقود إلى الحرب هو نتاج طاقة عدوانية كامنة وغير واعية في أعماق النفس البشرية، وأن هذه الطاقة تتحرك ضمن ضوابط اجتماعية في أوقات السلم تحول دون انفجارها، إلا أنها في أوقات الحروب تكون مهيأةً لتظهر في أكثر صورها عنفاً وتطرّفاً. ويركّز فرويد فيما يسمّيه غريزة الموت بوصفها عاملاً دافعاً للحرب، فيقول: «إذا لم تكن الدولة في حالة حرب، وإذا لم تتوافر

أسباب الحرب

شغل موضوع الحروب والمنازعات الدولية في النصف الأول من القرن العشرين عدداً كبيراً من الباحثين والكُتَّاب، حتى ساقت إحدى اللجان التي عُنيت بدراسة أسباب الحرب ونتائجها أكثر من مئتي سبب للحرب عامةً، وقرنت هذه الأسباب بعناوين سياسية واقتصادية واجتماعية ونفسية، أوردها الخزرجي في كتابه (العلاقات السياسية الدولية وإستراتيجية إدارة الأزمات) تحت عنوان: أسباب الحروب والمنازعات الدولية، وهي:

- الأسباب السياسية:

وتنطوي تحت هذا العنوان مجموعة كبيرة من أسباب متباينة ومتداخلة، منها: الإضرابات الداخلية، وطبيعة النظم الحاكمة، خصوصاً الشمولية منها، والدكتاتورية، والأحلاف، واختلال توازن القوى، وخلافات الحدود، وسباق التسلّح. فالأحلاف يمكن أن تؤدي إلى تعاظم في قوة مجموعة من الدول مقابل تناقص في قوة مجموعة أخرى، وهو ما قد يشجع أحد الأطراف على المخاطرة بالحرب. ويعدّ سباق التسلّح أيضاً عنصراً فاعلاً في تسبّب الحرب، وهو فضلاً عن كونه يرهق الاقتصاد، ويعوق التنمية، يولّد ضغوطاً متفاقمة على صناع القرار. كما أن التوجّس والخوف من تفوّق الخصم يمكن أن يدفع إلى المغامرة.

- الأسباب الاقتصادية:

ويمكن أن تنطوي تحت هذا العنوان جملة عوامل؛ إذ يمكن أن تندلع الحروب نتيجة الضغوط الاقتصادية، أو الركود الاقتصادي، أو السعي والتنافس على الأسواق الجديدة لتصريف المنتجات، أو السعي وراء الموارد الأولية، أو السعي إلى إيجاد فرص لتوظيف رأس المال المتراكم. وتجدر الإشارة إلى أنه في أحيان كثيرة لا يكون التفسير الاقتصادي صالحاً لجميع أنواع الحروب؛ لأن العجز الاقتصادي يمكن أن يكون سبباً في تجنّب الحرب؛ إذ إن تكلفتها الباهظة فوق طاقة القدرات الاقتصادية والعسكرية لكثير من الدول. كما أن هناك دولاً تجد نفسها في وضع مالي متين، ومع ذلك لن تتردد

أمامها بدائل ملائمة تُغنيها عن الحرب؛ فإن غريزة الموت الكامنة فيها إذا لم تجد مجالاً للتنفيس عنها بتوجيهها نحو خصومها فإنها ستتحرك لتعمل على قتلها ذاتياً». هذا التفسير نجده أيضاً عند ماكنيل، الذي يرى أن الجزء الأكبر من الطاقات الإنسانية العدوانية يمكن أن يجد جذوره وأسبابه المباشرة في مشاعر الإحباط النفسي. وإلى جانب العامل النفسي هناك من يعزو سبب الحروب إلى الشخصية السلطوية، التي يرى فيها أريك فروم عوامل قوية تتحرك باتجاه الرغبة في إلحاق الأذى بغيرها، وأن هذه الشخصية تجد نفسها مدفوعةً إلى إثبات قوتها، وتهدئة مخاوفها باقتراف العدوان. ويتمسّك بعض الباحثين؛ مثل بنديكت، بنظرية الأنماط الثقافية. وطبقاً لهذه النظرية، فإن الحرب هي فكرة اجتماعية قد توجد في البناء الثقافي لبعض الدول والمجتمعات؛ إذ تحمل ثقافة عدوانية ضد ثقافة مجتمعات دول أخرى.

وفي إطار النظرية النفسية أيضاً، هناك نظرية أخرى، هي نظرية الصور المنعكسة، التي تقوم على فكرة أن الحرب بين دولتين أو أكثر هي نتاج تصورات شعبية مشوّهة متشابهة ومتبادلة بينهم؛ فكلّ منهم يرى الآخر في صورة الذي يتحرك بدافع العدوان، وبنزعات شريرة لا تتفق مع المعايير الأخلاقية والإنسانية؛ مما يهدم الثقة به وبنواياه. ومن هنا يجد كلّ جانب نفسه مدفوعاً إلى تعزيز قدراته العسكرية لتدمير خصمه؛ لذا فإن الحرب يمكن أن تقع بسبب النوايا العدوانية التي ينسبها كل منهم إلى الآخر دون أن تتوافر شواهد عملية قوية تقطع بصدق تلك المزاعم.

ومن هذه النظرية يمكن أن تشتقّ أيضاً نظرية أخرى، هي نظرية الإدراك غير المتوافق مع الواقع؛ إذ تكون الصورة التي تحتفظ بها الدول عن بعضها بعيدةً من الواقع، بل قد تظهر تلك الدول مقاومةً كبيرةً ضد تغييرها، حتى إن برزت شواهد عملية تناقض هذه الصورة المدركة أو المنطبعة وتهدمها من أساسها.

– هناك من يرجع أسباب الحروب إلى عوامل أخرى لا علاقة لها بالجوانب السيكولوجية أو المدركات الحسية لدى صناع القرار، إنما هي ترتبط بحالة عدم التناسق والاختلافات البنيوية في معدلات القوة، وطريقة توزيعها بين الدول؛ مما يولّد الشعور بالخوف والاستفزاز والتهديد لدى بعضها، وهذا الأمر يعمّق مركبات العداء والكراهية التي تضمرها هذه الأطراف المهددة لخصومها. وكما أن الدول تتغيّر موازين القوة لصالحها فإن هذا الأمر يولّد لديها ميولاً قوية – تحت تأثير الشعور بالتفوّق – إلى ممارسة العدوان، ومحاولة التوسّع على حساب الأطراف الضعيفة.

– ومن النظريات الأخرى المفسّرة للحروب النظرية الاقتصادية، ولدينا هنا نظريتان: نظرية هوبسون، والنظرية الماركسية – اللينينية، وكلتاهما تفسّر ظاهرة الحروب الاستعمارية. وبقدر تعلّق الأمر بنظرية هوبسون، فإن الافتراض الذي ينطلق منه هو أن التفاوت أو عدم التكافؤ في توزيع الثروة سمة أساسية تتميّز بها المجتمعات الرأسمالية التي تعاني اختلال التوازن بين معدلات الإنتاج التي تتميز بوفرتها ومعدلات الاستهلاك التي تتّسم بانكماشها. وقد أدى هذا الوضع إلى انقسام المجتمع إلى طبقتين: الأولى غنية تكتنز الثروة وتمتلك قوة إنتاجية عالية، والأخرى فقيرة غير قادرة بسبب محدودية دخلها وضآلته، على أن تستهلك ما تنتجه الصناعات الحديثة. هذا الواقع المتمثل في

في الدخول في حروب لإشباع رغبة دوافع أخرى لديها.

– الأسباب الاجتماعية والنفسية:

ينصبّ الاهتمام هنا على دراسة الجوانب الفردية والنفسية لشخصية صنّاع القرار ومتابعتها، خصوصاً المؤثرين منهم في اتخاذ قرار الحرب. والاستنتاج الرئيس هنا هو أن قسماً كبيراً من الآراء والتصورات في أذهان صناع القرار مردّها سوء فهم الحقائق وتقديرها والتعامل معها، بمعنى أن البيئة النفسية لصناع القرار لم تتطابق مع البيئة الفعلية، وكان ذلك مدعاةً لسوء تقدير الموقف، وخوض غمار حروب، وتحمّل أعباء مواقف ذات عواقب وخيمة. كما أن فكرة امتصاص التوتر الداخلي يمكن أن تكون مدعاةً لشنّ الحروب، وعندما عقدت الجمعية الأنثروبولوجية في الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٦٧م حواراً بشأن الحرب، فمن بين أعضائها من أكد أن الحرب توفر للدولة أوضاعاً تعزّز قدرتها في الحفاظ على السلطة في حالة تعرّضها للضغوط الداخلية.



الحرب ظاهرة معقّدة ومركّبة

فقدان التناسب بين معدلات الإنتاج والاستهلاك خلق مشكلة هيكلية في اقتصاد المجتمعات الرأسمالية، تمثّلت في وجود فائض سلعي ورأسمالي. ولمعالجة حالة الاختناق هذه توجّه السعي نحو البحث عن الأسواق الخارجية لتأمين قنوات متعددة لتصريف فائض الإنتاج الصناعي والسلعي، وتحقيق انسيابية عالية في استثمار رؤوس الأموال المتراكمة في الداخل، والنتيجة المترتبة على هذا السعي هي الاستعمار، الذي يعدّ السبب المباشر في إشعال الحروب، وقيام الصراعات بين الدول الرأسمالية.

وإلى جانب نظرية هوبسون هناك النظرية الماركسية - اللينينية، التي ترى أن المجتمعات الإنسانية على مختلف مراحل تطورها تعيش حالةً من الصراع الطبقي، أساسه حيازة بعض الطبقات وسائل الإنتاج؛ مما أدى إلى انقسام المجتمع إلى فريقين متصارعين: أولهما فريق مُستغِلّ، والآخر فريق مُستَغلّ. وقد وجد لينين أن هذه الظاهرة الاجتماعية التي فسّرتها الماركسية تحمل من الخصائص ما يسمح بتعميمها لتصبح ظاهرةً دوليةً؛ فالمجتمع الدولي هو مجتمع طبقي يتمثّل في وجود طبقة أو طبقات مالكة، وأخرى غير مالكة، أو بمعنى أكثر دقةً: هناك قوى مالكة ومُستغِلّة، وأخرى غير مالكة ومُستَغَلّة. وعلى هذا، فإن الصراع يقود إلى الحرب، وهو انعكاس للمنطق الاستنتاجي الذي جاءت به الماركسية؛ إذ تمثّل الرأسمالية الترجمة العملية لصراع الطبقات على المستوى الدولي. ويذهب لينين في أطروحاته النظرية إلى أن الأساس الذي ترتكز عليه الرأسمالية يتمثّل في سيطرة المجموعات الاحتكارية على ملكية وسائل الإنتاج، وملكية رؤوس الأموال. وعندما تصبح الاحتكارات ورؤوس الأموال هي القوى المهيمنة في النظام الرأسمالي تكون الرأسمالية قد دخلت مرحلتها الاحتكارية (الرأسمالية الاحتكارية)، وعندها تبدأ عملية التوسع الإمبريالي؛ إذ تظهر الحاجة إلى المستعمرات بوصفها ميداناً لاستثمار الفائض من رؤوس الأموال، وأسواقاً لتصريف

المنتجات الصناعية، ومصدراً للحصول على المواد الأولية. ومع النمو الرأسمالي، والتركيز الاحتكاري، يصبح التنافس بين القوى الرأسمالية المتطورة ما هو إلا صراع على الأسواق والمستعمرات. وبذلك يكون الصراع بين النظم الاقتصادية الرأسمالية هو مسألة حتمية، وتكون مسألة تصفيتها هي الشرط المسبق لإنهاء الصراع. بمعنى آخر: إن الصراع الدولي - وفق النظرية اللينينية - هو انعكاس للسلوك التصارعي الذي يحكم الدول الرأسمالية في مرحلة توسعها الإمبريالي. وهذا الأمر يفسّر لنا سبب الحروب التي اندلعت بين القوى الصناعية الأوربية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين.

- هناك أيضاً نظريات تفسّر الحرب في ضوء الدوافع القوية التي تحملها بعض الجماعات القومية؛ رغبةً منها في الإبقاء على ذاتيتها المتميزة؛ إذ تسعى بفعل هذا العامل إلى الانفصال عن الدولة التي تعيش بين ظهرانيها؛ مما يولّد لدى الأخيرة ردود أفعال لمقاومة تلك النزعات الانفصالية، فتحاول قهرها وإخمادها حفاظاً على تماسك وحدتها الإقليمية.

- تؤدي التناقضات الأيديولوجية دوراً واضحاً في إثارة الحروب، ويرى أنصار هذه النظرية أن الصراع الأيديولوجي أخطر في مضمونه، وأكثر امتداداً في إطاره الزمني، من أيّ صورة أخرى من صور الصراع الدولي التي عرفها التاريخ في الماضي؛ فالأيديولوجية هي إحدى أدوات الفرز والتصنيف التي تعتمد عليها الدول في التمييز بين الأعداء والأصدقاء، وهي تؤدي دوراً كبيراً في إدارة الحركة السياسية الخارجية، ورسم الخطط، ووضع التصورات والبناءات الإستراتيجية. كما أن الأيديولوجيات تخلق حساسيات سياسية ونفسية دولية متبادلة، كما تقيم حوافز قوية تحول دون تثبيت الإقناع بقيم سياسية وأخلاقية عالمية، وتعزيز الانتماء إليها، والتقيد بها معايير للسلوك الدولي الملتزم. وهذا الأمر في حد ذاته يوفّر مدخلاً حيوياً للاشتباكات المسلحة. يُضاف إلى ذلك أن الأيديولوجية تمارس أحياناً دوراً تسويغياً، أو تكون أداةً لإضفاء الشرعية (لأغراض الاستهلاك الدعائي الدولي أساساً) على تصرّفات دولية معينة تتضمن انتهاكاً لبعض مبادئ القانون الدولي؛ لتدفع بعض الدول إلى شنّ الحروب تحت غطاء الشرعية الدولية، أو مقتضيات المبادئ الأخلاقية أو الإنسانية، آخذين في الحسبان أن هذه المفاهيم تطغى عليها غالباً الدوافع والأغراض السياسية.

- فضلاً عما تقدّم هناك نظريات ترى أن اندلاع الحروب، أو بعضها، يعود إلى طبيعة النظام السياسي داخل الدول ذاتها. ويركّز أنصار هذه النظرية على وجه التحديد في أنظمة الحكم الشمولية؛ إذ هي - بحكم عقيدتها، والدوافع التي تحرّكها، والأهداف التي ترمي إليها، والأساليب التي تنتهجها - تعدّ السبب الرئيس والأكبر الذي يكمن وراء تزايد حدة الصراع واندلاع الحروب. ولا يقتصر أنصار هذه النظرية على تفسير الحروب بسبب طبيعة أنظمة الحكم الداخلية، وإنما يعزون أيضاً سبب الحروب إلى الطبيعة التوليتارية (الشمولية) لبعض الدول في رؤيتها النظام الدولي (حروب الإمبراطوريات)؛ إذ يكون الصراع في الحالة الأخيرة محرّكه الأنظمة الشمولية بهدف السيادة والسيطرة العالمية، وهو دافع غريزي فيها ينبثق من رغبتها في إخضاع الآخرين لنظام دولي تحقّق فيه تلك الأنظمة السيطرة المطلقة على غرار ما يحدث في الداخل عندما ينزع نظام الحكم الدكتاتوري إلى تدمير كل أثر للرأي المعارض، ويرى رؤيته ومنهج تفكيره هما الصواب الذي ينبغي أن يسلّم به الآخرون. وتؤكد لنا الخبرة التاريخية أن الأنظمة الشمولية، على اختلاف توجّهاتها العقائدية، تتحرك بدافع من الرغبة في التوسّع والعدوان، فيؤدي سلوكها إلى الفوضى والحرب.

لكن على الرغم من الأهمية الكبيرة التي جاءت بها هذه



النظريات وغيرها في تفسير الأسباب التي تقف وراء ظاهرة الحرب فإن الحقيقة الموضوعية العلمية والتحليلية تدفع إلى عدم تبنّي أيّ واحدة من هذه النظريات، وإن كانت الحرب تجمع بين عدد منها، أو هي مزيج متعدد الطيف لها. والسبب في ذلك يعود – كما سبق أن أشرنا – إلى أن الحرب ظاهرة معقدة ومركبة، أو أنها موقف مركّب من مجموعة معقّدة من العلاقات التي هي بدورها حصيلة التفاعل الذي يحدث بين مجموعة واسعة من العوامل. ففي كل مرة تقع فيها الحرب يحدث هذا التفاعل بصورة فريدة ومتميزة؛ فبينما تبرز بعض العوامل أو الحقائق أسباباً قوية في إثارة حرب دولية معينة فإنها قد لا تكون كذلك في حرب أو حروب أخرى. ومن ثَمّ، فإنه يصبح من المستحيل حصر الحقائق التي تقع بسببها الحروب أو تحديدها في عامل واحد.

وفي الواقع، إذا كان تفسيرنا للحرب أنها ظاهرة معقدة ومركبة تسهم في تشكيلها عوامل متعددة فإنها في المحصلة النهائية لا تعدو كونها قراراً يتخذه فرد (الزعيم، أو القائد السياسي)، أو مجموعة أفراد يتربّعون على قمة الهرم السياسي للدولة (الوحدة القرارية)؛ فالحرب بوصفها سلوكاً ينطوي على درجة عالية من استخدام العنف المنظّم بين وحدات المجتمع الدولي هي انعكاس للسلوك الفردي السلطوي في حالته التصارعية. وقرار الحرب، أو الحرب ذاتها بتعبير أصحّ، لا يخلو من تأثير العوامل التي تسهم في بناء شخصية الزعيم السياسي أو الوحدة القرارية، وتحديد مدركاتهم لماهية الحافز الخارجي، وكيفية التعامل معه (كعامل التنشئة الاجتماعية، ودرجة الثقافة، والخبرة السياسية، والتجربة التاريخية، والمكونات الفكرية والثقافية). هذا فضلاً عن تأثير عوامل أخرى يحددها الوسط الاجتماعي بكل ضغوطه ومكوناته، مضافاً إليها متغيرات البيئتين الدولية والإقليمية.

هذا الأمر يعني أن الحرب يمكن تفسيرها في إطار منهج تحليلي، هو منهج اتخاذ القرار؛ فالحرب – كما سبقت الإشارة – ما هي إلا قرار باستخدام العنف المنظم بأعلى درجاته، والدولة – وفق هذا المنهج – ما هي إلا تعبير مرادف لصناع القرار فيها، ومن ثَمّ فهي ليست أكثر من بعد تجريدي، أو هوية افتراضية، وإرادتها هي إرادة مجازية. أما الإرادة الحقيقية، فهي مجسّدة بإرادة صناع القرار فيها؛ لذلك فإن حركة الدولة، وتحديد أهداف إستراتيجيتها العليا، ترتبط بأولئك الذين يتصرّفون باسمها (فرد، أو مجموعة أفراد)، وتصبح عندئذٍ الحرب، بدءاً باتخاذ قرارها، واندلاعها، وتطور مساراتها، ثم انتهائها، مرتبطةً بالإرادات المتناقضة لشخص أو مجموعة أشخاص يملكون سلطة اتخاذ القرار في دولهم.

وتعتمد عملية اتخاذ القرار إلى حدّ بعيد على مدركات الوحدة



هناك من يعزو سبب الحروب إلى الشخصية السلطوية، التي يرى فيها أريك فروم عوامل قوية تتحرك باتجاه الرغبة في إلحاق الأذى بغيرها

القرارية لطبيعة الموقف الذي تواجهه، وحجم التهديد المتولد عنه للقيم والمصالح القومية العليا وفقاً لتقديرات تحليلية ومعلومات استخباراتية توفّرها مصادر وأجهزة متعددة. وفي هذا المجال يؤكد سنايدر الدور الذي تؤديه الدوافع الذاتية الواعية وغير الواعية لصانع القرار، التي تدفع به إلى اتخاذ قرارات معينة (بما فيها قرار الحرب)، أو اقتفاء أثر سياسة معينة؛ مما يتطلب البحث في سيرته الشخصية؛ كطفولته، وعوامل تنشئته، وخلفيته الاجتماعية، وانحداره الطبقي، وانتمائه الديني والسياسي، ومستواه التعليمي، وتكوينه الفكري الأيديولوجي، وخبرته السياسية، ودرجة ميله إلى قبول المخاطرة، والإرادة والتصميم والشجاعة، والذكاء والنشاط الخلاق، وغيرها.

وفي ضوء ما تقدم يمكن القول: إن منهج اتخاذ القرار يعدّ من بين أكثر المقتربات المنهجية لتفسير ظاهرة الحرب؛ إذ إنه يرى أن مسببات الحروب ناجمة أساساً عن التباين والتناقض في المدركات والدوافع الذاتية للوحدات القرارية، التي تدفع بها نحو اتخاذ قرار معين. فالتباين في إدراك معادلة القيم والأهداف والمصالح القومية العليا، مضافاً إليها عامل الخصوصية والطباع الشخصية، ومتفاعلةً معها افتراضات النظرية القومية والأمنية والسوسيولوجية والاقتصادية، تشكّل جميعها - بسبب تقاطعها - الدوافع الحقيقية والرئيسة في إثارة الحروب واندلاعها.

وهكذا، تبقى الحرب وسيلةً سياسيةً لتحقيق إرادة صنّاع القرار، تسهم فيها عدة عوامل حسب ظروفها ومعطياتها التاريخية. بمعنى أن الحرب تبقى وليدة اللحظة التاريخية بكلّ مكوناتها الذاتية - الشخصية، والعوامل السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والفكرية، والثقافية. وهي بوصفها حدثاً تاريخياً لا تنفصل عن هذه المكونات، كما هي مقترنة على الدوام بقادة وزعماء يقررونها صيغةً أو أداةً لتحقيق أهداف إستراتيجيتهم القومية.

المراجع

- تشومسكي، نعوم، النظام العالمي القديم والجديد، نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٧م.
- الجاسور، ناظم عبدالواحد، موسوعة علم السياسة، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٩م.
- حسين، خليل، النظام العالمي الجديد والمتغيرات الدولية، دار المنهل اللبناني، بيروت، ٢٠٠٩م.
- الخزرجي، ثامر كامل، العلاقات السياسية الدولية وإستراتيجية إدارة الأزمات، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٩م.
- الخزرجي، ثامر كامل، النظم السياسية الحديثة والسياسات العامة، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٤م.
- الظاهر، نعيم إبراهيم، إدارة الدولة والنظام السياسي الدولي، عالم الكتب الحديث، إربد، ٢٠١٠م.
- فهمي، عبدالقادر محمد، المدخل إلى دراسة الإستراتيجية، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١١م.
- أبو النصر، فضل، جولة في القضايا الدولية المعاصرة، بيسان للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٥م.
- الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض، ١٩٩٩م.
- البعلبكي، منير، المورد: قاموس إنجليزي عربي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٣م.
- أمين، محمد فتحي، قاموس المصطلحات العسكرية، بغداد، ١٩٨٢م.
- قاموس أكسفورد إنجليزي عربي، مطابع جامعة أكسفورد، أكسفورد، ١٩٧٢م.
- حتي، ناصف يوسف، النظرية في العلاقات الدولية، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٥م.
- دورتي، جيمس؛ بالستغراف، روبرت، النظريات المتضاربة في العلاقات الدولية، ترجمة: وليد عبدالحي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٥م.
- مقلد، إسماعيل صبري، العلاقات السياسية الدولية: دراسة في الأصول والنظريات، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، ١٩٩١م.



فيصل علي أكرم
الرياض – السعودية

قصاصات لم تلتصق(*)

شعر

«هناك»
مسحورةٌ تلك البلادُ،
عرفتها،
عرفتُ من فيها تلاقوا
زائرينَ
وناذرينَ
وفاقدينَ الاختيارْ
هم يؤمنون بالانتظارْ
والانتظارُ كساحرٍ يمشي بهم
وبها
ويعجبهم.. ويعجبها
ليجعلهم جميعاً واقفين على جدارْ
لا الأرضُ تبسطهم
ولا نجمٌ يساوي أفقهم
ولا فلكٌ حواليهم يُدارْ
.. مسحورةٌ تلكَ الديارْ
***
أوراقها مثلُ القمارْ
وعيونها في الظلِّ إن سَطَعَ النهارْ
***
مسحورةٌ تلكَ الشجيراتُ التي

مازال يخدعنا بها
بعضُ اخضرارْ..!
فالضوءُ نارْ
والماءُ جارْ
حتى الهواء، إذا الهواءُ أتى عليها
يستحيلُ إلى غبارْ..!

***

«هنا»
والآن يعرفنا الطريقُ
يسيرُ فينا واسعاً..
منذ التواءات الشتات، إلى خطوطٍ في الكفوفِ
وفي حنايانا يضيقُ..
الآن يكذبنا الصديقُ
يقول: أشعلتم شموعاً في يديَّ،
ومن يديه
الآنَ ينطفئُ الحريقُ..

***

«ما بينَ بين»
اجلس بقرب النبع
لا تنظر يميناً أو شمالاً
التمسْ بعض الهواء الرطبِ
واستنشق مداكْ:
هل بين سخطكَ والرضا أحدٌ سواك؟!
ناداك عمركَ ناضجاً:
لا تكترثْ بمسيرة القطرات تحضنها النوافيرُ
انتشل كفّيكَ
قد آن افتراقكَ عن خُطاكَ فلا تعُدْ
إلاّ إذا حملتكَ – للذكرى – يداكْ..!

***

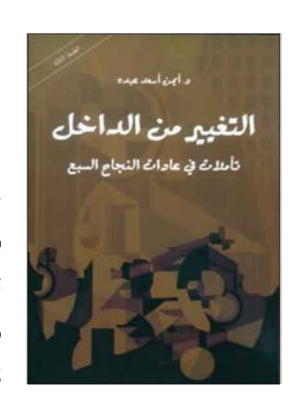
«يصلون دائماً»
يتغيّرون إلى ثبات
وينزلونَ إلى طلوعْ
فعيونهم تحتَ الأنوف
قلوبهم فوقَ الضلوعْ!

***

«توقيع»
لذاكرة مسّها العفوُ
قلتُ: انتهى حزنيَ الآنَ
عفواً..
فقال ليَ الحزنُ: لم أنتَه..!
فللحزنِ ميعادهُ في الثواني
وفي كبريات المعاني.. المعاني
وفي دقة القلبِ تحت الضلوعْ
فعفواً مشيتَ،
وللعفو عفوٌ،
وعفواً ستحتاج مشياً بعيداً
تقاربُ فيه امتدادَ الرجوعْ
فلا تمسح الآن كلَّ الدموعْ
وأودع سيوفكَ أغمادها
ولا تنسَ إشهارَ كلِّ الدروعْ
... .
لا تنسَ
نسيانَ
أنَّ حياةَ الحياة:
«قِفا نبكياتْ» ......

(*) أو (بدايات قصائد لم تكتمل)!.

التغيير من الداخل: تأمّلات في عادات النجاح السبع



يقع كتاب (التغيير من الداخل: تأمّلات في عادات النجاح السبع)، لمؤلفه د. أيمن أسعد عبده، في ٨٤٢ صفحة، وهو من إصدار وهج الحياة للإعلام.

ويبدأ الكتاب بمقدمتين: الأولى للدكتور أحمد البراء الأميري، والثانية للمؤلف. ثم تلا ذلك تمهيد يبدأ بسؤال: «ما هي العادات السبع للأشخاص الأكثر فاعليةً؟»، ويجيب عنه المؤلف بقوله: هذه العادات هي عادات سبع طوّرها الدكتور ستيفين كوفي ونشرها في كتابه الشهير (العادات السبع للأشخاص الأكثر فاعليةً). وستيفين كوفي هو أكاديمي أمريكي مشهور متخصّص في علم النفس، وحاصل على الماجستير من جامعة هارفارد، والدكتوراه من جامعة يانغ، وهو من أكثر الكتّاب المعاصرين شهرةً في موضوعات تطوير الذات وتحديد الأهداف، وله مئات المحاضرات المسجلة واللقاءات التلفزيونية المهمة في هذا المجال، وقد نشر كتابه هذا عام ١٩٨٩م. وينتمي كوفي إلى طائفة المورمينز النصرانية المتدينة، ويعيش حياته كلها وفقاً لتعاليمها؛ إذ ركّز جهوده في القيم المتعلقة بالنجاح وفلسفتها على النطاق الشخصي والأسري، وله كتاب مهم سابق لهذا الكتاب في فلسفة النجاح المبنيّ على المثل والقيم العليا.

ويمهّد الدكتور أيمن للكتاب بالتعريف الموجز بالكاتب، والعادات السبع، وهي: كُنْ مبادراً، وابدأ والنهاية في ذهنك، وضع الأول أولاً، وفكّر بعقلية: اربح ويربح الآخرون، واحرص على أن تفهم أولاً ثم تُفهم الآخرين، والتعاون الإنمائي، واشحذ المنشار.

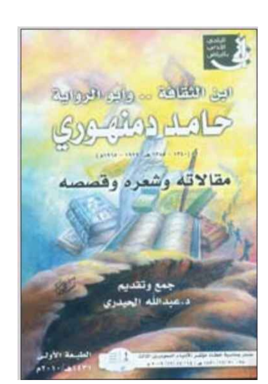
ويبدأ د. أيمن أسعد عبده كتابه بسؤال: «لماذا العادات السبع بالذات؟»، ويجيب: «لا أنوي في هذه الورقات أن أقوم بدعاية لهذه العادات السبع، ولا أرغب في أن أسهم في تمجيد مؤلفها. ليس هذا من أهدافي أبداً، وإن كان الكتاب يستحق (في نظري) أن يكون أحد أهم الكتب المؤلفة في التاريخ، وإن كان كوفي يستحق أن يدخل المجد من أوسع أبوابه... إن هذه العادات من الشهرة بحيث لا تحتاج إلى أن يروّج لها مثلي، لا أدّعي أن عادات النجاح قد انحصرت في هذه العادات السبع أو غيرها؛ فللنجاح عادات كثيرة غير هذه العادات، وقد يكون بعضها أهم من هذه العادات السبع. لذا فأنا لا أقلّل من قيمة أيّ من الإبداعات الأخرى، التي أفنى مؤلفوها أعمارهم ينقبون عنها ويطوّرونها».

عرض الدكتور أيمن تأمّلاته هذه وشرحها بشكل عملي مبسط، وبثّ أفكاره حولها، وحاول ربطها ببعض المعاني العربية والإسلامية، مستشهداً بكثير من الآيات الكريمة، والأحاديث الشريفة، والأشعار البليغة التي تشهد له بحسن الذوق، ودقة الفهم، وبراعة الاستدلال.

حامد دمنهوري: مقالاته وشعره وقصصه

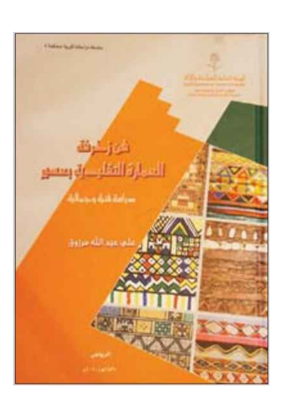
صدر بمناسبة انعقاد مؤتمر الأدباء السعوديين الثالث في سنة ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م كتاب (حامد دمنهوري: مقالاته وشعره وقصصه)، جمع وتقديم: د. عبدالله الحيدري.

يستهلّ المؤلف هذا الكتاب بالتعريف بشخصية الراحل حامد دمنهوري - رحمه الله - فيقول: «الأديب السعودي حامد حسين دمنهوري (١٣٤٠- ١٣٨٥هـ) - رحمه الله - متعدد المواهب: قرض الشعر، وكتب القصة، وعالج المقالة، وأبدع في الرواية، وبها عُرف أكثر من أيّ جنس أدبي آخر أنتج فيه. ومن هنا فحامد دمنهوري أديب شمولي، لم يقتصر عطاؤه على جنس واحد، بل تنوّع عطاؤه على رغم حياته القصيرة التي لم تتجاوز خمساً وأربعين سنة. على أن دارسي الأدب في المملكة ومؤرّخيه لم يُعنوا إلا بزاوية واحدة من إنتاجه؛ أعني: الرواية، وهذا واضح كلّ الوضوح من خلال البيليوجرافيا الملحقة بهذا الكتاب. وقد يسهل تعليل ذلك؛



لأن الدمنهوري طبع روايتيه (ثمن التضحية) و(مرّت الأيام) في حين لم يُجمع إنتاجه القصصي والشعري والمقالي، إضافةً إلى قلة أعماله الشعرية والقصصية على وجه التحديد. ووفاته المفاجئة لم تُتِحْ له أن يجمع ما كتب من مقالات، وهي تزيد على الثلاثين». ويضيف الحيدري: «وبالاطلاع على إنتاجه المقالي نلحظ رغبته في التنوير والتثقيف والتغيير من خلال نقله لتجارب الأمم المتقدمة، ونقد بعض السلوكيات في مجتمعه».

فنّ زخرفة العمارة التقليدية بعسير



صدر عن الهيئة العامة للسياحة والآثار كتاب (فنّ زخرفة العمارة التقليدية بعسير: دراسة فنية وجمالية) للأكاديمي والفنان التشكيلي علي عبدالله مرزوق - عضو هيئة التدريس في جامعة الملك خالد -. وجاء الكتاب في ثلاثة فصول: اشتمل الفصل الأول على تعريف بمنطقة عسير، وأنماط عمارة عسير التقليدية، والعوامل المؤثرة فيها. واحتوى الفصل الثاني على الخامات والأدوات المستخدمة في البناء والزخرفة، والفن الشعبي، والزخارف الشعبية بعسير، والقيم الفنية والجمالية لعمارة عسير التقليدية. أما الفصل الثالث، فاحتوى على توصيف الوحدات الزخرفية الشعبية وتحليلها.

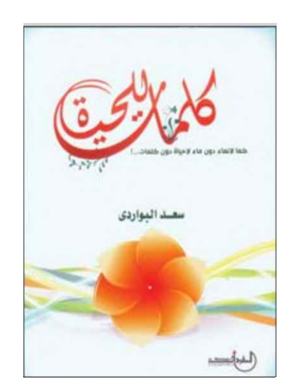
ويعدّ هذا الكتاب من أول الأبحاث التي تناولت التراث المعماري التقليدي في منطقة عسير، وما يرتبط به من قيم جمالية فنية؛ لذا فإنه سيسهم في تنمية التراث المعرفي للباحثين في المجالات الفنية والمهتمين بإجراء الدراسات التي تبحث في التراث المعماري والزخارف الحائطية الشعبية، وسيسهم كذلك في لفت الأنظار وزيادة الاهتمام بالحفاظ على هذا الإرث المعماري وصيانته؛ بغية إحياء ما اندثر منه، والمحافظة على ما بقي. كما سيسهم الكتاب، بوصفه دراسة ميدانية تطبيقية، في إبراز خصائص الفن الشعبي وتحليلها وإيضاحها من الناحية العمرانية والفنية التشكيلية بمنطقة الدراسة من خلال استخلاص الرسوم الزخرفية الشعبية المستخدمة في العمارة التقليدية بمنطقة عسير ودراستها ومعرفة دلالاتها.

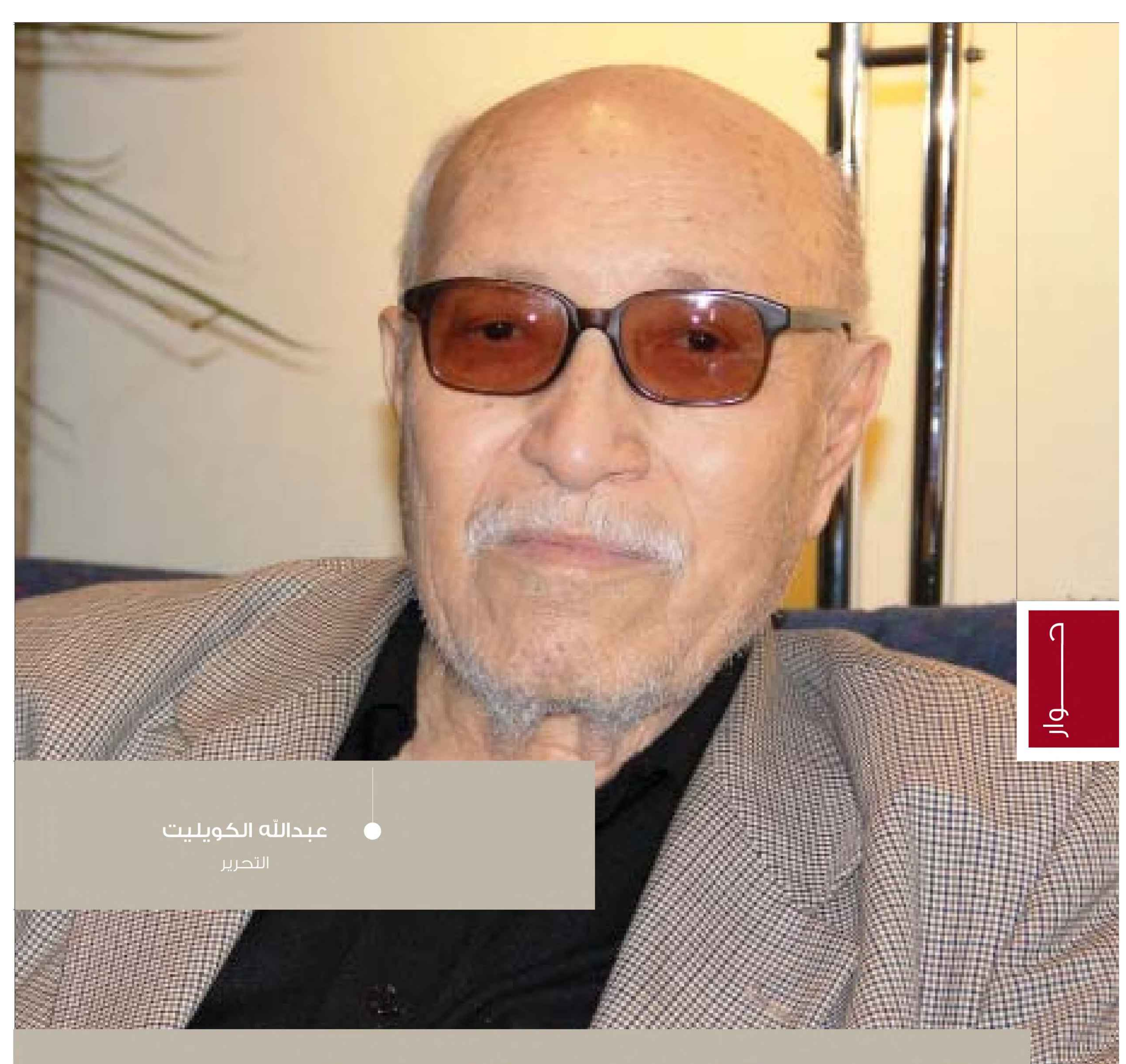
كلمات للحياة: كما لا نماء دون ماء لا حياة دون كلمات

أصدرت دار المفردات للنشر والتوزيع كتاباً بعنوان: (كلمات للحياة: كما لا نماء دون ماء لا حياة دون كلمات) للأستاذ سعد البواردي الشاعر والأديب السعودي.

يقع الكتاب في ٣٣١ صفحة من القطع الكبير، ويتناول المؤلف فيه موضوعات عن الفكر والأدب، مقسّماً الكتاب وحدات صغيرة لا تتجاوز الصفحتين، ومرقّماً إيّاها إلى أن وصل بها إلى الرقم ١٣٩، بوصفها نُشرت بهذا الترتيب في المجلة العربية التي تصدر في الرياض. وكتب الناشر واصفاً الكتاب بأنه: كتاب جادّ، يزاوج بين الفكر والأدب بأسلوب ساحر يعتمد المباشرة عندما تكون المباشرة مطلباً، والرمزية والسخرية عندما تهيمن الأدبية على قلم الكاتب. إنها كلمات للحياة أبدعها الكاتب، واحتضنتها (المجلة العربية)، ولا تزال معلماً مشرقاً من الأبواب الثابتة في المجلة، وهي كلمات تتردّد أصداؤها بين أسماع القرّاء؛ لما فيها من متعة، وتجدّد، وغذاء فكري وعلمي.

أما المؤلّف فلم يقدّم لكتابه بحجّة أن الكلمات للحياة لا تحتمل مقدّمات، وأنه يرى في الذين يقدّمون لكلماتهم كمن يفسّرون الماء بالماء؛ لذا تركها من دون تقديم، تاركاً لها أن تقدّم نفسها بنفسها، وهي بالفعل كلمات تكتنفها التأمّلات العميقة في حبّ للحياة والأحياء تأخذ شكل النصائح المسداة من دون مقدّمات ولا إهداء.





عبدالله الكويليت
التحرير

الحبيب اللمسي: تزوّجت الكتاب ولم أعشق امرأةً!

«دار الغرب الإسلامي».. إحدى أهم دور النشر العربية التي تُعنى بالتراث، وتهتمّ بنشره. وعند الحديث عن دار الغرب الإسلامي لا يمكن أن نغفل اسم مؤسّسها وصاحبها الأستاذ الحبيب اللمسي؛ فهذا الرجل عشق كتب التراث العربي، ووهبها السواد الأعظم من عمره المديد (٨٢ سنة). رجل خبر التراث، وعرف روّاده وخباياه. عاصر الرقابات العربية، عاصر ثوراتها المختلفة وتقلّباتها. اسم معروف لدى جميع الناشرين الغربيين والعرب على حدّ سواء. يتمتّع - أمدّ الله في عمره - بالصدق والتواضع والأدب والعشق الذي يصل إلى حدّ الوله في مطاردة أمهات الكتب وتحقيقها، والسهر على طبعها ونشرها. عاصر أيضاً روّاد الثقافة العربية الكبار؛ أمثال: طه حسين، والمازني، وحمد الجاسر، وسيد قطب، وعبدالله القصيمي، وغيرهم من رواد الثقافة العربية الكبار. رجل مكبّ على عمله، لا يُعنى بالعمل الإعلامي، ولا يهتم بالظهور. التقته «الفيصل» في هذا الحوار (النادر جداً)، الذي جرى من دون تحضير مسبق؛ إذ أردناه حواراً عفوياً مع شاهد مؤثّر في تاريخنا المعاصر، وشاهد متأثّر بما حدث ويحدث لهذه الأمة. جرى هذا الحوار في فندق الخزامى بالرياض حيث يسكن الحبيب.

وفي الختام، أودّ أن أنبّه على أنني حاولت جاهداً إلاّ أقاطعه في أثناء استطراده في الحوار وأن أتركه يتحدث على سجيته، إلاّ أن سيل الأسماء والأحداث التي اكتنفت هذا الحوار جعل هذه المحاولة مثل مطاردة السراب في يوم قائظ في الرياض.

> عاصر أيضاً روّاد الثقافة العربية الكبار؛ أمثال: طه حسين، والمازني، وحمد الجاسر، وسيد قطب، وعبدالله القصيمي.



• كيف بدأت علاقتك بالكتاب؟

بدأت علاقتي بالكتاب في عام ١٩٤٨م مع حرب فلسطين؛ إذ تطوّعت وذهبت إلى مصر، فكانت تستهويني الكتب، فكانت المكتبات حيثما تذهب، وأذكر أنني في أحد الأيام دخلت مكتبة كبيرة، وظللت أسأل بائعاً عجوزاً أسئلة كثيرة، فسألني: هل ستشتري؟ قلت: لا، لا إمكانات لديّ، فقال: هل أنت مُولَع بالكتب؟. أجبت: نعم، فقال: لماذا لا تعمل في هذه المهنة؟. وعندما عدتُ إلى تونس عملت في مكتبة خاصة للتوزيع، ومنها انطلقت شيئاً فشيئاً، ثم عملتُ في مؤسسة حكومية في قسم الكتاب العربي، ثم استقلتُ وذهبت إلى بيروت وأسّست دار نشر في أواخر عام ١٩٧٩م، وفي عام ١٩٨٠م بدأت بإصدار الكتب من خلال دار الغرب الإسلامي.

• ما أول إصدار لكم؟

أول إصدار لي تمثّل في أربعة كتب، هي: قطعة من موطّأ ابن زياد، تحقيق: محمد الشاذلي النيف، وكتاب مشيخة ابن الجوزي، وكتاب آخر (لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله)، ورابع نسيته. وانطلقنا من هناك لطباعة الكتب، والسفر إلى البلاد العربية، ولقيت صعوبةً وقتها، فكانت عندي كتب قليلة يصعب تسويقها، وركزت في الإصدارات، فأصدرت ١٢ كتاباً دفعةً واحدةً، وهي كلها في التراث والتحقيق، وأنا ملتزم، وعندي قناعة بأن يكون هناك دقة في الاختيار. ومن المعايير التي أحرص عليها أن يكون الموضوع نافعاً، بعيداً من الهزل والاستسهال، والجري وراء المادة، وأن يكون جديداً لم يسبق نشره، أو أن يكون هناك اعتراف من أهل الاختصاص والخبرة بأن الطبعات السابقة لا تفي بالحاجة، بها نقص، وتحتاج إلى جهد، ولا أقبل بغير ذلك. ولا بد من استخدام مصادر جديدة لم تعرف ولم تستخدم في الطبعات السابقة، وأهمّ من ذلك أن يكون الذي يقوّم العمل من أهل اختصاص بذلك الفن؛ فلا بدّ لكلّ علم أهل يحملونه، وعندهم دراية به وبأصوله ومصطلحاته؛ لضمان أن يقدموا



شيئاً له قيمة.

- لو سمحت لي بمقاطعتك؛ لأنني سآتي إلى هذا الموضوع لاحقاً. أنت انتقلت إلى لبنان في وقت حرج، كانت مدة الحرب الأهلية، لماذا اخترت هذه المخاطرة؟

إذا كان لدى الإنسان شيء عزيز عليه فهو يخاطر من أجله، سواء أكان هذا الشيء مادياً أم روحياً أم غيره؛ فهو إذا كان فعلاً مقتنعاً بشيء، ويحبّه، فهو يخاطر من أجله، ويتحمّل في سبيله المشاقّ، وأنا جئتُ إلى لبنان وقت حرب، فكان كلّ الناس يشتغلون، والحياة تسير.

ألم يكن بإمكانك أن تقيم هذا المشروع في تونس أو القاهرة مثلاً؟

في تونس لا، لم أفكّر؛ لأنها بلد محدود، وبعيد من الاتصال والشحن، فلا يمكن أن تطبع الكتاب من دون أن ينزل إلى الأسواق، فأنت لا تجد في الأسواق كتباً تونسية أو مغربية أو جزائرية، إلا إذا سافرت شخصياً إليها، أو أحضرها إليك أحد، ومصر كانت تعيش في أواخر العهد الاشتراكي، ولم تكن قد خرجت من محنة القيود. ومع احترامي الإخوة المصريين، ومحبتي مصر، إلا أن الوقت لا معنى له عند بعضهم، فترى كلمات تشيع مثل: «توّه، وفي السكة، وبكره، ومعليش»؛ مما يعني التعطّل وعدم قضاء الأمور في أوقاتها.

- كم بلغ عدد إصدارات دار الغرب الإسلامي حتى الآن؟

> من المعايير التي أحرص عليها في النشر أن يكون الموضوع نافعاً، بعيداً من الهزل والاستسهال

الآن تجاوز ٥٠٠ إصدار، وأغلبها مجلدات من ٣ مجلدات إلى ٣٠ مجلداً.

• هناك كتب مثل تاريخ بغداد أو تاريخ الإسلام تمثّل مغامرات أقدمت عليها؛ لأنك دفعت تكاليف لمن حقّقها أو قام بها، هل كانت المغامرات مجزيةً مالياً أم أن الدافع كان النشر فقط؟

أنا اقتناعي بالكتابين وصاحبيهما؛ فالكتابان عندهما ثقل ووزن، وهما من الكتب المفيدة، وهما أداة عمل وبحث، ويصلحان لكل زمان، كما أن المحققين من الكفاءات النادرة في العالم العربي.

• عالم النشر أين تراه يتجه بعد زحمة الكتاب الإلكتروني؟

زحمة المكتسبات الحضارية كلها مجتمعة أحدثت في الواقع نقلةً في تاريخ البشرية، ونحن جزء منها، وليست عندنا القدرة لكي نبقى في آخر القافلة، لكن لا بد من الركض لنصل إلى ما وصلت إليه الأمم على الرغم من فوارق الزمن بيننا. لكننا سلكنا الطريق، وتأثير ذلك بالنسبة إلى القراءة والنشر في البلاد العربية مازال يحتاج إلى وقت. الآن مادياً لا تؤثّر بسرعة؛ لأن الكتاب الإلكتروني بمختلف أنواعه ووسائله ليس مربحاً كالكتاب المطبوع؛ فالقراءة من الكتاب المطبوع مربحة أكثر من الكتاب الإلكتروني، ويمكن الإفادة منه بشكل أفضل، لكن الشيء الذي يحدث في العالم كله يجرّنا إليه، ولا بد أن نتقدم ونطوّر فيه؛ لأن هذه المواد تتطور بمقتضى حاجاتهم في بلدانهم، حتى وصلوا إلى هذه الامتيازات والاختراعات، ونحن لا بد أن نصل بما لدينا من الكفاءات لنطوّر شيئاً من داخلنا حسب حاجاتنا، وحسب فهمنا، على الرغم من قدرتنا المادية والبشرية، وحتماً كنا سنصل إليه لولا العرقلة. والعرقلة - مع الأسف - كلمة كبيرة وليست سهلة، لكنني اليوم مقتنع أننا من يوم خروج الاستعمار الغربي، وانجلاء جيوشه عن البلاد العربية والإسلامية، دخلنا مباشرةً في الاستعمار الوطني.

• «الاستعمار الوطني»، هل هذا مصطلح جديد؟

الاستعمار الوطني بدا أشدّ وأسوأ من الاستعمار الأجنبي؛ لأنه بالنسبة إلى الاستعمار الأجنبي عندك حصانة داخلية عند مواجهته؛ فهو دخيل عليك، وجاء لينهبك ويستعمرك؛ لذا تجد لديك القدرة على المقاومة والدفاع. أما الاستعمار الوطني، فتسكن أنت وإياه في بيت واحد، وتأكلان على مائدة واحدة، ويظلّكما ظلّ واحد، ومن هنا تصبح قساوته كبيرة سبّبت تأخّر الحضارة عندنا. ومما نعتزّ به، وأنعم به الله على الدول العربية، أنها رقعة متّصلة، وبها من السكان ما يمكّنها من إقامة حضارة ودولة لها وزن وثقل في العالم، كما أن الثروات المعلومة والمجهولة بين أيدينا، وتنوّع الخبرات الموجودة في جميع البلاد العربية بعرضها وطولها، كلّ هذا كفيل بأن يجعلنا قادرين على الإسهام في الحضارة الإنسانية، لكن - مع الأسف - ما دمّرنا هو الاستعمار الوطني؛ فاليوم بعد ٥٠ سنة نقاسي في أغلب البلاد، وشبابنا ضائع، وكفاءاتنا ضائعة، وأغلبية بلادنا تقوم على التسوّل والوعود!!. في إحدى المرات كنتُ في الجزائر أطالع صحيفة في الفندق، قرأتُ خبراً يقول: اليوم وقّعت الجزائر على قرض مالي. حقيقةً أنا بكيت؛ لأن الجزائر بلد غنيّ، وفيه بترول، ومع ذلك يوقّع عقداً للحصول على قرض، هذا الأمر لا يُعقل!. هذه الأمة لن تنهض إلا بسواعد أبنائها؛ فالجميع يجب أن يعملوا؛ الغنيّ والفقير، العالم والجاهل، لا بد أن يؤدي كلّ دوره في بلاده؛ حتى لا نظلّ نعرج.

• ما أكثر كتبك توزيعاً؟


بورقيبه


عبدالقدوس الأنصاري

أكثر كتبي توزيعاً هي كتب الفقه والحديث والتاريخ.

• عفواً، أريد أن أعرف أكثر كتاب وزّعته؟
عندي كتاب البيان والتحصيل لابن رشد (٢٢ مجلداً) طبع أكثر من مرة، وهو رائج، ويأتي بعده التاريخ الذهبي، وطبعت الطبعة الثانية ٣٢ مجلداً مع استدراكاته.

• ما أهم سوق للكتاب العربي؟
السعودية أهم الأسواق بالنسبة إليّ خارجياً.

• أتكلّم عن السوق الأول لك عربياً؟
- نعم، عربياً الأولى هي السعودية، وكانت العراق هي الأولى قبل المحنة، الآن بدأت أسترجع سوقي في العراق، والأسواق الأخرى تتقارب؛ فمثلاً المغرب سوق جيد. الكتاب الجيد والمحقّق الممتاز يحقّقان الرواج للكتاب، أما كتب نشر الأمية فقد زاحمت الكتب الجيدة، وهي غير ذات فائدة. وهناك تكرار للجهد، واعتياد على نشر بعض الكتب المألوفة، بينما هناك ملايين الكتب في حاجة إلى التحقيق؛ لذا يجب أن يهتم الناشرون اليوم بالمخطوطات؛ فالمجهول منها كثير، حتى لو عملوا ليل نهار فلن يستطيعوا أن يغطّوا هذا الكمّ الكبير من المخطوطات؛ ففي تركيا وحدها يوجد ما لا يقل عن مليون كتاب لم يحقّق بعد!. لكن ناشري الأمة يتسابقون إلى الطبعات التجارية لكتب مطبوعة أصلاً، بينما الأَوْلى أن يطبعوا كتباً جديدة؛ لأنهم بذلك يخدمون الثقافة، ويحصلون على عائد مجزٍ.

• يعني قضية استعجال الربح أكثر؟
- لا، لا. هؤلاء خسروا أنفسهم، وابتلونا بأكداس من كتب نشر الأمية من دون فائدة.

• لكن هذا أيضاً يقودنا إلى مشكلة الحقوق؟
السبب فيها المؤلف، لماذا؟ لأن المؤلف يكتب، وبدلاً من أن ينشر كتابه يجيء ليلحّ على الناشر، فنقول له: هذه مصلحة مشتركة، دعنا نتوافق على ما هو لك، وما هو للناشر. لكن المخجل أنه بعد نشر الكتاب (تولّع لديه العفريتة)، ويأتي ليطالب بـ٥٠٪ من دخل الكتاب، والمخجل اليوم أننا نطبع ٥٠٠ نسخة، بينما كنا

اخترت بيروت لأن تونس بلد محدود، ومصر كانت تعيش في أواخر العهد الاشتراكي، ولم تكن قد خرجت من محنة القيود

نطبع ٣٠٠٠ نسخة، ثم نزلت إلى ٢٠٠٠ نسخة، ثم وصلت إلى ١٠٠٠ نسخة، والآن نطبع ٥٠٠ نسخة. لكن المؤلف لا يصدق؛ فهو يقول: أمة فيها ٢٠٠ مليون نطبع ١٠٠٠ نسخة!. أنا كتابي رأيته في كوناكري مثلاً. لذا أرى أن المؤلفين يجب أن يضبطوا أمورهم مع الناشرين أولاً، والشيء الآخر أن المؤلف يجب أن يعرف مكانته؛ فهو يتصوّر أنه ما دام يعرف يكتب، ويعبئ الصفحات (يعطي هذا قصة، وذلك شعراً، وهكذا...) فهو يتوهّم أنه فتح الأولين والآخرين. ما هو معروف أن الناشر يطبع للقارئ؛ لذا فهناك فارق بين مؤلف عرفه القارئ من خلال مشاركات في الصحف أو المحاضرات، وآخر مجهول يطبع كتابه أول مرة!. لذا على المؤلف أن يتعاون مع الناشر قبل أن يطالب بحقوقه؛ لأن الطبعة الأولى تضحية من الناشر.

- هذا يقودنا إلى إشكالات المؤلف مع الناشر؛ فهناك كتب طبعت ويعاد طبعها من دون معرفة المؤلف؛ فقد يكون هناك اتفاق على طبع ٣٠٠٠ و٤٠٠٠ و١٠٠٠٠ نسخة، وتجد الناشر طبع ٢٠ ألف نسخة أو ٣٠ ألفاً مثلاً؛ إذ لا توجد جهة رقابية تحكم عمل الناشر والمؤلف؟

الضمير قلّ، اليوم المادة تطغى على كلّ الأطراف، سواء المؤلفون أو الناشرون أو الموزعون، ومع هذا فهناك من يلتزم ويتقيّد، أما الأغلبية فلا يتقيّدون.

- من تجربتك كناشر كيف نخلق مثل هذه الضمانات؟

– لا توجد ضمانات. على مرّ الزمن الشارع هو الضمان. الكتاب عندما يكون رائجاً الناشر هو الذي يجري وراء المؤلف؛ خوفاً من أن يذهب إلى ناشر آخر، والناشرون يجرون وراء الكتب الرائجة، ويأخذون حقوق نشرها. أما قضية التعدي على حقوق زميلهم (المؤلف)، فهنا الأمر يرجع إلى الضمير، وللأسف الدين لم يعُدْ يحكم!.

- هل القرّاء المعاصرون أصبحوا أكثر وعياً من القارئ القديم أو العكس؟ أتكلم الآن في مسألة اختيار الكتاب، في قضية المتابعة، ومعرفة ما هو جيد وما هو دون ذلك؟

أولاً: العصر والتحضّر أوجدا إنجازات كثيرة وقضايا متشابكة، وأصبح المواطن مضطراً إلى المتابعة؛ فالقراء الآن يتابعون الكتب التي تتناول القضايا الحياتية والفكرية والصراعات من أكثر من زاوية، أما في الماضي فكان قليلاً ما يصل إلينا كتاب فيه مثل هذه المسائل. لكن يبقى صراع الناشرين معاً هو الذي يدعم المؤلف، والناشرون الذين لديهم كتب تتوالى طباعتها مرتاحون، والمؤلفون تصل إليهم حقوقهم، بينما العكس للكتب الخاسرة؛ فالقراء – في النهاية – هم من يدعمون المؤلف والناشر.

- ما أكثر الكتب توزيعاً من الناحية النوعية: الكتب الدينية أم الأدبية؟

الكتب الدينية دائماً هي رقم واحد على الرغم من الظروف والتغييرات والضغوط عليها، وأعني الكتب الدينية الجيدة ذات الهدف؛ مثل: كتب الفقه الكبيرة، وكتب ابن تيمية، وكتب ابن القيم. وهذه الكتب تحافظ على توزيعها، لكن الآن القضايا المعاصرة الفكرية والحياتية بدأت تجذب القراء، والبدعة الجديدة هو انتشار الأفكار الشاذة؛ فالرواج الآن للجنس والضلال، فإذا أراد المؤلف والناشر الرواج للكتاب أقحما هذين الموضوعين في ثناياه!.

- رجل بتجربتك في عالمك وثقافتك وخبرتك الواسعة كيف يمكن له أن يجيب عن سؤال: إلى أين يتّجه العالم ونحن نشهد الثورات العربية؟

حركات التغيير في العالم العربي في بدايتها، وهي بداية جيدة وطبيعية؛ لأنه لا يمكن أن يستمر عيش الشعوب بمذلة ومهانة، وأنا متفائل. وفي اعتقادي في العصر المقبل سيكون للدولة الإسلامية مكانها في العالم من واقع التجارب التي مرّت بها الإنسانية،

الاستعمار الوطني بدا أشدّ وأسوأ من الاستعمار الأجنبي؛ لأنه بالنسبة إلى الاستعمار الأجنبي عندك حصانة داخلية عند مواجهته

ومررنا بها؛ فمثلاً: ماذا صنعنا بتركنا القيم؟ هل تقدمنا مادياً أو تقدّمنا علمياً؟ بل عشنا في مذلة، ولم نستطع أن نفعل شيئاً. فعملية التغيير لا بد منها؛ فقد بدأت حركة الوعي في ذهن الناس تعطي مؤشرات، وأنا دائماً أنصح إخواننا الذين أعرفهم، سواء في المغرب أو الجزائر أو تونس أو غيرها، بأن يبتعدوا من الحكم؛ لأنه مسؤولية. لا يمكن أنت اليوم تأخذ الحكم والطاولة التي تجلس عليها اليوم فيها الويسكي وفيها غيره من المحرمات؛ فأنت دينك لا يسمح بذلك، ولا تستطيع أن تغيّره، فلماذا تحمّل الإسلام إثمك؟ الإسلام لا يقوم إلا بالمسلمين؛ لذا حاولوا أن تكونوا مسلمين لتقوم الدولة الإسلامية.

حمد الجاسر



عبدالله القصيمي

• الدولة الإسلامية من أيّ منظور؟ هل تقصد الدولة الإسلامية بشكلها القديم؟

دعنا من عصر الخلفاء الراشدين - رضي الله عنهم - الذين عاصروا النبيّ صلى الله عليه وسلم، وتلقوا مباشرة الأوامر، لكن بعد ذلك أصبح لزاماً على المسلمين أن يجتهدوا. باب الاجتهاد لم يُغلق قط، هذه فرية، لا تجد نصاً من النصوص يقول: إن باب الاجتهاد أغلق. هذا الأمر من جرّاء سيطرة الأمية، الاجتهاد مباح في كل شيء، ما عدا ما حسمه الله سبحانه وتعالى والرسول صلى الله عليه وسلم.

• هذا الأمر يعني أنك تؤمن بدولة إسلامية عصرية على تماسّ مع قضايا العصر؟

طبعاً، يمكنها تبني قضايا العصر كلها، وتعمل عليها، ما دام لا يوجد ما يخالف أصلاً من الأصول، والرسول صلى الله عليه وسلم ما عُرض عليه أمران إلا اختار أيسرهما.

• أعرف أنك لم تتزوّج، لكن هل الناشر في داخلك يسمح بتعاطي أقصى درجات المسموح به مع المرأة في النشر؟

لكل شيء قيود وضوابط يلتزمها الإنسان، وكل شيء مباح في حدود الأخلاق.

• أتكلّم مثلاً عن نواحي النشر، وأسأل: ماذا إذا كانت هناك ضرورات فنية تتطلب مشهداً حميمياً مثلاً؟

هذه الضرورة الفنية التي يدّعونها هي قضية المدارس التي توارثناها من الغرب في الميادين كلها، وأصبحت تعطينا مفاهيم حسب تجربتهم هم. إن الفنون تتطور إذا استنبطت من داخلها قيماً وصوراً معبّرة عن واقعها، وعما يمكن قوله وفعله في هذه المسرحيات والأفلام. هم - أي: الغربيون - استطاعوا العيش هكذا، وعملوا أفلاماً حسبما يريدون، لكن نحن يمكن أن نكوّن فناً وفنانين يستطيعون أن يستلهموا حاجاتنا وتاريخنا وأصولنا وغيرها؛ ليخرجوا لنا منها أفلاماً وبدائع.

• هل تراها بضابط أخلاقي صارم أو ترى أن الضرورة الفنية لها مباحاتها أحياناً؟

المباحات لا تتجاوز الأشياء المعقولة؛ فهناك أشياء فاضحة لا تجوز في أفلامنا.

• لا، عفواً أنا أتكلم عن الكتاب، عن النشر، أتكلم عن الرواية والقصة على سبيل المثال؟

– لا، حتى القصة لا بد أن تكون في إطار المعقول، لا لمجرد الإثارة. مثلاً: تونسي وضع رواية للسينما تجد فيها مشهداً فاضحاً لا يليق، وهذا أديب كبير مثل سهيل إدريس يكتب في مذكراته أن أباه يحب الغلمان. عندنا في الفقه فارق بين من يعصي ويجاهر بمعصيته، وهناك من يعصي ولا يعلن عن عصيانه، بالله عليك ماذا نستفيد من تلك المعلومة المسيئة للأب؟!

• لماذا لم تُحقَّق بعض الكتب الفلسفية العربية؟ هل لملاحظات دينية؟

لا مانع من تحقيقها ونشرها، المهم أن تُعلِّق متى شئت في الهوامش إذا وجدت فيها رأياً مخالفاً ومتجاوزاً؛ فلا يجوز عندي مطلقاً أن يغيّر من يحقّق شيئاً ولو سطراً واحداً أو كلمة واحدة.

• لماذا لا تُحقّق بعض المؤلفات؛ مثل كتب الرازي؟

لا، الرازي اثنان، وليس واحداً؛ فهناك الرازي الفقيه السني، والرازي الذي كتب عن الإسماعيلية. أنا نشرت للرازي كتباً في الإسماعيلية، لكني أضع التعليقات تحت، علقّ ما تشاء. بالعكس، يلزمنا أن ننشر هذه الكتب، ونعرف ما فيها؛ حتى نعرف كيف نسير، بدلاً من أن ندخل في ضلالات تداهمنا وتخرّب شبابنا.

• الأمة الإسلامية أنجبت من الفلاسفة من أضافوا إلى الحضارة الإنسانية؛ مثل: ابن رشد، والغزالي، وابن سينا، لماذا لا يوجد فلاسفة عرب في عصرنا الحالي؟

هذا من الجمود والتأخر والقهر؛ فالكبت يولّد مرضاً يتراكم، ويسبّب أمراضاً أخرى. اليوم أمضينا ٥٠ سنة ونحن نعيش في ظلّ العجرفة؛ فالذهن يتبلّد، ولا يستطيع ضبط الأمور. نحن ليس لدينا فلاسفة؛ لأنه لا يوجد لدينا قرّاء للفلسفة!.

• لكن هناك مثقفون اشتغلوا بالفلسفة؛ مثل: مالك بن نبي، ود. عبدالرحمن بدوي، وأسماء أخرى كثيرة يمكن أن نقول: إنها تندرج تحت من اشتغلوا بالفلسفة، ولكن وجد الفلاسفة دائماً في الأمة الإسلامية والعربية حتى في عصور انحطاطها كنت تجد فلاسفة؛ مثل: ابن خلدون الذي ظهر في العصر المتأخّر؟

مع التعليم وانتشاره يمكن التنبؤ بوجود فلاسفة؛ لأن الجامعة تكّون قادةً من القرّاء الذين يهتمون بالبحث العلمي.

• لكن هذه الجامعات حديثة؟

المهم هذه الجامعات تكوّن المستقبل بالبحث العلمي، الذي يحتاج إلى اكتشاف الكفاءات التي تكمل المسيرة ودعمها؛ لأنها ستضيف الجديد متى وجدت الدعم والتشجيع.

• أين توجد مكتبتك الشخصية؟

المكتبة الخاصة بي في تونس، كلما جئت إلى هنا (المملكة العربية السعودية) أشتري كتباً، وأذهب بها إلى بيروت لأجلدها، ثم آخذها إلى تونس. فكتبي الخاصة كلها هناك، وبعضها يعود إلى ٧٠ سنة، منذ سفري الأول إلى مصر بعد الهجرة إلى فلسطين والتطوع، فوقتها كنت أتسكّع في الشوارع، وأبحث عن الكتب، ومن وقتها ربي ابتلاني بها!.

• تزوّجت الكتاب؟

نعم، هذه الكتب – عافاك الله – الابتلاء بها وإدمانها مثل إدمان الحشيش، وعندما أدخل إلى مكتبتي أبكي أحياناً من دون أن أشعر؛ لأنني أجد نفسي عاجزاً أمام هذه الكتب؛ فأنا أضع إلى جواري ٢٠ كتاباً لكي أقرأها، وأحار بعد ذلك ماذا أقرأ، وماذا أدَعُ. صحيح القول: إن كثرة الكتب مضيعة للعلم.

• كم بلغ عدد الكتب في مكتبتك الآن؟

لم أُحصها بعد. في تقديري أن الكتب لا تقلّ عن ٥٠ أو ٦٠ ألف كتاب، كما أن بها عدداً كبيراً من الكتب المحكّمة تبلغ نحو الـ٩٠٪،

وهي صادرة عن الجامعات والمراكز والمؤسسات العلمية، وكلها كاملة وأصلية ومجلّدة ومرتّبة ومُتابعة ومدقّقة. أما بالنسبة إلى المخطوطات فتبلغ نحو ٣٥٠ مخطوطة، والمطبوعات الأجنبية المطبوعة في أوربا بعضها قد يرجع إلى عام ١٥٠٠م، ويوجد لديّ كتب قديمة من أوائل المطبوعات في العالم؛ مثل كتاب العالم الجغرافي الكبير الإدريسي، عندي منها نحو ٤٠٠ كتاب، وما جعلني أتأخر في إهدائها أنه ليس لدينا وقف، وكان هناك وقف في جامعة زيتونة ألغاه بورقيبة مع كل الأشياء التي تمتّ إلى الإسلام بصلة؛ إذ إن أول شيء عمله بعد الاستقلال هو الاعتداء على الإسلام، وآمل أن يعود الوقف ليكون في دار الكتب؛ لكي نخصّص لهذه الكتب مكانها، وأن تطبع فهارسها إن شاء الله. أنا حريص أدبياً الآن على أن أقدمها بسرعة؛ لأن عمري اليوم ٨٢ سنة، ولم تعُدْ عندي القدرة على العمل ولا الجلَد، وأنا أمس وصلت من المطار إلى جامعة الملك سعود مباشرةً لأشتري كتباً. فأنا أشارك في كلّ معرض بجناح أجعل له من يديره، وأنا أطوف على المكتبات لأشتري الكتب الجديدة التي تهمّني، والتي تعبت فيها مدة ٥٠ سنة. ومع ذلك أنا لا أملك سيارة، ولا أقود سيارة، وليس لديّ تلفاز، ولا أعرف أن أستخدمه، بل لا أقول لأحد: افتح لي التلفاز!!.

• أنت رجل تحمل ثقافة تراثية، هل التراث سرقك أو أنك ستضع نفسك تحت مقولة: إن الحبيب اللمسي بخيل، بعيد من أشياء الحضارة، وهو بخيل لأنه لم يتزوّج، ولا يملك تلفازا؟

لا والله، لا أعرف البخل، ويشهد الله أنني حريص على عمل الخير قبل كل شيء، وعندما كنتُ صغيراً لم تكن لديّ إمكانات للعرس، وكنت أصرف ما أجده على الكتب.

• ألم تعشق امرأة؟

قطّ، لا عشقت امرأةً، ولا عشقتني امرأة.

• ألم تسقط في فخّ هذا الحب، ولو في شبابك؟

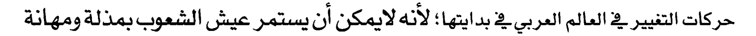
أقول لبعض الإخوان: لماذا لا تحبّون المساواة الحقيقية؟ لماذا لا تأتي المرأة لتخطبني؟ لماذا أخطبها أنا؟

• ألم تخطبك أيّ امرأة؟

لا، لم تخطبني أيّ واحدة منهن!.

• أمدّ الله في عمرك، ألم تعْلَق وردة ما من النساء في القلب خلال ٨٢ سنة؟

لا قط، ذاكرتي أركّزها في الكتب كي أنسى ما لي وما عليّ في



حركات التغيير في العالم العربي في بدايتها؛ لأنه لايمكن أن يستمر عيش الشعوب بمذلة ومهانة



الكتب، عندي الآن أربعة كتب أو خمسة في المطبعة، منها ٢٣ مجلداً في تاريخ الإسلام للدكتور بشار العواد.

• هناك جائزة كتاب الشيخ زايد بن سلطان قيل إنها مُنحت لك ثم حوّلت إلى مركز الإمارات؟

– والله لا أعرف، ليس عندي خبر بهذا الشيء، ولم أقدم طلباً، وأذكر منذ مدة أن الدكتور عزّ الدين إبراهيم رحمه الله، وهو صديق عزيز، كان حريصاً على أن أقدّم للجائزة، وأكد لي أنه سيوصيهم بي، وهناك من قال لي: لا فائدة من التقديم؛ لأنها كلها بالوسائط والدعم وغيره. وأنا بلا فخر لستُ بحاجة إلى من يقوّم الدار؛ فهي لها ميزة خاصة في العالم العربي، بل في أوربا أيضاً؛ فقد علّق أحد الكتّاب على كتاب للدار في مجلة تصدرها جامعة فرنسية قائلاً: «إن هذه الدار يجب أن تُحتذى في الغرب»؛ فكثير من المؤسسات الأوربية حريصة على متابعة كتب دار الغرب الإسلامي، وكثيرون في معارض الكتب يسألون عنها؛ لأن كتبها دائماً جديدة، فإذا كان هناك من يتابع ويقدّر فلماذا لا ترشّح الدار، وهل لا بد أن يرشّح الإنسان نفسه؟!

• ماذا عن ذكرياتك الأولى في المملكة؟

كنت عند وفاة جلالة الملك عبدالعزيز – رحمه الله – في الطائف، وكنت في فندق التيسير، وشاهدت جمعاً من الناس، فسألت أحد المارة، فقال: إن طويل العمر توفّي، ويتم نقل جثمانه – رحمه الله – إلى الرياض، وقلتُ لصاحب الفندق: إنني أريد أن أذهب إلى الرياض، وأريد سيارة تقلّني إلى هناك، فقال: لا توجد سيارات، لكن هناك قافلة سوف تذهب، وبعد يومين أو ثلاثة قال لي: جهّز حالك، عائلة سمو الأمير محمد بن عبدالعزيز ستتوجّه إلى الرياض، فقلتُ له: لا أعرف أحداً فيهم، كيف سأذهب معهم؟ قال: إن القافلة تضم عائلته، والعاملين معه، وسأكلّمهم. فوافقوا مشكورين، وركبت في سيارة صغيرة، وأخذت الرحلة أسبوعاً من الطائف إلى الرياض، كنا نرتاح في النهار؛ لأن الجو حار، ونتحرّك في الليل، والطريق لم يكن معبّداً، وكانت الحركة فيه قليلة جداً، وكنا ننزل في أمكنة مختلفة، فتذبح الذبائح، ونأكل ونشرب ونستريح، ونبدأ المسير بعد صلاة الفجر، وهكذا امتدت الرحلة أسبوعاً.

• أين سكنت في الطائف قبل الرحلة؟

في فندق التيسير، وجئتُ هنا إلى الرياض، وقال لي أبناء الأمير: تفضّل اسكن عندنا، فاعتذرت لهم شاكراً، ورحتُ أسأل عن فندق، فلم أجد. وكان صديقي الشيخ الدكتور عبدالمنعم النمر – رحمه الله – يُدرّس هنا في المعهد العلمي، فجلست عنده ٣ أو ٤ أيام حتى ذهبت مع قافلة متّجهة إلى الكويت، ووقتذاك عرفت الشيخ حمد الجاسر.

• كيف كان لقاؤك معه؟

كان لقائي معه في مجلة اليمامة، وكنت أعرفه، وأتابع اهتماماته بالجغرافيا والتاريخ. ومنذ ذلك الوقت دامت الصداقة، وكان يزورني في الفندق كلما جئت إلى الرياض، وكان يوجّه لي الدعوات فنتلاقى كثيراً.

• هل نشرت له شيئاً من كتبه؟

لا، كانت لديه دار نشر خاصة به.

• من غير الشيخ حمد من الروّاد كانت لك صلة به؟

كان صديقي الشيخ عبدالقدوس الأنصاري رحمه الله، وكنت أحرص على زيارته في جدة.

• ألم تعرف باقي الروّاد؛ مثل: الشيخ عبدالكريم الجهيمان، وعبدالله بن خميس، وعبدالله عبدالجبار؟

لا، عرفتهم فيما بعد.

كتب نشر الأمية زاحمت الكتب الجيدة، وهي غير ذات فائدة، بينما هناك ملايين الكتب في حاجة إلى التحقيق

• ما أطرف ما تذكر من لقاءاتك مع الشيخ حمد الجاسر رحمه الله؟

كان مرحاً، ونكتته حاضرة، وكانت أفكاره مستنيرة، ولم يكن عنده جمود، فكانت أفكاره متحررة. أووه، من الذين عرفتهم أيضاً عبدالله القصيمي، وكانت أول معرفتي به في بيروت، وكان يقول لي دائماً: «أنت عندك تخمة دينية، ولا بد من هزّك وخضّك»، فأقول له: بالعكس، أنا عندي نقص ديني، لو عندي تخمة دينية كنت رأيتني في عالم آخر.

• كيف كانت علاقتك به؟

كنا كلّ يوم نذهب إلى المقهى معاً.

• في أيّ عام كان ذلك؟

في عام ١٩٥٢م.

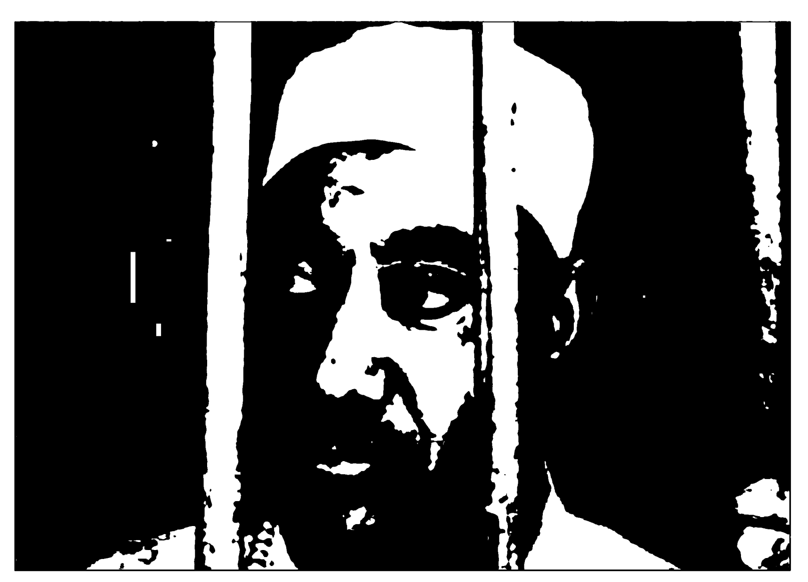
• كيف كانت علاقتكما مع التباين الفكري الحاد بينكما؟

كانت (ماشية)، وكنت ألومه على أفكاره وغيرها، وكان القصيمي يقول: «أنا فكرتي الهدم»، قلتُ له: كيف يكون الهدم من دون بناء؟!. انظر إلى هذا الحيّ، إذا هدمنا كل عمارة فيه أين سنسكن، في الشارع؟! لا بد أن يصاحب الهدم البناء. وثانياً: قبل الهدم يجب أن يكون عندك تصوّر كامل وتام ماذا ستقيم بأسس جديدة، وهل البديل أفضل من الذي تهدم أو لا؟ هنا أهلاً وسهلاً نسمعك، أما عندما لا تكون عندك بيّنات وأشياء مادية أمامك كيف نتحمّل هذه الأشياء، أنهدم ما نقيم فيه؟! لا.

• كيف كنت ترى القصيمي الإنسان والمثقّف؟

يبدو لي أن قضية الضغط على الفكر تولّد عداءً شديداً، وهذا الأمر أراه في الفكر الذي صُبّ في ذهنه من دون أن يترك له مجالاً للفهم ولّد فيه عقدة شديدة، وعداءً لمُجمل الدين؛ فالضغط المبالغ فيه يولّد مثل هذا النوع من رد الفعل. وأنا لمست هذا في إخواننا الأباضية في الجزائر، أولادهم أصدقاؤنا، وتربّينا معهم، ومع ذلك تجد كثيرين منهم في منتهى الانحراف نتيجة الضغط في مجتمعهم؛ فهم لا يتركونهم


طه حسين


سيد قطب

يقرؤون جريدةً أو مجلةً؛ فهذه الأمور من المحرمات، بل يصبّون الضغط في فكرهم صباً؛ حتى تولدت عندهم عقدة لمجمل الدين حسب مذهبهم.

• هل كان هناك صديق ثالث لكما؟

أتذكّر أنه في عام ١٩٥٢م كان يأخذني إلى أمير شاعر في الشارقة من بيت القاسمي، كان شاعراً معروفاً، كنا نمشي إليه في المصيف في العشية، وكان هناك واحد من أدباء البحرين الكبار شاعر وكاتب كبير.

• هل كان القصيمي في سنّك أو أكبر منك؟

لا كان أكبر مني سناً، ووقتها رجعنا إلى القاهرة لحضور المعرض، فسألني عن الفهرس، وجاءني ودعاني عنده - الله يرحمه - مسكين، قال لي: (شنو؟!)، قلت: ازددت إيماناً، قال: ازددت......! قلت: لا تكملها!.

• كيف كانت شخصيته الأخرى؟

كان هادئاً ومهذباً. كانت لديه فقط أفكاره الخاصة التي يصرّ عليها.

• هل كانت أفكاره عن قناعة؟

أجل، يبدو أنها عن قناعة وإصرار.

• متى آخر مرة رأيته؟

آخر مرة في القاهرة، لا أذكر هل في عام ١٩٧١ أو ١٩٧٢ أو ١٩٧٣م.

• ماذا دار بينكما من حوار؟

لا، تحدثنا عن العموميات وبعض الذكريات، كنا نجلس ومعنا شاعر عراقي معروف، لا يحضرني اسمه حالياً.

• كيف ترى القصيمي في المتابعة؟

مطّلع ومتابع، كان يتابع.

• هل سبق أن التقيتم أنت وحمد الجاسر والقصيمي معاً؟

معاً لا، لكن كنا موجودين في بيروت في وقت واحد.

• هل سبق أن التقى الجاسر والقصيمي؟

لا أعرف، لكن القصيمي من الشخصيات التي كان يقدّرها الشيخ حمد الجاسر، وكذلك كان القصيمي يقدّر الشيخ حمد؛ لأنه محسوب على الجيل المتنوّر.

• لو عدتَ إلى الوراء وخيّرت طباعة خمسة كتب، فماذا ستختار؟

لا يهم، أنا أتمنى طباعة أيّ كتاب غير مطبوع، المهم أن يكون الكتاب مفيداً ونافعاً.

• ألا توجد عناوين في ذهنك؟

تستهويني كتب الفقه والنوازل؛ لأن فيها صوراً عن الحياة اليومية والاجتماعية والتقاليد في ذاك العهد؛ فالفتاوى عن أشياء حدثت في الأغلب؛ لذا تبقى عندها مكانة. كذلك كتب التاريخ، من المهم جميعاً أن نعتني بها. طبعاً هناك أحداث تاريخية كثيرة فيها جميعاً، ويمكن أن نستخرج منها التاريخ الموحّد للأمة العربية؛ فعلى الرغم من المحاولات المتعددة إلا أنه لا يوجد كتاب موحّد من مصدر موثوق، وعلى مستوى علمي وأدبي يؤرّخ لنشأة الأمة العربية منذ نزول الرسالة إلى يومنا هذا، كتاب يتناول فتوحات العرب، والقيم التي دافعوا عنها، مع أن هذا النداء والرجاء لا يزال يخطبنا من القرن الماضي وما قبله على الرغم من وجود دعوات من العلماء إلى إعادة كتابة التاريخ الموحّد للأمة العربية، وكان شيخ العروبة أحمد زكي قد كوّن لجنةً تضمّه هو والشيخ الثعالبي ومؤرّخ كبير وعالم جليل متمكّن من الإسكندرية هو العبّادي عبدالحليم، وعملوا فيها. أحمد أمين بسلسلته، وطه حسين أخذ الجانب الأدبي، والعبّادي أخذ الجانب السياسي والتاريخي، ولم يكتب فيه كثيراً، لكن أشياء قليلة يصدرها مفيدة، والمحاولات الأخرى مع وجود الجامعة العربية وغيرها لم تنتج شيئاً إلى الآن؛ لأن العمل يحتاج إلى مجهود علمي واستيعاب، ومازال كثير من مصادرنا مجهول، خصوصاً في المكتبات الخاصة، الله وحده الذي يعلم ما فيها من كنوز.

• لكن الجامعة العربية طبعت كتاباً مهماً؛ مثل قصة الحضارة لويل ديورانت؟

كتاب مترجم، وهو جيد، لكنه يتناول جانباً من الجوانب، وليس شاملاً، مع أن فيه إنصافاً للعرب.

• من الأعلام الذين ذكرت طه حسين وأحمد أمين وأحمد زكي، هل من هؤلاء من تعرّفت إليه شخصياً؟

زُرتُ طه حسين ومعي مجموعة جاءت من تونس، وسألناه عن الشيخ الثعالبي، وهو زعيم من زعماء تونس، وكانت عنده مكانة في

العالم الإسلامي في أوائل القرن الماضي، فقال: كان الشيخ يجلس في المقهى الفلاني (سمّاه لنا) بعد المغرب، وكنت أمشي - والكلام لطه حسين - لأجلس معه وأستمع إليه، ووصفه بأنه سابق لزمانه.

• والعقاد، ألم تره؟

لا، لم أره. لكن كانت لي علاقة متواصلة مع سيد قطب رحمه الله، الذي أرسل إليّ رسالةً، وكنت قد زرته وزارني في الفندق، وبقينا على صلة حتى جاءت المحنة وتفرّقنا.

• هل كنت متعاطفاً مع فكر الإخوان؟

نعم، لم أساهم مع الإخوان، لكن كنت متعاطفاً معهم، والزمن يسير الآن لمصلحتهم؛ فهم الآن الموجودون في الساحة في مختلف البلاد العربية والإسلامية، هم المجموعة الأقرب إلى فهم الإسلام المتطوّر والمتنوّر، وهم من لديهم القدرة على التضحية من أجله.

• على الرغم من حالات القتل التي قاموا بها؟

انظر، تلك الحقبة مازالت ملتبسة، كان الفكر الديني متشعباً، وكانت فيه عدة نظريات، والعنف عموماً لا يؤدي إلى نتيجة، لكن عندما تسدّ الأبواب لا يبقى أمام الشعوب سوى خيار واحد؛ فإخواننا في ليبيا لا خيار أمامهم غير ما قاموا به، ولا خيار لإخواننا في سورية غير ما يقومون به، ولا خيار لإخواننا في اليمن غير ما يقومون به؛ فهم لم يُترك لهم مجال، بينما الحوار هو الأساس الذي يوصل إلى نتيجة كبيرة، ويحقن الدماء دائماً.

• الإخوان المسلمون في مصر شكّلوا حزباً بعد السماح لهم مؤخراً بعد الثورة، وعيّنوا نائباً قبطياً، فهل هذا التلميح وجه الإخوان الذين كانوا ينادون بإقصاء المرأة، وإقصاء الآخرين؟

- هذا من التطور والاجتهاد؛ لأن المواطنة يجب أن تُراعى.

• أليست هذه الخطوة مناورة سياسية؟

- لا، لا. هم ليسوا بحاجة إلى مناورة سياسية؛ لأن الإسلام نظيف لا يقبل إلا الطريق النظيف. نحن كمسلمين لم ننتصر بالمؤامرات والخيانة، الإسلام انتصر بالصدق والأمانة والعدل؛ فهو يقول لك: إذا أتاك من استجارك فأجره وبلّغه مأمنه، ولا تحمه فقط، بل لازم توصّله، يعني: لا تقول له رح منا، لو يجيء منا واحد يقتله أو يضربه، لا بل يجب أن توصله إلى مأمنه، هذا هو ديننا، وهذا هو الإسلام.

• هل الإخوان هم الامتداد الطبيعي للإسلام؟

- نعم، هم الامتداد الطبيعي للإسلام؛ لأن الوقت يسير لمصلحتهم، والحركات المترابطة في العالم الإسلامي منهم.

• ماذا لديك لتضيفه إلى ما هو مقبل في مشهدنا السياسي؟

- المستقبل لا يعلمه إلا الله، لكن الآمال آمالنا. أنا متفائل بالتغيير، والتغيير حاصل، ونأمل - إن شاء الله - أن يتفهّم الموجودون، ويجنبوننا ويجنبوا بلادهم المحن والفتن، هذا الأمر هو ما نرجوه، ونرغب فيه.

• لو انتقلنا إلى تونس كيف ترى وضع المرأة مع وجود حزب النهضة مثلاً والتيارات الإسلامية الأخرى؟

المرأة هي صنو الرجل، والمجتمع لا يقوم على رجل واحدة، فلا بد من الرجلين؛ فهما يمشيان معاً، والمرأة يلزمها أن تناضل، وأن تحاول أن ترقى بفكرها ورأيها، وتساهم في البلاد، وتأخذ مكانها، لماذا علينا أن ندافع عنها؟! هي التي يجب عليها أن تناضل وتدافع عن نفسها، ونحن نقول لها: تفضّلي أدّي ما عليك حتى تصلي إلى ما تريدين، وستصلين. رأيتُ في فرنسا وأوربا، منذ نحو ٢٠ سنة، إعلاناً في الشوارع به امرأة عارية بملابسها الداخلية، كان الإعلان عن أكل الكلاب، فهل يرضى هؤلاء الذين

الكتب الدينية دائماً هي رقم واحد على الرغم من الظروف والتغييرات والضغوط عليها، وأعني الكتب الدينية الجيدة ذات الهدف

يدّعون التقدم ذلك لنسائهم؟! إذا كانوا يرضون ذلك فنقول لهم: يجب أن تعملوا كالذي رأيتم إذا كنتم مقتنعين به.

- أنا أتكلم عن الجانب العربي والتونسي؟

نعم، أنا مع المرأة التي تناضل بفكرها، التي تدرس، وتعرف عقيدة بلدها، وعاداتها، وتنطلق من هذا المرمى، المرأة التي لا تقلّد غيرها.

- كيف ترى تونس في الحقبة المقبلة؟

أجيال جديدة ستفرز مجموعات جديدة، والمعركة الصعبة ستكون من العلمانيين الذين يحاولون التخويف بالإسلاميين، وجعلهم بعبعاً يخيف الناس. وأقول: يا ولدي، أنت مش مسلم. يا سيدي انزع هذه الحجة من يد الآخرين، وقم أنت بواجبك. لماذا تدعها لهم؟! المطلوب هو المعقول، الإنسان يكون بأدب، وأخلاق، ولياقة، وحبّ الخير، والتعاون، وحبّ البلد، والتحلّي بمجموعة من القيم الإنسانية المشتركة. لماذا تتركونها للإسلاميين وحدهم؟! لكنهم يريدون ما علّمتهم إياه أوربا عن الفرق الباطنية والفرق الضالة؛ ليقوموا بحملة على الإسلام كله. هناك كتب تصدر في تونس لا يمكن أن تصدر في بلد آخر. إلا الإسلام، هل نحصره فقط في الصلاة؛ اطلع، واهبط، واطلع. وهناك من يقول: أنا مع القرآن. طيب ماذا عما لا تفهمه. يأتي من يدّعي أن الحديث فيه مكذوب. هذا مكذوب عندك، وليت العلوم العربية والإسلامية وصلتنا كما وصلنا علم الحديث من ناحية الدقة والضبط والتمحيص. تصور أحد رواة الحديث يردّ حديثاً؛ لأن المحدث هربت دابته، فأراد أن يقربها، فأراها رداءه، وظنّت الدابة أن في الرداء عشباً، فأقبلت، وأمسكها وشدّ زمامها. فقال: إن الذي يكذب على دابته لا آمنه أن يكذب على المصطفى صلى الله عليه وسلم.

- هل ارتفع هامش الحريات بعد الأحداث الأخيرة؟

نعم؛ فقد تمّ رفع الرقابة في تونس، كما خفّت كثيراً في السعودية، وأصبحت معارض الكتب من كل العالم؛ لأنه أصبح هناك تنوير ووعي، وأصبحت هناك قدرة على معرفة الشيء المعقول، بل إن الرقابة في المغرب والجزائر شكلية. كانت هناك حقبة منعت فيها دول عربية كثيرة الكتب الإسلامية الحركية؛ مثل: كتب القرضاوي، وسيد قطب، والغزالي، وابن باز، وابن تيمية، وغيرها.

- هل سبب السماح لها الآن هو خفوت الحركات الإسلامية؟

لأنهم تركوا لها المجال، ودائماً من الأفضل أن تترك البشر يعملون فوق الأرض بدلاً من تحتها؛ لأن من يعمل تحت الأرض لا تعرف متى سيؤذيك. فالأفضل أن تتاح الحريات، وهي بلا شك لها ضوابط وقيم، شريطة أن تقوم على احترام غيرك، واحترام رأيه؛ فأنت حرّ في رأيك، إذا اقتنعتُ به أهلاً وسهلاً، وإذا لم أقتنع فلكم دينكم ولي دين. والحوار فيه التعاون، وفتح الأبواب والنوافذ، وكلها تنتج خيراً، وتكوّن الكفاءات والعلماء. أما إذا أغلقت الدماغ فلن ينتج لك غير الانغلاق.

- هل هناك شيء تودّ إضافته إلى هذا الحوار؟

ليس لديّ شيء غير أن أدعو الله أن يعين إخواننا في كلّ مكان، ويدلّهم على الخير؛ ليسلكوا السلوك القويم، وأن يجنبنا المحن والفتن؛ لأنها ليست في مصلحة أحد.

- أشكر لك هذا الحوار، وأشكر لك سعة قلبك وعقلك وثقافتك، وأنا سعيد بهذا الحوار معك. لقد تعمّدت ألا يكون ثقيلاً، وأن يكون عفوياً؟

هذا يا سيدي لعلمك، والله يشهد أنني لا أقبل إجراء أحاديث صحفية، ولا التصريح في الصحف، ولا في الإذاعة، وأقول لمن يطلبون مني ذلك: اتركوني مع كتبي، وقد استجبتُ لك ولأخي د. يحيى محمود بن جنيد، وأنا شاكر لكما، وربنا يجمعنا على الخير.

حركات التغيير في العالم العربي في بدايتها، وهي بداية جيدة وطبيعية؛ لأنه لا يمكن أن يستمر عيش الشعوب بمذلة ومهانة

أخبار

الزميل حسين حسن يفوز بجائزة الصحافة العربية



الزميل حسين حسن ولقطة تذكارية مع الأمير تركي الفيصل

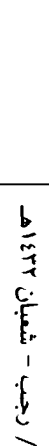
فاز الزميل حسين حسن حسين – مدير تحرير مجلة الفيصل – مؤخراً بجائزة الصحافة العربية في دورتها العاشرة عن فئة الحوار الصحفي عن حواره مع الدكتور عبدالرحمن الحاج صالح – الحاصل على جائزة الملك فيصل العالمية في اللغة العربية لسنة ١٤٣٠هـ – بعنوان: «المعلّمون أضرّوا بالفصحى»، وهو الحوار الذي نشرته مجلة الفيصل في عددها المزدوج رقم ٤٠٧-٤٠٨ سنة ١٤٣١هـ.

وشهدت الجائزة هذا العام منافسةً قويةً بين جميع الأعمال المقدّمة في جميع فئات الجائزة الإحدى عشرة، إضافةً إلى شخصية العام الإعلامية التي تُمنح بالتزكية من مجلس إدارة الجائزة؛ إذ تسلّمت أمانة الجائزة – كما أكّدت منى بوسمرة نائب مدير الجائزة – أكثر من ٣٨٠٠ عمل؛ مما جعل مجرّد الترشّح للجائزة فوزاً في حدّ ذاته في ظلّ هذه المنافسة القوية على مختلف الفئات. وفاز الزميل حسين حسن بهذه الجائزة بعد منافسة قوية مع كلّ من: الصحفي المصري محمود مسلّم من صحيفة (المصري اليوم) بسلسلة حوارات عن (مستقبل الحكم في مصر)، والصحفي السوري مصطفى محمد عبدالفتاح من مجلة (أجيال) الإلكترونية السورية بحوار مع الشاعر سليمان العيسى.

وتُمنح جائزة الحوار الصحفي لأفضل حوار بين صحفي وشخصية عامة نُشر في إحدى الصحف والمجلات المطبوعة أو الإلكترونية العربية اليومية أو الأسبوعية أو الشهرية، على أن يكون المحاور قد نجح في الإعداد الجيد للحوار، وأظهر قدرةً على استخلاص معلومات جديدة ومهمة من المحاور، وقدرةً على تغطية موضوع الحوار من جوانبه كافةً، ويمكن أن يكون موضوع الحوار سياسياً أو اقتصادياً أو ثقافياً أو اجتماعياً. وجاء في حيثيات لجنة التحكيم أنها منحت الجائزة للحوار؛ لشموليته في عرض قضية بالغة الأهمية، وتميّزه بكلّ عناصر الحوار، وإظهاره احترافيةً وثقافةً ومعرفةً بشخصية المحاور؛ مما مكّن الصحفي من الوصول إلى أعماق شخصية المحاور، ومناقشته باقتدار في قضايا تخصّصية، وتقديمه مادةً متميزةً وممتعةً للقارئ.

وأكد الزميل حسين حسن سعادته بالفوز بهذه الجائزة التي تأتي تتويجاً لمشواره الصحفي في مجلة الفيصل على مدى ١٨ عاماً، شهدت المجلة خلالها أكثر من تطوير في شكلها ومحتواها حتى وصلت إلى ما هي عليه الآن، مشيراً إلى أن حصده هذه الجائزة الكبيرة هو تتويج للمجلة قبل أن يكون تتويجاً شخصياً له؛ فهو يمثّل في النهاية فوزاً لفريق العمل في المجلة التي تعدّ رافداً مهماً في تاريخ الثقافة السعودية والعربية. ووجّه الزميل حسين حسن شكره لجميع زملائه من فريق عمل المجلة، الذين يساندونه دائماً في سبيل الرقيّ بالمجلة لتظلّ محافظةً على مكانتها وريادتها التي تتبوّؤها منذ أكثر من ٣٥ عاماً في خدمة الثقافة العربية والإنسانية.

وكان صاحب السمو الملكي الأمير تركي الفيصل بن عبدالعزيز –



رئيس مجلس إدارة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الذي يصدر المجلة - قد هنّأ الزميل حسين حسن على حصوله على هذه الجائزة، وطالبه بالاستمرار في طرح هذه الموضوعات المفيدة التي تميّزت بها مجلة الفيصل على مدى تاريخها. كما هنّأ الدكتور يحيى محمود بن جنيد - الأمين العام للمركز - الزميل حسين على فوزه بهذه الجائزة الرفيعة، متمنياً أن تكون حافزاً إلى مزيد من التميّز.

يُذكر أن صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم - نائب رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة، رئيس مجلس الوزراء، حاكم دبي - قد كرّم الفائزين بجوائز الدورة العاشرة لجائزة الصحافة العربية خلال الحفل الذي أقيم في ختام فعاليات أعمال الدورة العاشرة لمنتدى الإعلام العربي في فندق جراند حياة دبي يوم ١٨ مايو الماضي. وقد أُنشئت جائزة الصحافة العربية في نوفمبر عام ١٩٩٩م بمبادرة من صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم بهدف المساهمة في تقدّم الصحافة العربية، وتعزيز مسيرتها، وتشجيع الصحفيين العرب على الإبداع والتجويد من خلال تكريم المتفوقين والمتميزين منهم.



رماد ساراماغو تحت زيتونة عمرها قرن

دُفن رماد الكاتب البرتغالي جوزيه ساراماغو الحائز على جائزة نوبل في الآداب تحت شجرة زيتون عمرها قرن من الزمان على ضفاف نهر تاجوس في لشبونة. وشهد مراسم الدفن مئات الأشخاص، بينهم ابنته فيولانتي، والكاتبة ليديا يورج، ووزيرة الثقافة جابريلا كانافيلها، وعمدة لشبونة أنطونيو كوستا. ووضعت أرملة ساراماغو الإسبانية بيلار ديل ريو الرماد تحت الشجرة بمصاحبة قرع على الطبول، ثم وضع القرنفل الأحمر على المقبرة، وقرأ المؤلف والمغني يورج فاز دي كارفالهو مقتطفات من أعمال ساراماغو، الذي ستُنشر له في الخريف المقبل رواية كتبها عام ١٩٥٣م. وجرى إحضار الشجرة من قرية إزينهاجا مسقط رأس ساراماغو وسط البرتغال، وزُرعت بالقرب من مؤسّسة تحمل اسمه. وقالت المؤسسة: إنه تم وضع حجرين تذكاريين تحت الشجرة، وأقيم مقعد من الرخام حتى يتمكّن الزائرون من الاستظلال بالفروع.

توفّي ساراماغو الذي فاز بجائزة نوبل عام ١٩٩٨م عن عمر ناهز الـ٨٧ عاماً في جزيرة لانزاروتي بجزر الكناري حيث عاش منذ عام ١٩٩٣م. وكانت مجلة (الفيصل) قد نشرت ملفاً شاملاً عن الروائي البرتغالي في العدد المزدوج رقم ٤١١-٤١٢ سنة ١٤٣١هـ.



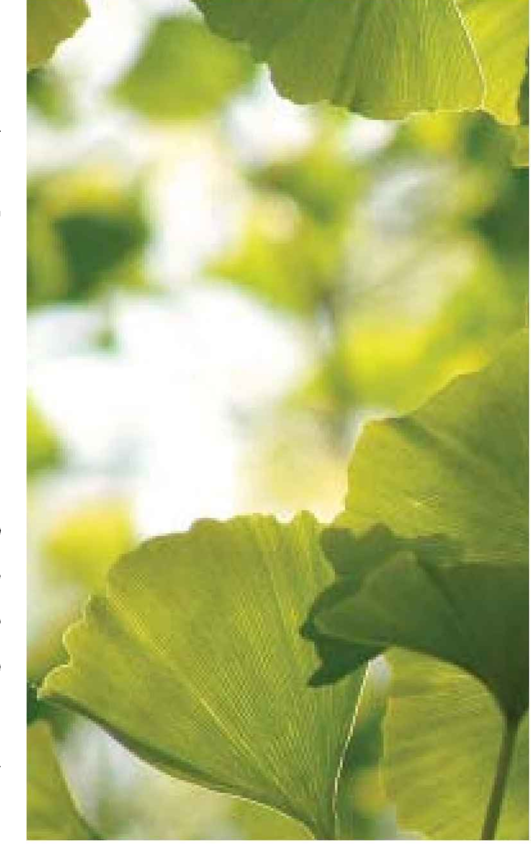
تنشيط الذاكرة بالغذاء والأعشاب

محمود محمد مصطفى درويش
المنصورة – مصر

النسيان من علامات الحياة المعاصرة، وفي مواجهته نحو استعادة المعلومات والذكريات المفيدة والجميلة دراسات عالمية جارية، منها ما نشرته مجلة (نيوزويك) الأمريكية عن أسباب النسيان، وطرائق علاجه والوقاية منه. وقد أظهرت نتائج الدراسة أن ضغوط الإجهاد البدني والذهني؛ بسبب عدم الراحة والاسترخاء، تؤدّي إلى إفراز هرمون الأدرينالين ومشتقات الكورتيزون؛ مما يقلّل طاقة ATP في المخ، وهي اللازمة لفاعلية وظائف تلقّي المعلومات والتذكّر. إضافةً إلى ما سبق، فإن الهرمونات وليدة الإجهاد تساعد على خروج Free Oxygen Radical، وهي الشوارد والشقوق الحرة التي تأكدت علاقتها بحدوث النسيان، كذلك تأكد أنها تنفرد في المخ بالمعاناة من ظروف تلوث الهواء والماء والغذاء بالمعادن الثقيلة.

مع مجاهيل الوسائط الكهروكيماوية في المخ، لم تظهر حتى الآن أدوية لتنشيط الذاكرة والذكريات الجميلة، ولا تزال الدراسات جاريةً وجادةً نحو الهدف، منها دراسة في أحد مختبرات جامعة نيوجيرسي الأمريكية، وهي تجربة فيها إلكترودات معدنية دقيقة ترسل شحنات كهربائية كل دقيقة نحو أدمغة فئران تجارب مشرحة ومُستنبتة في بيئة مغذية؛ بهدف تنشيط عدد من التفاعلات الكهروكيماوية التي تحدث في خلايا المخ، مع استثارة ذكرى جديدة. ويُضاف خلال ذلك قطرة تلو الأخرى من أدوية اختبارية على خلايا الدماغ، في وجود إلكترودات أخرى تقيس مفعول الأدوية نحو تعديل نشاط الخلايا في المخ لمصلحة تحسين الذاكرة. وتترقب شركات البيوتكنولوجيا ما سيخرج من نتائج البحوث؛ أملاً في دواء فاعل يصيب الهدف.

وفي جامعة نيوجيرسي أيضاً، تؤكد دراسات البيولوجيا الجزيئية أن الذاكرة متعلقة بجزيئية تسمى AMP الدورية، وعملها يكون في بناء الذاكرة بإشارة عصبية معينة تستقبلها، ومتعلقة بجزيئية أخرى تعرف بـ CREB، وعملها يكون في



إنتاج بروتينات خاصة مهمة لوظائف الوصلات والوسائط بين الخلايا العصبية. وكلا النوعين السابقين من الجزيئات موضع تركيز من جهود الباحثين. وحالياً يطرح الباحثون سؤالاً متعلقاً بالهندسة الجينية والبيولوجيا الجزئية، وهو: هل تنشيط الذاكرة بمساعدة الجزيئات AMP و CREB ينظّمه جين معيّن أو سلاسل بروتينية معينة؟ إن التجارب تُجرى الآن لمعرفة الإجابة، أو تحديد الجين المسؤول.

أظهرت البحوث الحديثة في المختبرات المختصة في أمريكا وإنجلترا والصين أن أنواعاً من الغذاء، وعدداً من الأعشاب الآمنة، هي مواد طبيعية تساعد على مقاومة النسيان؛ لأنها تنشط الدورة الدموية في المخ، وبها كفاية من مضادات الأكسدة Antioxidants التي تواجه الشوارد والشقوق الحرة والضارة.

ويعدّ الثوم من أهم ما ينشّط الذاكرة، وذلك بمعدل تناول ٢-٣ فصوص يومياً، كما أنه يمنح أيضاً الوقاية من تراجع الذاكرة، وصعوبة اكتساب المعارف في العمر المتقدم. وتحتوي جذور الجنسنج، أو مستخلصها، أو شاي الجنسنج، على عدد كبير من مركبات Saponine، وهي من مجموعة الجليكوسيدات، وتسمى في الجنسنج باسم (جنسينوسيد)، وفعلها الوظيفي هو تحسين وظائف المخ والأعصاب، والتغلب على الإرهاق والنسيان. وقد جاءت هذه النتائج في بحوث متعددة في جامعات شهيرة، آخرها جامعة ميلانو. كما استخدمت أوراق شجرة الجنكوبيلوبا، أو مستخلصها، على نطاق واسع في طب الأعشاب في كل من أمريكا وبريطانيا والصين؛ لتميّزها بمركبات Ginikgolides الفاعلة لتحسين تحمّل نسيج المخ نقص الأكسجين، وكذلك موازنة الدورة المخية وإرجاعها إلى حلّتها الطبيعية، وتقوية الشعيرات الدموية في المخ، وتعادل الشقوق الحرة والطليقة التي تهاجم دهون أغشية المخ. وإضافةً إلى المزايا السابقة، فإن الجنيكجوليدز تعدّ حالياً من المكملات الغذائية الطبيعية المتوافرة في صورة كبسولات في الصيدلية.

وجاء في بحوث متعددة في مجلة كيمياء الزراعة والأطعمة الأمريكية أن تناول الشاي الأخضر، والشاي الأحمر عندما يُضاف إليه نعناع أو قرنفل، يساعدان على تنشيط الذاكرة ومقاومة النسيان. وهذه الفاعلية ترجع إلى Polyphenols الموجودة في الشاي، وهي من مضادات الأكسدة القوية Antioxidants، وتكون نسبتها في الشاي الأخضر ٢٢,٢٪. ولا تصل فوائد الشاي الأحمر إلى المرتبة المتميزة المُثبتة للشاي الأخضر؛ فالشاي الأخضر يحافظ على سيولة الدم، ويخفّض ضغط الدم المرتفع، ويساعد على استرخاء العضلات، وذلك كله يساعد الذاكرة.

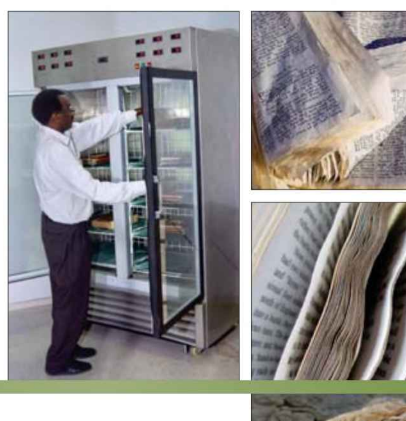
ويُوصى في المراجع الأمريكية الحديثة المتعلقة بالتغذية العلاجية، بخصوص تنشيط الذاكرة، بالأغذية الغنية بفيتامينات ب٦، وب١٢، وحمض الفوليك، ومنها الخضراوات: السبانخ، والطماطم، وفول الصويا، والقنبيط، والبصل. ومن الفواكه يُوصى بالموز والبرتقال. ومن الأسماك: التونة والسردين. ومن الزيوت: زيت الزيتون، وزيت الكتان.

لقد أكدت الدراسات الحديثة في جامعة جنوب كاليفورنيا أن المسنين الذين تزيد أعمارهم على ٧٠ عاماً، الذين يتمتعون بقوة الذاكرة، يعود هذا التميّز إلى الرياضة البدنية التي تنشّط الدورة الدموية في المخ؛ مما يقي الشرايين من حدوث جلطات، ويساعد على إفراز وسائط من البيوكيماويات الدقيقة التي تحافظ على سلامة أعصاب المخ. إن الرياضة، وفترات الراحة والاسترخاء في وقتها المناسب، وتجنّب التدخين من الوسائل العامة، تساعد على الوقاية من النسيان، كما تساعد على تخزين المعلومات والتذكر؛ لذلك فإن الرياضة هي احتفالية الترحيب باستقبال الذكريات الجميلة.



جهاز «الفيصل»

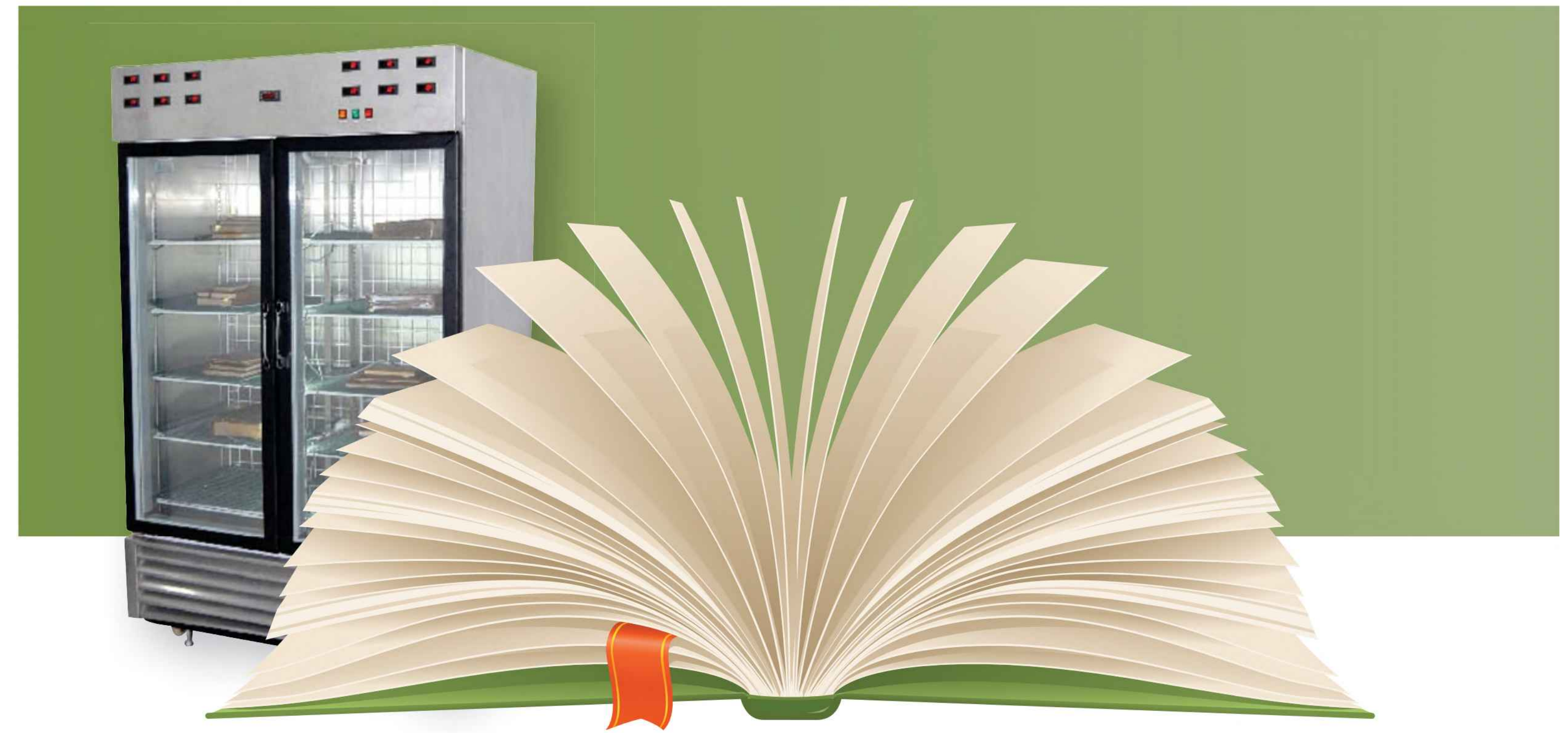
Wei T'o





للتعقيم بالتبريد

الأمثل للحفاظ على التراث المخطوط



سعى مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية إلى حماية التراث الإسلامي والإنساني مما يضرّ به من آفات طبيعية، فابتكر وسيلةً ناجعةً، وأكثر فعاليةً، وأقلّ تكلفةً، وأوفر للجهد، وآمن لأوعية التراث المخطوط، من خلال جهاز «الفيصل Wei T'o»، وهي طريقة التبريد الجافّ بأكثر من ٤٠ درجة مئوية تحت الصفر؛ مما يقضي على جميع الحشرات والفطريات مرةً واحدةً بتعريضها فجأةً لدرجات برودة منخفضة جداً وجافة؛ فلا تستطيع هذه الآفات أن تتواكب مع هذا التغيّر السريع.

وسائل الاتصال بالمركز:

هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥ تحويلة ٦٦٣٨ – مباشر: ٤٦٢١٧٠٦

صدر حديثا عن:

مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية
إدارة التسويق: ٤٦١١٢٠٨
ناسوخ: ٤٦٥٠٨٥٧
ص.ب ٥١٠٤٩ الرياض ١١٥٤٣

مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية
King Faisal Center for Research and Islamic Studies



تأليف

يوسف كرباج   إيمانويل تود

ترجمة

محمد السبيطلي   نورهان علي صالح

الرياض
١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

لقاء الحضارات

تأليف: يوسف كرباج / إيمانويل تود

الكتاب:

"صدام الحضارات" لن يقع؛ بل على العكس من ذلك، هناك موجة التقاء قوية تلوح الآن على المستوى العالمي. والعالم الإسلامي لن يَشُذّ عن القاعدة: فمن المغرب إلى إندونيسيا، ومن البوسنة إلى شبه الجزيرة العربية، تشهد الديمغرافيا على ذلك: ارتفاع نسبة التعليم في صفوف الرجال والنساء، وانخفاض نسبة الخصوبة، وتراجع ظاهرة الزواج الداخلي.. إنها تغيُّراتٌ لكنها - في الوقت نفسه - شواهد على تحولات في البنى العائلية، والعلاقات السلطوية، والمرجعيات الأيديولوجية؛ مما قد يثير بعض التوترات المصحوبة بالمقاومة في وجه التغيير، ولا تشكل ردود الأفعال هذه معوقات بقدر ما سوف تسهم في تعجيل عملية التحديث.

المؤلفان:

يوسف كرباج:

متخصص في علم السكّان، ويعمل بالمعهد القومي الفرنسي للدراسات السكانية.

من بين أهم ما نشر من كتب:

- "نصارى ويهود في ظل الإسلام العربي والتركي" (بالاشتراك مع: ف. فرجيس، فايارد، ١٩٩٢م).
- "آفاق سكانية جديدة في المتوسّط" (المنشورات الجامعية الفرنسية، ١٩٩٩م).
- "سورية في الحاضر" (بالاشتراك مع: ب. دوبريه، و: ز. غزال، أكت سود، ٢٠٠٧م).

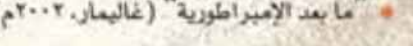
إيمانويل تود:

مؤرخ وعالم أنثروبولوجي.

من بين أهم ما نشر من كتب:

- "قدر المهاجرين" (سوي، ١٩٩٤م).
- "الوهم الاقتصادي" (غاليمار، ١٩٩٨م).
- "ما بعد الإمبراطورية" (غاليمار، ٢٠٠٢م).







الجمعية السعودية الخيرية للتوحد

تنظم

برنامج كفالة طفل يعاني من التوحد للأسر المحتاجة

يمكنكم تخفيف معاناتهم عن طريق :

- كفالة طفل مصاب بالتوحد لكي يلتحق بمركز الجمعية السعودية الخيرية للتوحد وقدرها (١٨,٠٠٠) ريال سنوياً.
- نصف كفالة (٩٠٠٠) ريال .
- كفالة لأكثر من حالة (تحدد حسب العدد) .

يتم تمويل البرنامج بدعمكم عن طريق التبرعات والهبات والزكاة

- بعد دراسة الحالة الاقتصادية والاجتماعية للأسرة المحتاجة من قبل المختصين.



تقدم الجمعية السعودية الخيرية للتوحد :

- التشخيص والتقييم للقدرات ومستوى الأداء.
- الخدمات التربوية المتخصصة.
- الخدمات التأهيلية المتخصصة.
- الخدمات الاجتماعية.
- التدريب على التواصل.
- تعديل السلوك.
- التدريب على الاستقلالية.
- الرحلات والزيارات الترفيهية والتعليمية.
- المواصلات من المنزل إلى المراكز والعكس (قدر الإمكان).
- التوعية والتدريب للأسر حول الكيفية المثلى للتعامل مع الحالات في المنزل والمدرسة.

هاتف : ٢١٢٠٠٥٠ - ٤٤١٣٠١٠ فاكس : ٢١٢١٠٠٨
ص ب ٦٩٢٩٦ الرياض ١١٥٤٧ P.O Box 69296 Riyadh11547
Tel ٤٤١٣٠١٠ – ٢١٢٠٠٥٠ Fax ٢١٢١٠٠٨